

الرَّوْضُ الْعَاطِرُ

في خطب المنابر

المجموعة الأولى

ألقاها ورتبها

أبو عبد الرحمن خليل بن عبد الله بن أحمد الحمادي

الطبعة الأولى ١٤٤٥ هـ



حقوق الطبع محفوظة

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ ٨٨ ﴿

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

ذُنُوبِكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

فإنَّ المتأمل في أحوال المسلمين يرى مدى حاجتهم لمن يرشدهم إلى طريق الحق والهدى، ولمن يأخذ على أيديهم إلى طاعة ربهم **سبحانه وتعالى**، وإنَّ من أعظم ما جعله الشرع وسيلة لنفع الناس هي خطبة الجمعة، فهي مما يجتمع لها الناس، ويستمعون الذكر ومما ترَّق به القلوب، وتتعظ به النفوس.

ويكفي في الدلالة على أهمية خطبة الجمعة أن اجتمع فيها فضيلة المكان مع فضيلة الزمان، فهي تكون في أحب البقاع إلى الله سبحانه وهي المساجد، وفي خير يوم طلعت عليه الشمس وأفضل أيام الأسبوع وهو الجمعة، فلاجل ذلك وغيره كان لا بد من العناية بخطبة الجمعة من الخطيب والمستمع، فالخطيب ينبغي أن يكون ممن آتاه الله سبحانه وتعالى علماً، لكي يعظ الناس بعلم، والمستمع يجب عليه أن يتحرى سماع خطب من يثق بعلمه، ويعلم أنه يسير على الهدى القويم لكي يتضح له السير السوي على الصراط المستقيم.

إلا أننا في زمانٍ كثر فيه المتفهبون، وتكلم من لا علم عنده، وتصدر للخطابة من لا يحسنها، فحصل ما حصل من بُعد الناس عن الصراط المستقيم، وصدق نبينا الكريم ﷺ حيث قال لأصحابه يوماً: "إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ: كَثِيرٌ عُلَمَاؤُهُ، قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ، مَنْ تَرَكَ عَشْرَ مَا يَعْرِفُ: فَقَدْ هَوَى، وَيَأْتِي مِنْ بَعْدِ زَمَانٍ: كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ، قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ، مَنْ اسْتَمْسَكَ بِعَشْرِ مَا يَعْرِفُ: فَقَدْ نَجَا". (١)

وهذا علمٌ من أعلام نبوته ﷺ، فقد حصل ما أخبر عنه، بل صار كثيرٌ ممن لا علم عنده ينافس على الخطابة ويريد أن يخطب، وإنا لله وإنا إليه راجعون. ومع كثرة المتقفرين على العلم والخطابة، وتصدر كثير ممن لا علم عنده للخطابة، أو كان من أهل البدع الذين يفسدون أكثر مما يصلحون؛ فكل ذلك وغيره جعل

(١) روي مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي نر، وروي موقوفاً عن ابن

المسئولية على أهل السنة كبيرة، في مواجهة كل ذلك، فهم الذين يتحرون تعليم الناس ونصحهم ووعظهم من الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وهم الذين يأخذون على أيدي الناس إلى صراط ربهم المستقيم، ويبدلون لذلك كل ما يستطيعون، فجزاهم الله عنا وعن المسلمين خيراً.

ومن هذا الباب رأيت أن أشارك في نفع المسلمين بتفريغ الخطب التي كنت قد خطبتها من عدة سنوات عسى الله أن يجعل ذلك من الأعمال التي ينتفع بها الناس، ومن أراد أن يخطب بها في خطبة الجمعة.

ففرغت مجموعة من الخطب ثم راجعتها واعتنيت بإصلاحها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وعزمت على جعلها في سلسلة مجموعات وأسأل الله عونه وتوفيقه، وهذه التي بين يدي القارئ الكريم هي "المجموعة الأولى" من "الروض العاطر في خطب المنابر"، وأسأل الله أن يعين على إتمام ما بقي وترتيبها.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه وأن يرزقنا الهدى والسداد، وأن يعيننا على طاعته وحسن عبادته.

والحمد لله رب العالمين.

التوحيد أولاً

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

ذُنُوبِكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباسٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتَرُدُّ عَلَى

فَقَرَأْتَهُمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَأَتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».

وفي رواية: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى».

هذا حديث عظيم، يضم أصولاً عظيمة من أصول الدين، فالنبي ﷺ يوصي معاذاً الذي أرسله لتعليم الناس في اليمن.

فيقول له: يا معاذ إنك تقدم على قوم هم أهل كتاب، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وهذه الشهادة هي أساس التوحيد، ولهذا قال في الرواية الأخرى: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى».

وذلك لأن أهل الكتاب غيروا وبدلوا وحرفوا، فقالت طائفة من النصارى إنَّ الله عز وجل ثالث ثلاثة، وقالت طائفة: إنَّ الله هو المسيح ابن مريم، وقالت طائفة منهم إنَّ المسيح ابن الله، وقالت اليهود عزيز ابن الله، قال الله سبحانه ردّاً عليهم: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَحْدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٧٣].

وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِيْ اِسْرَءِيْلَ اَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [سورة المائدة: ٧٢].

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَنَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (سورة التوبة: ٣٠).

وهذا كله من غلوهم في دين الله سبحانه وتعالى، والكفار كلهم كفار، أهل الكتاب كفار والمشركون كفار والمجوس كفار كلهم كفار، لكن التعامل يختلف فلما كانت قد وصلتهم الدعوة من قبل دعوة عيسى دعوة موسى، قال له يا معاذ إنك تقدم على قوم أهل كتاب فلا بد من مجادلتهم بالعلم، وبما أعطاك الله سبحانه وتعالى من البصيرة، لهذا بعث النبي عليه الصلاة والسلام معاذًا إلى اليمن لأنه كان من أعلم أصحاب النبي - ﷺ - على صغر سنه، فإنه كان عالماً بالحلال والحرام، لهذا لا بد إذا جالست أناسًا وجادلتهم لا بد من أن تكون على بصيرة بما هم عليه ويكون عندك من العلم ما تدرأ به شبهاتهم، فلا بد للإنسان أن يتفقه في دين الله عز وجل، ليعلم أن الناس لا يستوون، فمجادلتك للجاهل بخلاف مجادلتك لمن كان عالمًا، قال الله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَوُا بَنِي إِسْرَءِيلَ كَذَّ﴾ (سورة الشعراء: ١٩٧).

فسماهم الله عز وجل علماء، رغم أن علمهم هذا لم ينفعهم بشيء إلا أنهم كان عندهم من العلم، ولكن لم يعملوا به.

وقوله ﷺ: «فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْ أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»، فأول أمر يُدعى إليه الناس، وأعظم أمر يدعون إليه؛ هو توحيد رب العالمين.

هذه دعوة المرسلين، هذه دعوة الموحدين، التوحيد أولاً، الذي إن أجاب الناس إليه أفلحوا في الدنيا والآخرة، «فَلْيُكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى»، أن يعبدوا الله عز وجل وحده، هذه دعوة جميع المرسلين، فما أرسل الله سبحانه نبيا ولا رسولا إلى قومه إلا وهذه دعوته، قال ربنا سبحانه: ﴿وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٤٥].

اسألهم يا محمد هل بعثنا رسولا يدعو إلى غير الله؟ نبيا يدعو إلى غير عبادة الله؟ أبدا!

لهذا يقول ربنا - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [٦٥] بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ [سورة الزمر: ٦٥-٦٦].

قال ربنا سبحانه وتعالى مخبراً عن رسل الله سبحانه وما بعثهم الله به: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ [سورة النحل: ٣٦].

فقال سبحانه عن نوح: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].

وقال عن هود: ﴿وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَنْقُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥].

وقال سبحانه عن صالح: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ فَذُرُّوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ [سورة الأعراف: ٧٣].

وقال عن شعيب: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۚ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٨٥].

وعلى هذا كانت دعوة نبينا ﷺ، ثبت عند البيهقي بسند صحيح عن طارق بن عبد الله المحاربي قال: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ- مَرَّ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَأَنَا فِي بِيَاعَةٍ لِّي، فَمَرَّ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حُمْرَاءُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا». فطريق الفلاح في توحيد رب العالمين.

ومعنى التوحيد هو مصدر وَّحَدَ، فوَحَّدَ يوَحِّدُ توحيدًا أي جعل الشيء واحدًا، ومعناه أن يوَحِّدَ الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، وأعظم أنواع التوحيد هو توحيد الألوهية، وهو الذي أشرك فيه غالب الناس، ولأجله أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل، فهو الذي اختلف فيه الرسل مع أقوامهم، وتوحيد الألوهية معناه:

أن يفرد العبد ربه بالعبادة، فلا يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله سبحانه وتعالى، قال ربنا جل وعلا: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦].

فتوحيد الله هو حق الله على العباد، من خالفه ألقى في نار جهنم والعياذ بالله، ومن وحد الله سبحانه أدخله الله عز وجل الجنة، عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: بَيْنَا أَنَا رَدِيفُ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا آخِرَةُ الرَّحْلِ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوهُ» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمْ».

فالله سبحانه وتعالى لا يرضى من الأعمال إلا ما كانت خالصة لوجهه سبحانه وتعالى، روى الإمام مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ

شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيُكَرِّهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْهَالِ».

وروى النسائي من حديث أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قَالَ: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتِغَى بِهِ وَجْهَهُ».

فلو أشرك العبد مع الله غيره في العمل ما قبل الله سبحانه وتعالى منه صرفا ولا عدلا، ولا فرضا ولا نفلا، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشَرَكُهُ».

فلا تصرف نوعا من أنواع العبادات، لغير الله عز وجل، فالله سبحانه وتعالى هو المتصرف في هذا الكون بأكمله، على ماذا الناس يلجئون إلى غير الله؟ ويصرفون العبادة لغير الله سبحانه.

فترى هذا يستغيث بابن علوان وذاك بالعيدروس، وذاك ينذر لغير الله، وذاك يذبح للجن، وكلُّ هذا من الشرك بالله، ومن صرف العبادة لغير الله سبحانه.

انظروا إلى قول الله سبحانه وتعالى، عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام، سيد الحنفاء، قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ

أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِيَّاهُنَّ أَضَلَّلَنَّا كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِ فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿سورة إبراهيم: ٣٥-٣٧﴾.

فهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام سيد الحنفاء يدعو ربه **سبحانه وتعالى** يقول يا رب جنبني وبنِّي أن نعبد الأصنام، وهو بعيد كل البعد عن عبادة الأصنام لكنه يخشى على نفسه، يخاف على نفسه أن يتعد عن جانب التوحيد، فيسأل ربه **سبحانه وتعالى** أن يجنبه الشرك وأهله، وهذا من كمال إيمان إبراهيم، وتمايم توحيده.

فلما كان إبراهيم موحدًا وإمام الحنفاء؛ قال الله عز وجل عنه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿سورة النحل: ١٢٠﴾.

قال العلامة ابن كثير: يمدح ربنا تبارك وتعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم، إمام الحنفاء ووالد الأنبياء، ويرثه من المشركين، ومن اليهودية والنصرانية فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا﴾ فأما "الأمة"، فهو الإمام الذي يقتدى به. والقانت: هو الخاشع المطيع. والحنيف: المنحرف قصدًا عن الشرك إلى التوحيد؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿١٢٠﴾. انتهى كلامه

ومن وحد الله سبحانه نجاه رب العالمين من كيد الكائدين، لهذا لما اجتمع قوم إبراهيم على إبراهيم عليه السلام؛ دفع الله شرهم وكيدهم، قال الله سبحانه: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ﴿٦٦﴾ أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

فَعَلَيْكَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنْتَارُ كُوفِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ [سورة الأنبياء: ٦٦-٧٠].

لجأ إلى ركن شديد، أوى إلى الله سبحانه وتعالى، فمن أوى إلى الله آواه الله عز وجل، وأيده سبحانه وتعالى وأزال عنه كل شر، بشرط أن يكون العبد موحدًا لا يشرك بالله سبحانه وتعالى شيئًا، ولن يُسلمه ربه سبحانه وتعالى لعدوه، بل يتولاه الله عز وجل بولايته، ﴿إِنَّ وَلِيََّ اللَّهِ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ﴿١٩٦﴾ [سورة الأعراف: ١٩٦].

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

ثم قال صلى الله عليه وسلم في وصيته لمعاذ: "فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ"، وفي رواية "فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ"، وفي رواية: "فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ".

قال الحافظ ابن حجر: الإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ بِذَلِكَ إِلَى التَّوْحِيدِ وَقَوْلُهُ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ أَيَّ عَرَفُوا تَوْحِيدَ اللَّهِ وَالْمُرَادُ بِالْمَعْرِفَةِ الْإِقْرَارُ وَالطَّوَاعِيَةُ. انتهى كلامه والمعنى أن ينصاع الناس لتوحيد الله عز وجل، فإن مجرد التللف بالشهادتين دون العمل بمقتضاها لا ينفع صاحبه، فلا بد للعبد المسلم أن يعرف هذا ويفهمه ويعمل به.

مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله: هو ترك عبادة ما سوى الله من جميع المعبودات، المدلول عليه بالنفي، وهو قولنا: (لا إله). وعبادة الله وحده لا شريك له، المدلول عليه بالإثبات، وهو قولنا: (إلا الله)، فكثير ممن يقولها يُخالف مقتضاها؛ فيثبت الإلهية المنفية للمخلوقين والقبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار. وهؤلاء اعتقدوا أن التوحيد بدعة، وأنكروه على من دعاهم إليه، وعابوا على من أخلص العبادة لله.

وأما مقتضى شهادة أن محمداً رسول الله: فهو طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، وترك ما نهى عنه وزجر، والاقتصار على العمل بسنته، وترك ما عداها من البدع والمحدثات، وتقديم قوله على قول كل أحد.

هذا هو مقتضى الشهادتين، وما يستلزم من قولها والإقرار بها، وأما مجرد أن تقول لا إله إلا الله دون أن تعمل بها، ما ينفعك، قال ربنا - سبحانه وتعالى - عن معاشر المنافقين: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١].

كم ترى الآن من هؤلاء الناس؟ في أوساطنا الذين يقولون ولا يفعلون، ويفعلون غير ما يقولون، فتراهم يقولون لا إله إلا الله بألسنتهم، وأعمالهم تلهج بالشرك بالله عز وجل، هذا يذبح لغير من الجن؛ فإذا بنى بيت ما تدري إلا وهو يذبح للجن، خشية أن تؤذيه بحد زعمه، وهذا يذبح للجن إذا حفر بئراً كي لا يغوروا ماءها، وهذا يستعين بصاحب القبر، وذاك ينذر لابن علوان بذبيحة إن شفي ولده من مرضه.

ومنها ما تجده عند كثير من الناس، الذين يلجئون إلى السحرة والمشعوذين، بنية التداوي على أيديهم، وأنه لا شفاء إلا بيد هؤلاء السحرة، ويزعمون أنهم مضطرون للذهاب عندهم.

وغير ذلك من أنواع الشرك بالله، مما وقع فيه كثير ممن جهل معنى التوحيد، وما يجب عليه.

فيا أيها الناس إن شهادة لا إله إلا الله ما هي كلمة تقال، ولكنها عمل وإخلاص
 لربك **سبحانه وتعالى**، فكل ما كان عبادة وجب عليك أن تخلص فيها لله سبحانه،
 وأن لا تصرف منها شيئاً لغير الله **سبحانه وتعالى**، واعلم أن النفع والضرر بيد الله
 سبحانه فبيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ
 بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِنُجْمٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١٧).

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِنُجْمٍ
 فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (١٧) [سورة يونس: ١٠٧].
 فأيها العبد إن النفع بيد ربك **سبحانه وتعالى** فالجأ إليه، وتعلق بحباله، انظر لما
 ثبت في الصحيح من حديث عطاء بن أبي رباح، قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك
 امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت:
 إني أضرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتَ وَلَكَ الْجَنَّةُ، وَإِنْ
 شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ» فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف، فادع الله لي أن
 لا أتكشف، فدعا لها.

انظر إلى هذه المرأة التي كانت تصرع وبها جنون، هي والله أعقل من كثير من
 أهل زماننا ممن يتعلق بالسحرة والمشعوذين، انظر إلى هذه المرأة قالت يا رسول الله
 إني أضرع فادعو الله، هذا توحيد يا إخوة، توحيد في قلوبهم، ما قالت يا رسول الله
 اشفني، ولا عاجني، ولا داوني، وإنما قالت ادعو الله أن يشفيني، قال إن شئت
 دعوت الله لك فشفاك، وإن شئت صبرت ولك الجنة، فقالت: بل اصبر، المسألة

جنة، لكنها كانت موحدة لا تشرك بالله شيئاً ولا تدعو غير الله سبحانه، لأنها تعلم قول ربنا سبحانه وتعالى حين أخبر عن ذلك الرجل الصالح في سورة يس قال الله:

﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَنْقُومِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذَا لَفَى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة يس: ٢٠-٣٠].

فتنبهوا وفقني الله وإياكم، الدين هو التوحيد، إذا ثبت الإنسان عليه وجد الخير في دينه وديناه، وفي دنياه وأخراه، قال ربنا سبحانه وتعالى: ألم تر كيف ضرب

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤-٢٧].

كلمة التوحيد لا إله إلا الله، كلمة طيبة، فإذا رسخت في قلب العبد المؤمن، عاش بخير ومات على خير، لهذا ثبت عند أبي داود عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، وهذا لا يوفق لها إلا من وفقه الله سبحانه للتمسك بها وللعمل بها.

انظر إلى ذلك النبي الذي ابتلاه الله بالمرض، فعلم أنه لا ملجأ من الله إلا إليه، قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ [سورة الأنبياء: ٨٣-٨٦].

وانظر إلى ذلك العبد الصالح الذي ابتلاه الله - عز وجل - بأمر عظيم، حتى حُبِسَ في مكان لو اجتمع أهل السماوات وأهل الأرضين على أن ينقذوه ما أنقذوه، لكنه عرف أين المخرج، فهو الموحد لربه، قال سبحانه: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٧) [سورة الأنبياء: ٨٧].

فماذا كان؟ قال سبحانه: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَوِّجُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨) [سورة الأنبياء: ٨٨].

وزكريا الذي ما أتاه الولد ما لجأ إلا إلى الله سبحانه، قال تعالى: ربي لا تذرني ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ ۖ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ (٨٩) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَاهُ، لَهُ زَوْجُهُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكِرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَكَ رَعْبًا وَرَهْبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ [سورة الأنبياء: ٨٩-٩٠].

فهؤلاء هم الذين يسارعون إلى الله، فالولد يطلبونه من الله سبحانه، الألفة والمحبة بين الأزواج يطلبونها من الله، النفع في الأولاد يطلبونه من الله، النفع في الرزق يطلبونه من الله.

فكلمة التوحيد يا إخواني عمل وفقني الله وإياكم، لا تصرفوا نوعاً من أنواع العبادات لغير الله، لا استغاثة بغير الله ولا استعانة بغير الله ولا طلب من غير الله، بل توجهوا في كل عباداتكم لله سبحانه.

اسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه وأن يغفر لنا ذنوبنا كلها وأن يختم لنا بالحسنى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الجنة دار الطيبين

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

يقول ربنا سبحانه وتعالى في محكم كتابه مخبراً عن عباده المؤمنين، عن عباده المتقين، عن عباده الصالحين؛ إذا تلقتهم الملائكة، وإذا نزل بهم الموت قال ربنا سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ نُوَفِّهِمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٣٢].

يخبر ربنا **سبحانه وتعالى** عن هذا الصنف العظيم، عن هذا الصنف النقي، عن هذا الصنف الطيب، عن هذا الصنف الذي عمل بأوامر الله، وانتهى عن نواهي الله **سبحانه وتعالى** يخبر الله عز وجل عن هذا اللقاء العظيم الذي تتلاقاهم به الملائكة، وعلى هذا الكلام الطيب المبارك الذي تبشرهم به الملائكة ﴿الَّذِينَ تَوْفَّعْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [سورة النحل: ٣٢].

هذه الآية هي مُصَدِّقَةٌ لأمر ربنا **سبحانه وتعالى** في محكم كتابه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة فصلت: ٢٩-٣١].

هذه الآيات العظيمة المباركات يبين ربنا **سبحانه وتعالى** أن هذا الصنف من الناس طابت أعمالهم وطابت حياتهم كانوا طيبين في حياتهم الدنيا فبشرتهم الملائكة بهذا الأمر العظيم، ولهذا يقول ربنا **سبحانه وتعالى** في محكم كتابه: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [سورة الزمر: ٧٣].

هذا الطيب من هؤلاء الناس الذين طابت أعمالهم في حياتهم الدنيا كانوا طيبين، فطابت عقائدهم وطابت أخلاقهم وطابت مطاعهم ومشاربهم وطاب اعتقادهم فدخلوا جنة ربهم **سبحانه وتعالى**.

قال العلامة السعدي رحمه الله: {طَبِّتُمْ} أي: طابت قلوبكم بمعرفة الله ومحبه وخشيته، وألستكم بذكره، وجوارحكم بطاعته. {ف} بسبب طيبكم {ادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} لأنها الدار الطيبة، ولا يليق بها إلا الطيبون. انتهى كلامه

لهذا ينبغي على العبد أن يكون من هذا الصنف الطيب وأن يطيب أعماله؛ حتى يدخل الجنة طيباً، فإنَّ الجنة طيبة، وهي دار الطيبين لا يدخلها إلا إذا طُهر العبد ونُفِّح من الخبائث، فإذا طُيب مما يشينه دخل الجنة قال الله سبحانه: ﴿سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ طَبَّتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

إنَّ الجنة أيها العبد طيبة ولا يدخلها إلا الذين طابت عقائدهم فتقربوا إلى ربهم سبحانه وتعالى بالعقيدة الطيبة بالعقيدة الصالحة التي يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه وتعالى.

علموا أن الله عز وجل لا يقبل من الأعمال إلا طيباً فطابت عقائدهم، وقفوا عند قول ربهم سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥].

هذه الكلمة الطيبة هي كلمة التوحيد فطابت أنفس المؤمنين بها، وطابت قلوب المؤمنين بها، وطابت ألسن المؤمنين بذكرها، فاعتقدوها وعملوا بها وسعوا في تحقيقها قولاً وعملاً واعتقاداً؛ فطابت هذه النفوس بتوحيد ربهم سبحانه وتعالى، فحق لهم أن يدخلوا تلك الجنة الطيبة التي أعدها الله سبحانه وتعالى للطيبين.

وعلموا أن الشرك بالله عز وجل خبيث فابتعدوا عنه، وأنه ظلم للنفس فابتعدوا عنه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٨٢].

فنزها ربهم سبحانه وتعالى من كل نقيصة، ووحده ولم يعبدوا غيره، ما صرفوا شيئاً من أنواع العبادات لغير الله عز وجل، هكذا طابت عقائدهم في جميع أمورهم، وفي جميع عباداتهم؛ فاستحقوا تلك الدار الطيبة التي أعدها الله عز وجل للطيبين، فهم عاملون بقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِن صَلَائِي وَنُفْسِي وَمَمَاقِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ١٦٢] - لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين [سورة الأنعام: ١٦٢] - فلما قرأوا هذه الآية عبدوا ربهم عز وجل حق العبادة، وقاموا بما أمرهم الله سبحانه وتعالى، فطابت أنفسهم وكانوا طيبين.

تلك الدار الطيبة التي طابت للمؤمنين الذين طابت أخلاقهم، علموا قول ربهم سبحانه وتعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾، وأن الله عز وجل يأمر بالإحسان بالأقوال والأفعال فطابت أخلاقهم، لأنهم يعلمون أن تلك الدار هي منازل من طابت أخلاقهم وحسنت أخلاقهم، وقد ثبت عند البخاري من حديث عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا»، وجاء عند الترمذي من حديث جابر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْسَنُكُمْ أَخْلَاقًا».

أي أطايكم خلقاً هم الذين يقتربون من نبيهم عليه الصلاة والسلام، فطابت أخلاقهم مع الناس مع جيرانهم، مع آباءهم ومع أمهاتهم ومع أقاربهم وأرحامهم. تلك الدار الطيبة التي طابت للمؤمنين الذين طابت أقوالهم؛ مع أصدقائهم ومع إخوانهم ومع كل الناس، لأنهم يعلمون أن لا يصعد إلى الله إلا الكلام الطيب، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [سورة فاطر: ١٠].

قال العلامة السعدي: قوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ من قراءة وتسبيح وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب، فيرفع إلى الله ويعرض عليه ويشني الله على صاحبه بين الملائكة الأعلیٰ ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ من أعمال القلوب وأعمال الجوارح ﴿يَرْفَعُهُ﴾ الله تعالى إليه أيضاً، كالكلم الطيب. انتهى كلامه فالطيب سبحانه وتعالى لا يقبل إلا طيباً، قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ طَيْبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيْباً". رواه مسلم عن أبي هريرة.

ولما كان ربُّ العالمين طيباً؛ هدى عباده الصالحين القول الطيب، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [سورة الحج: ٢٤]. والكلام الطيب على نوعين طيب لذاته وطيب لغايته، أما الكلام الطيب لذاته، فهو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والقرآن وكل القول الطيب الذي يتقرب به إلى ربنا سبحانه وتعالى هذا طيب لذاته، وتجد العبد المؤمن الطيب دائماً ما يلهج لسانه بهذا الكلام الطيب لأنه يطيب أنفاسه بذكر الله سبحانه وتعالى،

وأما الطيب لغايته، فهو إحسانه للناس بالقول سواء لوالديه، أو لأقاربه، أو لجيرانه يقول لهم كلاماً طيباً لأنه يعلم أنَّ هذا الكلام الطيب يكتب له به صدقة، ويأجره الله سبحانه وتعالى عليه كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة: "والكلمة الطيبة صدقة"، فهو يعلم هذا، فيتقرب إلى ربه سبحانه وتعالى بالكلام الطيب المبارك بكل أنواعه فطابت نفوسهم فحقَّ لهم تلك الدار التي يدخلوها طيبين. ﴿الَّذِينَ تَوْفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ﴾.

لأنهم طابت أنكحتهم حتى في جماعهم وفي وطئهم، إنما يقضون وطئهم بما أحل الله سبحانه وتعالى في زوجاتهم ولم يقربوا الزنا ولم يقتربوا من اللواط ولم يرتكبوا الفواحش والمنكرات، ولم يفعلوا العادة السرية التي صارت خُلُقاً لكثير من الشباب إلا من رحمه الله سبحانه وتعالى، لم يعتدوا وصبروا على حرِّ الشهوة حتى أعانهم الله على الزواج؛ ففوضوا وطئهم فيما أحله الله عز وجل لهم.

طابت أعينهم فلم ينظروا إلى الحرام، طابت أسماعهم فلم يسمعوا إلى الحرام، فطابت فروجهم، لأنهم يعلمون أنَّ أكثر ما يدخل الناس النار هو هذا الفرج كما ثبت عند الترمذي من حديث أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار، فقال: «الْفَمُّ وَالْفَرْجُ».

فلهذا زكت فروجهم ولم يتعدوا حدود الله سبحانه وتعالى، وامثلوا قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٢]، فإنَّ الله سبحانه ذكر من صفات عباده الطيبين فقال عز من قائل: ﴿وَالَّذِينَ

هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ [سورة المؤمنون: ٥-٦].

فلم يعتدوا على حُرُمات الله، ولم ينظروا إلى ما حرم الله، لأنهم يعلمون قول ربهم سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ وَيَحْفَظُونَ فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة النور: ٣٠]، أي ذلك أطيب لهم وأطهر لو علمت يا من تفعل تلك العادة السرية ما فيها من الموبقات والمهلكات، وما توقعك فيه من إغصاب ربك سبحانه وتعالى لا بتعدت عنها، أو لا يكفي أنها تشوه صورتك، فلا تكون طيبة سواءً في الدنيا، أو في الآخرة تجد الذي يرتكب هذا المنكر العظيم تجد وجهه أسود ليس بطيب؛ لأن الله سبحانه وتعالى طيب، وإنما يكون النور على الطيبين، فانتبه يا عبد الله وابتعد عما حرم الله سبحانه وتعالى.

﴿الَّذِينَ نَوَّغَهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَبِيعًا﴾، حتى في اختيارهم للزوجة؛ اختاروا الزوجة الطيبة التي أمرهم الله عز وجل بها، والتي دهم نبيهم عليه الصلاة والسلام عليها، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلی الله علیه وسلم قال: "تُنْكِحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ: لِمَاهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَاهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبْتُ يَدَاكَ"، أي اظفر بالطيبة المباركة، اظفر بالصالحة النقية، وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال صلی الله علیه وسلم: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»، المرأة الطيبة النقية التي اختاروها لتكون أمًّا لأولادهم، ولتربي لهم جيلاً طيباً مباركاً ليكون هذا الجيل طيباً، ولا يكون طيباً إلا إذا كان من غرسٍ طيبٍ، ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ

يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، بِإِذْنِ رَبِّهِ، وَالَّذِي خَبَثَ لَا يُخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ [سورة الأعراف: ٥٨].

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

يقول ربنا **سبحانه وتعالى** في محكم كتابه: ﴿الَّذِينَ نُّوْفِقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾، إِنَّ الكلام عن هؤلاء الطيبين ليطول به المقام؛ لأنَّ الطيب يسعد الإنسان إذا تحدث عنه، بل وإذا نظر إليه، فَإِنَّهُ يفرح به ويأنس به ويسعد به، لأنه طيب، طَيَّبَ نفسه وأعماله؛ فطيبه الله عز وجل، وجعله مباركاً أينما كان ﴿الَّذِينَ نُّوْفِقُهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾، هم الطيبون الذين طابت مآكلهم مشاربهم، فلم يأكلوا إلا ما أحل الله عز وجل لهم علموا أن الله عز وجل أحل لهم الطيبات فلم يتعدوها إلى غيرها، قال سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [سورة المائدة: ٤].

فأكلوا من هذا الطيب ولم يأكلوا من الخبيث الذي حرمه الله، ولم يأكلوا ما كان فيه شبهة؛ بل تورعوا عنها وتركوها لله، لأن الشبهة قد تقود العبد إلى أن يقع في الحرام وفي الصحيحين عن النعمان بن بشير أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ الْحُلَالَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحُرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحُرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

فاجتنب هؤلاء الطييون المحرمات وأكلوا من الطيبات؛ لأن النبي ﷺ لما وصفه الله عز وجل قال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٧].

فبالله عليك يا من تأكل من الحرام؛ هل القات طيبٌ حتى تبقي نفسك طيبة حين تلقى ربك؟

بالله عليك يا من تشرب الدخان؛ هل الدخان طيب حتى تطيب عند ربك؟
 بالله يا من تشرب التمباك والشمة وغيرها؛ هل هذه من الطيبات حتى تطيب عند ربك **سبحانه وتعالى**؟ ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ [سورة المائدة: ٤].

وقد أمرنا الله بالأكل من الطيب ونهانا عن الخبيث، فقد روى مسلم من حديث أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١] وَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢] ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ

أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَعُذِّي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟».

فيا أيها المسلم الطيبات كثيرة أحلها الله لك، طيب نفسك بارك الله فيك، طيب فمك، طيب قلبك، طيب معدتك بالأكل مما أحله الله لك من المأكّل والمشارب، فَإِنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَتُسْأَلُ عَنْ هَذَا الْمَأْكُلِ وَعَنْ هَذَا الْمَشْرَبِ مِنْ أَيْنَ أَكَلْتَهُ، وَمِنْ أَيْنَ شَرَبْتَهُ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَقُولُ: ﴿وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [سورة الصافات: ٢٤].

فنسأل الله أن يجعلنا من الطيبين، وأن يحشرنا معهم، وأن يلحقنا بمن تقدم منهم، والحمد لله رب العالمين.

معاول هدم صرح الأخوة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

معاشر المسلمين إِنَّ نِعْمَ اللَّهُ **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** على عباده كثيرة، وقد ذكر ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** عباده بنعمة كثيرا نذكرها. وكثيرا ما نذكرها في دروسنا وفي محاضراتنا وفي خطبنا. وكثير من الوعاظ يذكرونها كذلك كثيرا لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** ذكر عباده بها فوجب علينا نحن أيضا أن نذكر أنفسنا بهذه النعمة العظيمة.

وهي ما ذكرها ربنا **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** في قوله عز وجل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

فالأخوة في الله نعمة جليلة جدا. يذكر الله -عز وجل- بها عباده. المؤمنين لأنهم الوحيدون الذين يجتمعون على محبة الله وعلى الإخوة في الله، وأما كثير من أهل الدنيا وإن رأيتهم يتآخون ويتحابون فإنها أخوة كاذبة ومحبتهم كاذبة؛ لأنها لأجل الدنيا، ولأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَلَّفَ بين قلوب المؤمنين ولم يؤلف بين قلوب غيرهم.

واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم، وقال -**سبحانه وتعالى**-: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبَصِيرَةٍ وَالْمُؤْمِنِينَ﴾ [٦٢] ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٦٢-٦٣].

استمع إلى هذه الآية. واجعلها محلا لسمعك ولقلبك، فإن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أَيْدَ نبيه عليه الصلاة والسلام بأمرين عظيمين: **الأمر الأول**: هو تأييده -**سبحانه وتعالى**- لنبيه عليه الصلاة والسلام بالمؤمنين، وأما **الأمر الثاني**: هو أن أَلَّفَ بين قلوب المؤمنين، فهذه نعمة عظيمة جدا يمتن الله عز وجل بها على نبيه وعلي سائر المؤمنين، ثم قال: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ

اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴿٣٤﴾ فالتأليف بين القلوب أمرٌ ليس بالشيء اليسير؛ بل هو أمر عظيم جداً، لهذا امتن الله - عز وجل - به على نبيه عليه الصلاة والسلام. ولهذا ينبغي علينا معاشر الناس أن نحافظ على إخواننا الإيمانية. فإنها أقوى من إخوة النسب، فأخوك الذي من أبيك وأمك يوم القيامة تفر منه ويفر منك، قال الله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۚ وَصَدِّيقِهِ ۚ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس: ٣٤-٣٧]، أما أخوك في الدين فإنه يجادل عنك يوم القيامة جداً عظيماً، وتستمر محبتكم ولقاءكم حتى يوم القيامة، قال سبحانه: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف: ٦٧].

فلهذا اعلم يا عبد الله أن هذه الإخوة لا يمكن أن توجد ولا أن تكون إلا بين المؤمنين الذين كمل إيمانهم، فمن نقصت أخوته نقص إيمانه بقدر ذلك، لما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عليه رضوان الله أن النبي - ﷺ - قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»، فإن لم تحب لأخيك ما تحب لنفسك فلست كامل الايمان بل أنت ناقص الايمان.

فمن أراد أن يعرف التلازم بين الايمان وبين الأخوة فليقف مع هذا الحديث وليسمع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١٠].

فمن زعم أنه تقي وأنه مؤمن نقي وهو لا يحب في الله؛ فهذا إيمانه فيه ضعف وتقواه ليست بذاك، ولهذا تجد كثيرًا من أصحاب الدنيا وإن اجتمعت أبدانهم لم تجتمع قلوبهم، لأن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** إنما يؤلف بين القلوب إذا اجتمعت الأجساد على طاعته، والقلوب على محبته، وفي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا**، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يَقُولُ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اتَّكَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ».

فأصحاب الدنيا وإن جمعتهم المصالح تفرقهم المصالح أيضا، أما المؤمنون لا تفرق أخوتهم شيء أبداً - بإذن الله تعالى - إلا من كانت أخوته ليست بذاك، وليس صادقا في أخوته، ولهذا النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - بين شأنا عظيما في أمر الاخوة، وهو أن العبد لا يجد طعم الإيمان ولا يجد حلاوته إلا إذا صدق في أخوته مع أخيه، روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ طَعْمَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبِّ الْعَبْدَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»، فاذا أحببت أخاك في الله ومن أجل الله كانت هذه الأخوة عظيمة. ولسنا في هذا الموطن بصدد ذكر حق الأخ على أخيه فإنها كثيرة، منها زيارته ومنها محبته ومنها أن يحب له ما يحب لنفسه ومنها أن يكره له ما يكره لنفسه لسننا في هذا الصدد إنما نحن في صدد أمر عظيم وشأن عظيم ألا وهو الأمور والمعاول التي تهدم في صرح الإخوة.

فالأخوة في الله - عز وجل - صرح شامخ وبناء عال لا يهدمه إلا من تسليح بهذه المعاول التي تهدم أخوته مع إخوانه وهدم أخوته مع أخيه فلا يبقى له أخ، فلهذا

ينبغي على العبد المؤمن الصادق الذي عنده إخوة يحبهم في الله ويحبونه أن يعرف هذه المعاول التي تهدم صرح الإخوة وتكسرهما.

ومن أعظمها وأجلها هو معول الكبر والاستعلاء، فهذا المعول الذي يهدم صرح الإخوة كثيرًا، فإذا تكبر الأخ على أخيه واستعلى الأخ على أخيه خرجت الإخوة من بينهم ولم تبق، ولهذا الله - سبحانه وتعالى - يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الشعراء: ٢١٥]، ويقول ربنا - سبحانه وتعالى - لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْ بِهِ لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة النازعات: ١٥٩].

أنت إذا استعلت واستكبرت على أخيك وجعلت تنظر له بنظرة احتقار وتكبرت عليه ذهبت أخوتكم أدراج الرياح، وتذكر قدر نفسك وما جعل الله فيك من الضعف والعجز.

نظر مطرف بن عبد الله إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة فاخرة يسحبها ويمشي بالخيلاء فقال له يا أبا عبد الله ما هذه المشية التي يبغضها الله ورَسُولُهُ فقال له المهلب: أو ما تعرفني؟ قال: بلى أعرفك أولئك نُطْفَةٌ مَذْرُوءَةٌ وَآخَرُكَ جَيْفَةٌ قَذْرَةٌ وَحَيَاتُكَ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بَوْلٌ وَعَذْرَةٌ، فَخَجَلِ الْمُهَلَّبُ وَأَطْرَقَ مِنْهُ حَيَاءٌ.

فمن أنت؟ أنت إنما خلقت من نطفة تجري من مجرى البول خرجت من ذلك المكان الذي يجري منه البول، وأنت في آخرك إنما أنت جيفة قذرة لا يقبلك أحدٌ بعد موتك ساعة بجوارهم، بل يذهبون بك مباشرة إلى تلك الحفرة، الناس لم يتحملوا

تنتك، وأنت في حال حياتك في جوفك وفي أحشائك البول والعدرة أي الغائط،
فعلي ماذا تتكبر؟

فعلي ماذا يتكبر أحدنا على أخيه؟ ونحن على هذا الحال انتبه لهذا الأمر العظيم،
فينبغي علينا أن يتواضع بعضنا لبعض ويرفق بعضنا ببعض ويجب بعضنا بعضاً فهذه
هي صفة المؤمنين، قال الله سبحانه: ﴿ثُمَّ حَمَّذُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ
رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجِدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ
السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٩].

ومن أعظم معاول هدم الإخوة هي السخرية والاستهزاء بالأخ، انتبه يا عبد الله
فإن من أعظم نعم الله التي يمتن بها عليك أن تجد أخا صادقاً في هذا الزمان لأن
أخاك من أهلك وأهلك يتركك إلا القليل النادر، فأحياناً يتركك بسبب الميراث،
وأحياناً بسبب إفساد الزوجات لما بين الأخوة، يحصل خلاف بين الزوجات فيترك
الأخ أخاه ويهجره ولا يكلمه ولا يقربه، فهو لاء من أب وأم من نسب واحد ومع
ذلك يتفرون بسبب الدنيا.

فأنت إذا أنعم الله عليك بأخ صادق مؤمن يجب لك الخير لا تسخر منه، ولا
تستهزئ به، لا تسخر منه لا بلباسه ولا من كلامه ولا تسخر من مشيته ولا من
طريقة أكله ولا تسخر منه بشيء أبداً، فإياك ثم إياك ثم إياك أن تقول أنا ما أقصد أنا

ما قصدت السخرية أنا ما قصدت الاستهزاء به، أنا إنما كنت أمزح معه، ولا أقصد جرحه ولا الاستهزاء به، فهذا مما لا ينبغي، لأن الأخ ليس له منك إلا ما ظهر، ولم يؤمر أن يشق على قلبك. لينظر أكان هذا حقاً من قلبك؟ أم ليس كذلك، هل كنت تمزح أم لا.

فلهذا ينبغي على المؤمن أن لا يسخر من أخيه أبداً، فهذه السخرية تجعلك تخسر أخاك، تخسر صاحبك بسببها، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى مؤدباً عباده وموجهاً لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة الحجرات: ١١].

انظر إلى هذه الآداب العظيمة التي أدبنا بها معاصر المؤمنين، المؤمن لا يسخر أبداً من أخيه، وفي الصحيحين عن أبي ذر أنه قال: «كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِّنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرَتْهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ سَبَّ الرَّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَالْبَسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِن كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ».

فقلوه: "إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ" أي: أنت في تعبيره بأمه على خلق من أخلاقهم؛ لأنهم كانوا يتفاخرون بالأنساب، وليس المقصود الوقوع في الكفر، وإنما التنبيه على أن هذه المعصية من أخلاق الكفار وأهل الجاهلية.

ومن معاول هدم الاخوة لهو سوء الظن بالأخ، أن تسيء الظن بأخيك. لمجرد أن يُنقل اليك كلام من تمام تبني على ذلك أحكامًا وتسيء الظن بأخيك، وتحمل عليه المحامل هذا مما لا يجوز شرعًا، وليس هذا الناقل لك هذا الكلام بمحسنٍ كما قد يقول بعضهم، وأنه يريد لك الخير؛ بل هذا فاسقٌ بفعله هذا، استمع لقول الله - عز وجل - وهو ينادي معاصر المؤمنين فيقول - **سبحانه وتعالى** - : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٦].

يأمرك الله - **سبحانه وتعالى** - بالتثبت في أي أمر وصل اليك، وفي أي كلام نُقل لك؛ ولو كان هذا الذي نقله ثبت عندك، فلا تحمله على ذلك المحمل ولا تظن بأخيك إلا خيرًا، ولنجتنب كثيرًا من الظنون فإنها تقود إلى التحسس والتجسس، قال ربنا - **سبحانه وتعالى** - : ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَبُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

اجتنب كثيرًا من الظن لأن في بعض الظن إثم، فالبعض هذا قد يوقعك في الكثير، فإذا اجتنبت الكثير ذهب القليل إن شاء الله تعالى، والنبي ﷺ يقول كما في

الصحيحين من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَنَافَسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا».

والمراد النهي عن ظن السوء فالمحرم في الظن هو ما يستمر صاحبه عليه ويستقر في قلبه، وأما ما يعرض في القلب ولا يلتفت إليه صاحبه فهذا لا يؤثر إن شاء الله تعالى.

فلهذا ينبغي على العبد ألا يظن بأخيه إلا خيراً، مهما أتاك من كلام فيجب عليك أن تحمله على المحمل الحسن الذي تحبه وترتضيه أنت لنفسك.

الخطبة الثانية

الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله. وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد. **ومن أعظم معاول هدم الاخوة هو تذكر الماضي**، فإنك قد ترى بعض الأخوة يستقيم على دين الله - **سبحانه وتعالى** - ويترك ما كان عليه من المعاصي ويترك ما كان عليه من الآثام. ويترك ما كان عليه من الطريق السوء، لكن بعض إخوانه لا ينسون له ذلك، وإذا حصل شيء بينهما قال هذا كان من صفته كذا وكذا، وجعل يذكر ماضيه الذي كان عليه، هذا كان حزيناً، كان مع الجمعيات، كان ينظر إلى المحرمات، كان كذا وكذا.

الرجل قد تاب وقد رجع الى الله فما ينبغي لإنسان أن يقلب ماضي الذكريات على أخيه، ويظل يعد عليه ما حصل من قبل توبته، وهذا كانت صفته وهذا كان من أمره، وهذا كان من شأنه، هذا لا يجوز أبداً، ومن تاب تاب الله عليه، هو قد رجع الى الله - عز وجل وأنت ما نسيت، الله - **سبحانه وتعالى** - يستر ويغفر، وأنت ما تنسى، تظل تعير أخاك بذنب قد تاب منه ولا تنساه له، هذا مما يهدم أخوتك معه، ولا تبقى الاخوة بينكم، لهذا تنبه يا عبد الله لهذا الامر العظيم، وتذكر أنك كنت كذلك عندك من المعاصي والذنوب والمخالفات التي لا تحب لأحد أن يعيرك بها، قال الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِندَ اللَّهِ

مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ يَكُنِ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ [سورة النساء: ٩٤].

ومن أعظم معاول هدم الاخوة ألا وهو النصيحة في الجماعة، فإن كثيراً من الناس
تجده إذا أراد أن ينصح أخاه نصحه بين الملاء، وبين الناس، وهذا قد يحمل الآخر على
عدم الاستجابة، والنصيحة على الملاء فضيحة، فالنصيحة يجب أن تكون بأدب وترو
حتى لا تتبدل إلى معايرة أو سبة، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمُ بِالنِّبَايَ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل: ١٢٥].

فالدين كله نصح، سواء بما يخص الصلاة أو الصيام أو ذكر الله أو التسييح أو
قيام الليل، لكن لابد من حسن النية، والتأكيد على المحبة في الله، وليس لإظهار
قوة المعرفة أو الفضح على الملاء.

ولهذا جاء عن الإمام الشافعي - رحمه الله - أنه قال:

تعمدني النصيحة في انفرادٍ وجنبي النصيحة في الجماعة
فإنَّ النصح بين الناس نوعٌ من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت أمري فلا تجزع إذا لم تعط طاعة
بمعنى إذا لم أطعك ولم أجبك ولم أعمل بنصحك لا تلمني؛ لأنك ما جنبني هذا
النصح بين الجماعة، فلهذا إذا أردت أن تنصح انصح على انفراد، وانظر لما ثبت في
الصحيحين عن أنس بن مالك قال: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ
جَاءَ أَعْرَابِي فَقَامَ يَبُولُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مَهْ مَهْ، قَالَ: قَالَ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُزِرْمُوهُ دَعْوُهُ» فَتَرَكُوهُ حَتَّى بَالَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَدَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ».

فانظر إلى هذا الرفق وإلى هذا الخلق الجميل وكن عليه يؤتيك الله خيراً في الدنيا والآخرة.

فإذا أخطأ أخوك فتحمل له يا أخي ثم خذه لو حده وانصحه، هذا أمر لا يوفق له إلا من وفقه الله - عز وجل -.

ومن أعظم معاول هدم الإخوة هو الخوض والجدال عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ»، ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٥٨].

فالجدال يشحن الصدور ويضيق النفوس، فبعض الإخوة - هداة الله - يجادل على مسألة فقهية خلافية ويريد أن يمضي كلامه، وأن الجميع يأخذ بقوله، فيظل يجادل، حتى تدخل الشحناء في النفوس، وهذا ما هو صحيح، هذا تخسر به أخاك.

قال الإمام الشافعي رحمه الله: المراء في العلم يقسي القلوب، ويورث الضغائن وقال البرهاري - رحمه الله -: المجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة.

أنت يا أخي حتى إذا نصحت إنساناً من عامة الناس بأمر من أمور الدين، فإنه ليس عليك هداة وليس عليك إجبار قلبه على الهدى، أنت تناصحه وتطرح عليه

الحجة بالدليل والبرهان، فتقول له يا أخي يقول النبي - ﷺ - كذا وكذا والله - عز وجل - يقول كذا وكذا، بدأ يجادلك ويدخل من هنا ويدخل من هنا دعه ولا تكثر جداله، فليس عليك هداهم، هذا في عامة الناس فكيف بأخيك السلفي الذي معك على المنهج القويم وإنما قد تختلف معه في مسألة من المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد، ينبغي أن تكون أرعى لحال اخوتك معه.

وما أحسن ما نُقِلَ عن الشافعي، فقد قال يونس الصديقي: «مَا رَأَيْتُ أَعْقَلَ مِنْ الشَّافِعِيِّ؛ نَازَرْتُهُ يَوْمًا فِي مَسْأَلَةٍ ثُمَّ افْتَرَقْنَا، وَلَقِينِي فَأَخَذَ بِيَدِي ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى؛ أَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ نَكُونَ إِخْوَانًا وَإِنْ لَمْ نَتَّفِقْ فِي مَسْأَلَةٍ».

فكم رأينا من إخوة على الطريق القويم يدخلون في أمر وجدال على أمر قد يكون من أمور الدنيا، ويتجادلون وما يخرجون إلا وهم أعداء؛ هذا ما يصلح هذا مما لا ينبغي.

ومن أعظم معاول هدم الإخوة هو إفشاء الأسرار، فإذا ائتمنتك أخوك على سر إياك أن تفشيهِ، إياك أن تخبر به غيرك وتفشي سر أخيك الذي ائتمنتك عليه.

فتجد بعض الأخوة ممن تأمنه على سرِّك وتقول له ما أريدك تخبر به أحداً، يبقى بيني وبينك، فيخرج هذا من عنده ويلقى أحداً آخر فيقول له: قال لي فلان كذا وكذا، ولكن لا تخبر أحداً، وهذا يذهب إلى واحد آخر وحصل من فلان كذا وكذا وقال لي لا تخبر أحداً، انتبه لا تخبر أحداً، ولا تدري إلا وقد انتشر الخبر بين الناس، وافتضح السرُّ، وكل واحد يقول لا تخبر أحداً، أين السرُّ؟

كل سر جاوز الاثنين شاع السر، فإذا جاوز السر الاثنين شاع بين الناس، فإذا
 اتّمتك أخوك على سر انتبه عليه ولا تُفْشِهْ لأحد، روى أبو داود والترمذي عن جَابِرِ
 بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ التَفَتَ
 فَهِيَ أَمَانَةٌ».

ثم التفت يعني ينظر هل يسمعهم أحد؟ فإنها أمانة، يعني يكلمك بأمر ويلتفت
 أنه ما في أحد معكم يريد أن يكلمك على سر، أحيانا على سر في بيته، وما تدري إلا
 وقد أخرجه.

بالذات معاشر النساء هذا أمر تقع فيه كثير من النساء، فالمرأة تأمن أختها على
 أمر ما تدري إلا وقد فضحته ونشرته بين النساء، وكل واحدة تقول لمن تخبرها: لا
 تخبري أحدا.

هذه أمانة ومن فعل ذلك فقد خان الأمانة.

ومن أعظم معاول هدم الإخوة هو كثرة المعاتبة، فبعض الأخوة كلما لقي أخاه
 عاتبه يا أخي أنت صفتك أنت كذا أنت كذا، لا تكثر المعاتبة لأنه لا يخلو أحد من
 إثم ولا يخلو أحد من نقص ولا يخلو أحد من عيب.

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
 فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَوُجَابُهُ
 وهذه دعوة إلى التغافل والتغاضي عن عثرات وزلات الأخوة في الله، وعدم تتبع
 الأخطاء، فإنَّ الإنسان لن يجد أحًا في الله من دون عيوب، فالمرء كما تصدر منه أشياء

إيجابية قد يقع في بعض المفوات أو الزلات، فعلينا تخطيها وتجاوزها وعدم الوقوف وإلقاء اللوم على كل صغيرة.

فإذا كنت معاتباً لأخيك في كل أمر، وأنت وأنت ما سيبقى معك صاحب، ما سيبقى لك أخ، لأننا كلنا ذو عيوب، فاحمل لأخيك وتغافل عن أخطائه التي لا تضر بالمنهج ولا بسيره على هذا الطريق، واحمل لأخيك كثرة كلامه وإعادته للكلام فالعافية كلها في التغافل.

قال عثمان بن زائدة: قلت للإمام أحمد: العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل، فقال: "العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل"

والمعنى تكلف الغفلة مع العلم والإدراك لما يتغافل عنه تكرماً وترفعاً عن سفاسف الأمور.

ومن هذه المواقف الجليلة في أدب التغافل، وعدم كثرة المعاتبة ما ذكره ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح قال: إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأن لم أسمعه قط وقد سمعته قبل أن يولد.

ما أجمل هذا! فإنه لم يكسر بخاطره ولم يقل له هذا الكلام قديم وأنا قد سمعته قبل أن أعرفك، ولا غير ذلك، وهذا من حسن تعاملهم مع إخوانهم.

وإن وقع في أمر يضُرُّ سيره على هذا الطريق، وعلى المنهج كان النصيح برفق ليكون أوقع في النفس، وأحمل على الاستجابة.

فيأياها الأخوة ينبغي علينا أن نحافظ على إخواننا في الدين، على أخوتنا الإيمانية، وأن لا نفسدها بمعاول الهدم التي تهدم أخوتنا، وتدخل الشقاق بيننا، بل نحرص

على زيادة هذه الأخوة ونمائها، وأن يحسن كل واحد منا لأخيه، حتى يجمعنا ربنا
 سبحانه وتعالى تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، ففي الصحيحين عن أبي هريرة
 (رضي الله عنه)، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» ثم
 ذكر منهم: «وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ».

أسأل الله أن يديم محبتنا لإخواننا ومشايخنا وعلمائنا، وأن يجعل هذه المحبة
 خالصة لوجهه.

والحمد لله رب العالمين.

وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

ذُنُوبِكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عليه رضوان الله أن النبي - ﷺ - : "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَيُنْذِرُهُمْ شَرٍّ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ، وَإِنْ أُمَّتُكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ، وَأُمُورٌ تُنْكَرُونَهَا، وَتَحْيِيءُ فِتْنَةً فَيَرْفُقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَحْيِيءُ الْفِتْنَةَ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ: هَذِهِ مُهْلِكَتِي، ثُمَّ تَنْكَشِفُ وَتَحْيِيءُ الْفِتْنَةَ، فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ:

هَذِهِ هَذِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزْخَرَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ."

هذا الحديث العظيم ذكر فيه النبي -ﷺ- قاعدة وحكمة جليلة قال الإمام
النووي -رحمه الله-: هذا من جوامع كلمه -ﷺ- وبديع حكمه، وهذه قاعدة
مهمة فينبغي الاعتناء بها وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس إلا ما يحب أن
يفعلوه معه. انتهى كلامه رحمه الله

فما هذه وما هذه القاعدة التي صارت منهاجاً للمسلم الذي ينبغي أن يسير
عليه. لهي قول النبي -ﷺ-: "وَلِيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ" والمقصود
من هذه القاعدة الجليلة أن على العبد المسلم أن يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه،
وأن يأتي إليهم وأن يعطيهم ما يحب أن يأتيه منهم، فيلزم في معاملاتهم ما يحب أن
يعامله الناس به.

فلا بد للعبد أن يكون مع خلق الله -عز وجل- كما يحب أن يكون خلق الله معه.
ثم تخيل يا عبد الله فوق هذه القاعدة الجليلة ما هو أعظم منها وأجل! وما هو
أجمل منها وأعظم! وهي أن تأتي إلى الناس وأن تعامل الناس بما تحب أن يعاملك الله
-عز وجل- به؛ فإن الجزاء من جنس العمل.

فاعامل الناس بما تحب أن يعاملك الله -عز وجل- به، فإنه على قدر ما تعامل
الناس بالخير، وعلى قدر ما تبذل لهم المعروف؛ على قدر ما يأتيك من ربك -سبحانه
وتعالى- والجزاء من جنس العمل.

ولهذا انظر إلى كثير من خلق الله كيف يحبون أن يُرزقوا وأن يُنفق عليهم وأن الناس يعطونهم من مال الله الذي أعطاهم، لكنهم لا يعاملون الناس بهذه المعاملة التي يحبون أن يعاملهم الله - عز وجل - به.

ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ"، فعلى قدر ما تنفق في وجوه الخير. وعلى قدر ما تبذل في وجوه الناس من الإحسان إليهم بالإنفاق والصدقات على قدر ما ينفق الله - سبحانه وتعالى - عليك، يقول - سبحانه وتعالى -: ﴿قُلْ إِنْ رِئِيَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سورة سبأ: ٣٩].

فعلى قدر ما تنفق على الناس على قدر ما يفتح الله - عز وجل - عليك أبواب فضله - سبحانه وتعالى -، فإن ربنا - سبحانه وتعالى - بيده مفاتيح الخير، وبيده - سبحانه وتعالى - خزائن السماوات والأرض، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُتْسِكًا تَلَفًا"، فمن انفق في وجوه الخير زاد الله - عز وجل - في ماله وأنفق عليه، وفتح الله عليه أبواب فضله، ومن أمسك وبخل فإنها يبخل على نفسه، يقول ربنا - سبحانه وتعالى -: ﴿هَاتِمَتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾ [سورة محمد: ٣٨].

فمن بخل بهاله عن عباد الله **سبحانه وتعالى** فإن الله - **سبحانه وتعالى** - يمسك عنه خزائنه ولا يعطيه ويمنعه فضله **سبحانه**.

وانظر إلى كثير من الذين صاروا يعاملون الناس معاملة وحشية فلا يرحمونهم بل يظلمونهم، هذا يأكل مال هذا وهذا يسرق هذا وهذا يظلم هذا، ما تراحم الناس فيما بينهم ثم تجدهم يرجون رحمة الله - عز وجل -.

ثبت عند أبي داود عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قَالَ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ أَرْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ».

وجاء عند أحمد عن مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَا ذَنْبُكَ الشَّاةُ وَأَنَا أَرْحَمُهَا أَوْ قَالَ إِنِّي لَا رَحِمَ الشَّاةُ أَنْ أَذْبَحَهَا فَقَالَ: "وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمَتْهَا رَحِمَكَ اللَّهُ"

على قدر رحمتك بالمخلوقين على قدر ما يرحمك الله - **سبحانه وتعالى** -، وأما من أضرب بخلق الله فإن الله - **عز وجل** - يعامله بنقيض قصده، بمعاملته التي عامل بها خلقه.

فقد روى أبو داود عن أَبِي صِرْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ صَارَ أَضَرَّ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ».

والمقصود أن الجزء من جنس العمل، فإذا كان العمل فيه ضرراً بالغير، فالجزء أن يحصل له الضرر من الله، وكذلك إذا كان فيه مشقة على غيره منه فيكون الجزء أن يحصل له مشقة من الله عز وجل، وقد جاءت أحاديث بمعناه مثل قوله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** -:

«اللَّهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».

إذا انتبه يا عبد الله لا تقل ما لفلان ما يرحم الناس، إن كنا لا نتراحم فيما بيننا، فكيف نسأل ربنا - **سبحانه وتعالى** - أن ينزل علينا من فضله وأن ينزل علينا الخير من عنده، ونحن لا نتراحم فيما بيننا فترى هذا يُغلق بابَه في وجه جاره، وهذا لا يصل أرحامه، وهذا لا يصل أقاربه، وهذا يقطعهم ولا يسلم عليهم، أين تجد الرحمة التي أمرنا الله بها فيما بيننا حتى يرحمنا الله - **سبحانه وتعالى** -.

الله - **سبحانه وتعالى** - النبي عليه الصلاة والسلام يقول كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة عليه رضوان الله عن النبي - **ﷺ** - قَالَ: "إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللَّهُ: مَنْ وَصَلَكَ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكَ قَطَعْتُهُ"

وقوله: "الرَّحِمَ شَجْنَةٌ": أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، فهذه الرحم وهي القرابة، جعل الله لها حقاً، فمن وصلها وصله الله - عز وجل -، ومن قطع رحمه ولم يصل قرابته، قطعه الله، ومن قطعه الله فهو المقطوع مع عدو الله الشيطان الطريد الرجيم، ولو أراد الخلق كلهم صلته ونفعه، لم يفده ذلك.

يقول الله سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا

أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۚ﴾ [سورة محمد: ٢٢-٢٣].

فكان من جملة الأسباب التي لعنهم الله لأجلها أنهم قطعوا أرحامهم.

وهكذا قل في كروب الدنيا، فمن أزاح كربة من طريق أخيه أزاح الله كربه.

ثبت عند مسلم من حديث أبي هريرة، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

فانظر إلى هذا الامر العظيم من فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر عن معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة، الجزاء من جنس العمل.

فأنت تفك كربة الناس، والله - عز وجل - يفك كربك - يفك الله - عز وجل - أزمتك، يفك كربتك يوم القيامة فكيف في الحياة الدنيا؟ والله إن الله - سبحانه وتعالى - يفك عنك كربته فكيف بهذا الشأن العظيم وبهذا الأمر العظيم؟

فيجب على الناس أن يكونوا مع بعضهم كما يحبون أن يكون الله لهم وكما يحبون أن يفرج الله - عز وجل - عنهم في الدنيا والآخرة.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:
 ألا ولتعلم يا عبد الله أنك في كل معاملاتك مع خلق الله يعاملك الله - **سبحانه**
وتعالى -، حتى من ردك عن عرض أخيك، فمن ردَّ عن عرض أخيه شيئاً رد الله
 عن وجهه النار.

روى الترمذي عن أبي الدرداء **(رضي الله عنه)**، أَنَّ النَّبِيَّ - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ
 أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

لا إله إلا الله على أمر عظيم، أنت ترد عن أخيك، يأتي هذا ويطعن في أخيك
 المؤمن في أخيك السلفي في أخيك الصالح، فيقول: هذا كذا هذا كذا هذا صفته هذا
 فيه، فتقول له: اتق الله.

ما يجوز لك أن تتكلم فيه، هذا مما لا يرضي الله، ما علمنا عنه إلا خيراً ما علمنا
 عنه إلا كذا وكذا يرد الله - عز وجل - عنك النار يوم القيامة كما رددت عن عباده
 الصالحين المؤمنين، كما رددت عن أوليائه المتقين، كما دافعت عنهم في الحياة الدنيا
 ولو بكلمة يرد الله عن وجهك النار يوم القيامة والجزاء من جنس العمل.

وانظر لما قال رسول الله - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - يوم تبوك: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟» قَالَ
 رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ حَبَسَهُ بُرْدَاهُ وَالنَّظَرُ فِي عِطْفِيهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ بْنُ
 جَبَلٍ: بِئْسَ مَا قُلْتَ، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ
 - **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** - . رواه مسلم.

فانظر كيف ردّ معاذ بن جبل عن عرض أخيه المؤمن في هذا الموقف الصعيب.
 فيا أيها الكريم يا أيها المسلم يا من تحب لإخوانك الخير والهدى يا من تحب
 لهم السلامة يا من تسعى في حاجاتهم يا من تسع في أمورهم الدنيوية حتى تثبتها لهم؛
 أبشر بخير حال من ربك - **سبحانه وتعالى** -، فإنه من سعى في حاجة أخيه حتى
 يثبتها له وحتى تتم له بإذن الله - عز وجل - جعل الله - عز وجل - له أمرًا نحن
 بحاجة ماسّة له يوم القيامة ثبت عند ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله ابن عمر عليه
 رضوان الله أن النبي - **صلى الله عليه وسلم** - قال: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَمَنْ مَشَى
 مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ يَقْضِيهَا لَهُ، ثَبَّتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُلُ الْأَقْدَامُ».

الله أكبر! أنت في حاجة أخيك حتى تثبتها له، معه في أمر دنيوي، معه في موضوع
 قد أهمّه، معه في مظلمة عند فلان، معه في زواجة، معه في خطبة، معه في أي أمر كان
 مما هو مباح وليس فيه محذور، تسعى فيه لله - **سبحانه وتعالى** -، لا لتنال منه عرضًا
 من الدنيا، ولا لتنال شيئًا منه أبدًا، إنما لله وفي الله تسعى في إتمام هذا الأمر له حتى
 يتمه الله - عز وجل - له، ماذا يجعل الله لك؟ يثبت الله - عز وجل - قدمك على
 الصراط يوم تزل الأقدام، أنت بحاجة للثبات في ذلك الموطن العظيم، لا يثبتك إلا
 الله - **سبحانه وتعالى** - بسبب مشيك مع إخوانك ومن كان في عون أخيه كان الله في
 عونته.

هكذا يكون الإنسان مع عباد الله المؤمنين حتى في حبه لهم، فإنك إذا أحببت
 عباد الله الصالحين في الله ومن أجل الله يحبك الله، لا إله إلا الله ما فعلت شيئًا إنما

أُحِبَّتْ ذَلِكَ الصَّالِحَ لَصَلاَحِهِ، أُحِبَّتْ ذَلِكَ الْقَائِمَ بِأَمْرِ اللَّهِ، أُحِبَّتْ ذَلِكَ الْعَابِدَ لِلَّهِ -عز وجل-، يَحْبُكُ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ثَبَتَ عِنْدَ مَالِكَ فِي الْمَوْطَأِ. مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عَلَيْهِ رِضْوَانُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَجَبَتْ مُحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ". وَجَبَتْ أَيِ أَوْجِبَ اللَّهُ مُحَبَّتَهُ لَهُمْ تَفْضِلاً مِنْهُ وَإِكْرَاماً لَهُمْ لِمُحَبَّتِهِمْ عِبَادَةَ الصَّالِحِينَ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَجِبُونَ عِبَادَةَ اللَّهِ الصَّالِحِينَ يَجِبُونَهُمْ فِي اللَّهِ وَمَنْ أَجَلَ اللَّهُ؛ اللَّهُ -عز وجل- يَجِبُهُمْ وَالْجُزْءَ مِنْ جِنْسِ عَمَلٍ.

وَانْظُرْ لِمَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- قَالَ: "أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَتَيْنَ تَرْيِدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُدُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتُهُ فِيهِ"

اللَّهُ -عز وجل- يَحْبُكُ لَأَنَّكَ أُحِبَّتَ عَبْدَهُ الصَّالِحَ، هَذَا الْمَطْبِعُ لِأَمْرِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فَلْتَكُنْ مُحَبَّتَنَا لِلصَّالِحِينَ لِلْمُتَقِينَ الْعَامِلِينَ بِأَوَامِرِ اللَّهِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ -ﷺ- السَّائِرِينَ عَلَى نَهْجِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، فَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَكَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحُبِّكَ لَهُمْ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهَا». قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ

اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحْنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسٌ: «فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَزْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ».

ولهذا يقول الإمام الشافعي - رحمه الله -:

أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً
وَأُبْغِضُ مَنْ تَجَارَتْهُ الْمَعَاصِي وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ
إِيَّاكَ أَنْ تَبْغِضَ الصَّالِحَ الْعَابِدَ الْعَامِلَ بِأَمْرِ اللَّهِ فَيَبْغِضَكَ اللَّهُ، فَإِنْ الْجِزَاءُ مِنْ
جِنْسِ الْعَمَلِ إِنْ أَحْبَبْتَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ أَحَبَّكَ اللَّهُ وَإِنْ أَبْغَضْتَهُمْ أَبْغَضَكَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى - لَأَنَّكَ تَبْغِضُ عِبَادَهُ الصَّالِحِينَ.

وفي البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"

فمن كرهه من أحب الله خالف الله، ومن خالف الله عانده ومن عانده أهلكه،
وإذا ثبت هذا في جانب المعادة ثبت ضده في جانب الموالاة فمن وإلى أولياء الله
أكرمه الله.

إذا تنبه هذه قاعدة شرعية اجعلها في كل أمورك في كل حياتك في كل تعاملك
مع خلق الله - عز وجل - كن على هذا الشأن أن تأتي إلى الناس ما تحب أن يؤتى
إليك من ربك - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أن تعامل الناس كما تحب أن يعاملك الله سُبْحَانَهُ،
إياك أن تتكبر على الناس إياك أن تظلمهم إياك أن تأخذ حقهم إياك أن تتبع عوراتهم
فقد روى أبو داود وأحمد من حديث أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -

﴿يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ﴾. فمن تتبع عورة الناس تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته أوشك أن يفضحه ولو في عقر داره، يفضحك الله - سبحانه وتعالى -، فلا تظلم الناس فإن الله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنَعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُحِبِّ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِّنْ قَبْلُ مَا لَكُم مِّنْ زَوَالٍ (٤٤)﴾ [سورة إبراهيم: ٤٢ - ٤٤].

انظر إلى هذه الآيات العظيمة فإذا ظلمت الناس فإنك تجد وبال ذلك يوم القيامة، تعامل الناس معاملة سيئة يوم القيامة تجد ذلك، تعامل الناس معاملة طيبة معاملة حسنة على خير ما يجب تجد الخير من عند ربك - سبحانه وتعالى -، والجزاء من جنس العمل.

فلو أن الناس عملوا بهذه القاعدة العظيمة لتراحموا فيما بينهم، ولكانوا على خير حال، لأنَّ العبد يعلم أنَّه على قدر ما يعامل الناس وعلى قدر ما يفعل مع الخلق على قدر ما يأتيه من ربه - سبحانه وتعالى - في الدنيا، وعلى قدر ما يجد يوم القيامة. فنسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا إلى طاعته وأن يغفر لنا ذنوبنا كلها والحمد لله.

صنائع المعروف

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد عباد الله فيقول ربنا جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ٣٦]. ويقول سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات: ٥٦]. ويقول: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا

فَأَعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿[سورة مريم: ٦٥]﴾. ويقول عزّ من قائل:

﴿وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [سورة الحجر: ٩٩].

في هذه الآيات العظيمة يحث ربنا جل وعلا عباده على أن يعبدوه **سبحانه** **وتعالى** عباداً أمر الله عز وجل هؤلاء الناس أن يؤدوها له **سبحانه** **وتعالى**، وأن يقوموا بهذه العبادة كما يحب ربنا ويرضى.

وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله العبادة فقال: هي اسم جامع لكل ما يحبه الله عز وجل، ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، ومن العبادات التي يعملها الإنسان لله **سبحانه** **وتعالى** الصلاة والصيام والحج والصدقة، وكذلك الاستعانة بالله عز وجل والاستغفار والذكر والاستغاثة به **سبحانه** **وتعالى** هذه كلها من العبادات الخاصة بالله **سبحانه** **وتعالى**. وهناك أعمال تدخل أيضاً في العبادات، ولكن كثيراً من الناس يغفل عنها، ولا يظن أنها من العبادات التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه جل وعلا.

ألا وهي صنائع المعروف، فكثير من الناس يظن أن المعروف وصنع المعروف ليس عبادة لله عز وجل. وهذا من فكره القاصر. وإلا فإن الله عز وجل قد أمر عباده بالعبادة.

والعبادة منها ما يتعلق بحق الله عز وجل، ومنها ما يتعلق بحق الناس لهذا أحببنا في هذه الدقائق المعدودة أن نقف مع: **إغاثة الملهوف بفضل صنائع المعروف**، فإن صنائع المعروف عباد الله تنجي هذا العبد بإذن الله عز وجل بين يديه **سبحانه**

وتعالى، وقد أمر الله عز وجل عباده بصنع المعروف، فقال سبحانه وتعالى:

﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٩٥]، وقال سبحانه وتعالى:

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ

النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة

النساء: ١١٤].

فأثنى الله عز وجل على من أمر بالمعروف، والمعروف أن تضع الشيء في أهله

وفي حقه وفي المكان الذي يرتضيه الله سبحانه وتعالى، وفي عباده المؤمنين، وكم أمر

النبي عليه الصلاة والسلام بصنائع المعروف وكم حث عليها وكم رغب فيها ثبت

في صحيح مسلم من حديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ نَاسًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قَالُوا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأَجُورِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي،

وَيُصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ، قَالَ: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ

مَا تَصَدَّقُونَ؟ إِنَّ بِكُلِّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْوِينَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ

تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعٍ أَحَدِكُمْ

صَدَقَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّنَا أَحَدُنَا شَهَوْتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ

لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ».

ومن صنائع المعروف التي رغب النبي عليه الصلاة والسلام بها كثيرًا ما ثبت

عند الطبراني بسند يحسنه العلامة الالباني عليه رحمة الله من حديث عُمَرَ، أَنَّ رَجُلًا،

جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ، وَأَيُّ الْأَعْمَالِ

أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَئِنْ أَمْشَيْتَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ شَهْرًا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّيه أَمْضَاهُ، مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثَبِّتَهَا لَهُ ثَبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ"

انظر إلى هذه الأمور التي هي من صنائع المعروف التي غفل الناس عنها كثيرا. من ذا الذي في هذه الأيام يدخل السرور على قلب المسلمين؟ من ذا الذي يكشف كربتهم؟ من ذا الذي يبحث عن الناس؟ من وقع في ضيقة؟ من وقع في شدة؟ من وقع في كربة؟ من جاء من عطش؟ حتى سعى حتى اثبت هذا من هؤلاء الناس؟ الذين هم في نفع الناس لله سبحانه وتعالى هؤلاء من أحب الناس إلى الله سبحانه وتعالى. لهذا بدأ النبي عليه الصلاة والسلام فقال أحب الناس إلى الله انفعهم، وتعددت المنافع هذا يجوع، وهذا يظمأ وهذا يعطش، وهذا مكروه، وهذا مديون فمن سعى في مثل هذه الأمور كان بإذن الله عز وجل ممن يثبت الله سبحانه وتعالى قدمه يوم تزل الأقدام في ذلك اليوم العظيم على الصراط.

ومن صنائع المعروف أن يسعى الإنسان في الخير، ويسعى في إثبات الخير للناس وفي الإصلاح بين الناس، فقد ثبت عند ابن ماجه من حديث أنس بن مالك، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ

مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ، مَغَالِيقَ لِلخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللَّهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ».

هنيئاً له هذا الذي أصبح مفتاحاً للخير، لا يجد باباً من أبواب الخير إلا وهو يدل عليه، ولا يدع باباً من أبواب الشر إلا وسعى في إغلاقه بإذن الله - عز وجل - ﴿❦﴾
لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴿❦﴾
وكذلك من صنائع المعروف الإحسان إلى الجيران، والله إنها من أعظم الصنائع عند الله - سبحانه وتعالى - . لهذا ثبت في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)،
عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةَ جَارَتِهَا، وَلَوْ فَرَسَنَ شَاةٍ».
لا تحقرن هذه المرأة أن تعطي جارتها ولو شيئاً يسيراً، والفرسن هذا هو ظلف الشاة أي ما لا لحم فيه كثير، لكن النبي عليه الصلاة والسلام يقول لا تحقر هذه الجارة جارتها ولا أن تعطيها هذا الشيء اليسير حتى تدخل السرور على قلب جارتها، وحتى تكون ممن تراعي جارتها.

روى ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق والأصبهاني في الترغيب والترهيب عن
ابْنِ عُمَرَ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - (صلى الله عليه وسلم) - «كَمْ مِنْ جَارٍ مُتَعَلِّقٍ بِجَارِهِ يَقُولُ: يَا رَبِّ! سَلْ هَذَا لِمَ أَغْلَقَ عَنِّي بَابَهُ، وَمَنْعَنِي فَضْلَهُ؟» (١).

(١) "حسن" حسنه الألباني في الصحيحة [٢٦٤٦]، والترغيب والترهيب [٢٥٦٤].

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَمْنَعُ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ حَشْبَهُ فِي جِدَارِهِ». فهذا كله من صنائع المعروف.

ومن صنائع المعروف ألا وهي الشفاعة لأخيك ثبت عند النسائي من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَسْأَلُنِي الشَّيْءَ فَأَمْنَعُهُ كَيْ تَشْفَعُوا، فَتُؤْجَرُوا، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا"

انظر إلى هذا الأمر العظيم. النبي عليه الصلاة والسلام يأتيه الأمر فيريد أن يقضيه، لكنه يؤخره حتى يشفع هذا لهذا، ويشفع هذا لهذا فتؤجرون، والشفاعة لا تحمد إلا إذا كانت بالخير أن يشفع الإنسان لهذا الإنسان بما هو خير وجائز، ولا هو حرام، ولا هو منكر، ولا يَأْثَمُ صاحبه.

وانظروا إلى أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام كيف كانوا سريعين في صنائع المعروف؟

هذا عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الله جل وعلا عنه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [سورة مريم: ٣١].

قال جمع من أهل التفسير معناه إن الله - **سبحانه وتعالى** - جعلني معلماً للناس الخير، وهذا من أعظم صنائع المعروف، أن تعلم الناس الخير، وقال مجاهد معناه: إنه أنفع للناس، فكان عيسى عليه الصلاة والسلام من أولئك الأخيار بفضل الله - عز وجل - ومنتته.

وهذا موسى عليه الصلاة والسلام. قال الله - عز وجل - عنه: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إني من خير فقير ﴿[سورة القصص: ٢٣-٢٤].

انظر إلى هذا الصنيع العظيم، رأى هاتين المرأتين بعيدتين عن الناس ما تستطيعان أن تدخلا ضمن هؤلاء الرعاة؛ فتزاحمهم على أخذ الماء لدوابهم ولبهائمهم، فأراد أن يصنع ذلك المعروف العظيم بغير كلام كثير. وبغير تملق وبغير ما سوى ذلك، ما خطبكما؟ لماذا ما تسقيان؟ قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاة، وأبونا شيخ كبير، فسقى لهما ثم تولى إلى الظل، ما تكلم بغير ذلك أبدا، إنها صنائع المعروف. وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام، كم كان يصنع الخير؟ وكم يسعى فيما هو خير للناس؟

ثبت عند البخاري من حديث أنس بن مالك، قال: «إِنْ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، لَتَأْخُذَ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقَ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ».

وانظر يا من تبتعد عن صنع المعروف ولا تفعله كيف أن الله - سبحانه وتعالى - حذر من هذا الأمر العظيم ممن يترك فعل المعروف في أهله.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ

نُطْعُمُ الْمَسْكِينِ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿[سورة المدثر: ٤٢-٤٥].

قالوا لم نك من المصلين، ولم نك نطعم وهذا من أعظم صنائع المعروف.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ (٧) [سورة الماعون: ٤-٧].
 يمنعون ما يستعين به الإنسان على حاجته. قال بعض أهل التفسير أن تمنع المرأة جارتها من القصعة ومن الصحافة ومما سواها. منعت صنائع المعروف قال الله: ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ (٣٤) فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (٣٦) لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ (٣٧) [سورة الحاقة: ٣٤-٣٧].

وفي الصحيحين من حديث عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "ثَلَاثٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: ثم ذكر منهم رجلاً فقال: "رَجُلٌ عَلَى فَضْلِ مَاءٍ بِالْفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِنْ ابْنِ السَّبِيلِ" عنده آبار لكنه يمنع الناس عنها، وفي رواية البخاري: "فَيَقُولُ اللَّهُ "الْيَوْمَ أَمْنَعَكَ فَضْلِي كَمَا مَنَعْتَ فَضْلَ مَا لَمْ تَعْمَلْ يَدَاكَ"

يمنع الله عز وجل يوم القيامة عنه فضله لأنه منع ما ليس له به يد عن عباد الله. فينبغي على الناس أن يحرصوا على صنائع المعروف، وعلى أن يفعلوا هذه الأمور العظام التي يلقي بها الإنسان ربه - سبحانه وتعالى - . والتي يأجره الله - عز وجل - عليها، وقد قال الله - سبحانه وتعالى - فقال سبحانه: ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة الحج: ٧٧].

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، واشهد أن لا إله إلا الله ربي وحده لا شريك له. واشهد أن محمدا عبده ورسوله. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثيرا، أما بعد.

ومن صنائع المعروف ما يغرس العبد من الشجر ومن الزرع ومن الثمار وما سوى ذلك، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَيْمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ».

وفي رواية عند مسلم: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أَكَلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَمَا أَكَلَتِ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ، وَلَا يَزْرَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ».

حتى على مستوى السرقة يكتب الله له أجره إلا كتب الله - عز وجل - له بذلك، وما تأكله الطير؟ وما تأخذه السباع؟ وما يعتدي عليه الناس؟ كل هذا تجد عند الله - سبحانه وتعالى - وإن لم تر ذلك الأمر أمامك الآن فاحتسبها عند الله، فستجد هذه الأجور عنده سبحانه.

ولهذا ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أن الإنسان ينبغي عليه أن يحرص على الغرس حتى عند قيام الساعة أن يغرس ذلك الوقت.

روى الإمام أحمد من حديث أنس بن مالك قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"

ومن صنائع المعروف إمطة الأذى عن الطريق، هذا من أعظم صنائع المعروف، التي يستطيع الإنسان فعله، من إزالة حجر من الطريق، أو إزالة شوك، أو غير ذلك مما يؤذي الناس في طريقهم، فهذه من أعظم صنائع المعروف، فإن النبي عليه الصلاة والسلام يقول كما في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بَضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».

ألا ولنعلم وفقني الله وإياكم أن صنائع المعروف لها ثمار عظيم يجدها الإنسان في الدنيا ويجدها العبد بإذن الله - عز وجل - في الآخرة.

فمن أعظم الثمار لصنائع المعروف التي يجدها الإنسان في الدنيا والآخرة أن الله - سبحانه وتعالى - ييسر عليه جميع أموره ثبت في صحيح مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ نَفَسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبَةِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسِّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».

أولا تريد أن ييسر الله - عز وجل - عليك أمورك؟ أسع يا أخي في صنع المعروف للناس ولخلق الله سبحانه تعالى هذا مما جعله الله - عز وجل - بين عباده يتراحم به الناس.

ومن أعظم الثمار لصنائع المعروف أنها بإذن الله - عز وجل - تدخلك الجنة.

ثبت في الصحيحين من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: "بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَتَزَلَّ بِتَرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلَ الَّذِي بَلَغَ بِي، فَمَلَأَ حُقْفَةً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ أَجْرًا؟ قَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».

الله أكبر يؤجر الإنسان حتى على البهيمة يطعمها، أو يسقيها.

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يَتَقَلَّبُ فِي الْجَنَّةِ، فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ، كَانَتْ تُؤْذِي النَّاسَ».

ومن ثمار صنائع المعروف أنها بإذن الله - عز وجل - تجعلك تتعرض لمغفرة

ذنوبك من الله عز وجل، وتجعلك ممن يتجاوز الله عز وجل عنك وعن سيئاتك بحوله وقوته، وعن الذنوب وعن العظام.

جاء في صحيح مسلم عن حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعْمَلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: لَا، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أَذَايُنُ النَّاسِ فَأَمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظَرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ**: تَجَوَّزُوا عَنْهُ".

وجاء عند مسلم -أيضاً- عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم -:

«حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يَوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُحَالِطُ النَّاسَ،

وَكَانَ مُوسِرًا، فَكَانَ يَأْمُرُ غُلَمَاءَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ». قَالَ: "قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ"

فتجاوز الله - سبحانه وتعالى - عن جميع سيئاته، وعن جميع ذنوبه، وعن جميع خطاياهم لأنه كان يتجاوز عن العباد.

ومن ثمار صنع المعروف أن الله - سبحانه وتعالى - لا يخزيه. ولا يذله ولا يتركه
- سبحانه وتعالى -. ثبت في الصحيح من حديث عائشة (رضي الله عنها) في قصة النبي عليه الصلاة والسلام حين كان في غار حراء فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فجعل يغطه ثلاث مرات حتى رجع مفزوعاً مدعوراً إلى خديجة عليها رضوان الله فقالَ لِحَدِيجَةَ: «أَيُّ حَدِيثٍ، مَا لِي لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، قَالَتْ حَدِيثُ: كَلَّا، أَبَشِرُ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ».

لا والله لا يخزيك الله أبداً لماذا؟ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ».

انظر إلى هذه الأمور العظام كلها من صنائع المعروف، فقالت له: لا والله لا يخزيك الله أبداً، فما أخزاه الله - عز وجل - أبداً، لأن نبينا عليه الصلاة والسلام كان من المسارعين في صنع المعروف.

فمن كان على هذا الحال ساعياً في نفع إخوانه المسلمين، وفي إتمام حوائجهم لا يخزيه الله أبداً.

ألا وفقني الله وإياكم ليسع كل واحد منا في صنع المعروف لإخوانه، فما يزال
العبد يسعى في حاجة أخيه حتى يدخله الله - سبحانه وتعالى - في رحمته وفي جنته
وفي رضوانه، ويرضى عنه ربه سبحانه وتعالى؛ كل ذلك بسعيك لأخيك في هذا
الأمر العظيم، أسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى، والحمد لله رب
العالمين.

الدنيا ساعة فاجعلها طاعة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧١-٧٠].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيَقَالُ

لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ "

هذا الحديث العظيم يبين فيه النبي عليه الصلاة والسلام أن العاقبة للمتقين، وإنه مهما صبر الإنسان على طاعة ربه - سبحانه وتعالى - حتى ولو ابتأس في الدنيا، حتى ولو اشتدت عليه الآلام، واشتدت عليه الكروب والخطوب فإنه بإذن الله - عز وجل - إذا غمس غمسة في الجنة ينسى آلامها، وينسى شدتها وينسى ما أصابه في هذه الحياة الدنيا.

هذه غمسة واحدة يغمسها في الجنة فيقال هل رأيت بُؤْسًا قَطُّ؟ هل رأيت شدة قط؟ قال لا والله يا رب ما رأيت بُؤْسًا قَطُّ.

في هذا الحديث العظيم دلالة على أن التعب إذا أعقبه راحة فلا أفضل من هذا التعب الذي أورث سعادة، وأعقب راحة.

وأما أصل التعب يا عباد الله هي الراحة إذا أعقبها تعب، لهذا قال لذاك الذي كان متنعمًا في الدنيا: ثم يغمس غمسة في نار جهنم، هل رأيت نعيمًا قَطُّ؟ هل رأيت راحة قَطُّ؟ قال لا والله يا رب ما رأيت نعيمًا قَطُّ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح مسلم أيضا من حديث أنس بن مالك عليه رضوان الله أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمُكَارِهِ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ».

لهذا أحببنا في هذه الدقائق المعدودة بأن نبشّر أهل الطاعة بأن بينهم وبين ما يحبون إنما هو صبر ساعة.

بينك يا عبد الله وبين ما ترجوه وبين ما تحبه وبين ما تريده وبين الراحة التي تطمع فيها. وبين السعادة التي تبحث عنها صبر ساعة، إذا صبرك الله على طاعته في هذه الساعة يا عبد الله فقد وفقك الله - **سبحانه وتعالى** - لراحة أبدية. وفقك الله - عز وجل - لسعادة لا تشقى بعدها أبداً، وفقك الله - **سبحانه وتعالى** - لنعيم لا يزول أبداً.

كل هذا إذا صبرت هذه الساعة لله - **سبحانه وتعالى** -.

يقول الله - **سبحانه وتعالى** - عن العبد الصالح الذي وكل الله - عز وجل - به ملائكته: ﴿لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِمَّنْ أَمَرِ اللَّهُ﴾ [سورة الرعد: ١١].

قال أهل التفسير: يعني يحفظونه بأمر الله أي بأمر من الله - **سبحانه وتعالى** - أن الله - عز وجل - يوكل عليك ملائكة يحفظونك من بين يديك ومن خلفك ما يزالون يصبرونك ما يزالون يحفظونك ما يزالون يبشرونك ما يزالون يصبرونك ويقولون لك: إنما هي صبر ساعة، ثم تلقى ربك - **سبحانه وتعالى** - فيذهب عنك ذلك كله. ولهذا انظروا يا عباد الله إلى رسل الله عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلهم الله - عز وجل - إلى أقوامهم. فكذبهم وأذوهم فما كان منهم إلا أن صبروا على ما كذبوا وعودوا حتى نصرهم الله، قال الله - **سبحانه وتعالى** -: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُودُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٣٤].

هكذا يخبر ربنا - **سبحانه وتعالى** - أن هؤلاء الرسل ما زالوا على صبر تلك الساعة حتى أعطاهم الله - عز وجل - ما وعدهم ونصرهم - **سبحانه وتعالى** - وجعل العاقبة - **سبحانه وتعالى** - لهم قال الله - عز وجل - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة يوسف: ١١٠].

حتى إذا استيأس الرسل من إيمان أقوامهم وعلموا أنهم لا يؤمنون أبداً، وظن أقوامهم أن رسل الله قد كذبوا جاءهم نصرنا، هذا النصر ما جاء إلا بعد الصبر تلك الساعة التي صبر عليها المرسلون فاتاهم ما وعدهم الله - **سبحانه وتعالى** - به.

هذا موسى عليه الصلاة والسلام يخرج فاراً بدينه وبنفسه من فرعون وقومه أن يقتلوه فيذهب خائفاً وهو مهموم مغموم مكروب، قد اشتد جوعه لا يجد ما يأكل لا يجد ما يطعم، حتى وصل إلى مدين، فما كان منه إلا أن استظل بظل شجرة ونادى ربه - **سبحانه وتعالى** - قال الله **سبحانه وتعالى** مخبراً عن حاله: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ

إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ [سورة القصص: ٢٤].

صبر ساعة على الجوع وعلى الهم وعلى الغم وعلى الشدة وعلى الكربة وعلى الخوف، صبر تلك الساعة، ولجأ إلى الله - **سبحانه وتعالى** - فأعقبه الله - عز وجل - فرج عاجلاً غير أجل، قال **سبحانه**: ﴿ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [سورة القصص: ٢٥].

لا تخف زال خوفك، وذهب رهبك، وذهب همك وذهب جوعك، بعد أن التصق بطنه بظهره من شدة الجوع لا يجد ما يأكل جاءه الفرج. من عند الله - **سبحانه وتعالى** - لأنه ما زال صابرا، ما زال على وعد الله - **سبحانه وتعالى** -، يرجو فضل الله ويلجأ إليه ويدعوه ويسأله.

هذا يونس عليه الصلاة والسلام لما اشتدت عليه كرب في بطن الحوت ما كان إلا أن صبر تلك الساعة حتى أتاه الفرج من ربه - **سبحانه وتعالى** -، قال ربنا - **سبحانه وتعالى** -: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَكَادِي فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٨٦-٨٨].

هذا زكريا عليه الصلاة والسلام الذي كان فريداً وحيداً لا يجد من يؤنس له لا يجد من يحمل دينه لا يجد من يعقبه ومن يخلفه في قومه، فرضي بحاله وما كان إلا أن صبر على هذا الأمر، وصبر تلك الساعة العظيمة، فأعقبها من الله **سبحانه وتعالى** فرجا عاجلا، قال ربنا - **سبحانه وتعالى** -: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَاهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [سورة الأنبياء: ٨٩-٩١].

انظر إلى الصبر يا عبد الله إذا صبر الإنسان هذه الساعة كيف يفرج الله جل عنهم، وكيف يكشف الله - **سبحانه وتعالى** - عنه كربته؟

الآن الواحد منا إذا مرض ضاق صدره لا يصبر تلك الساعة، إذا اشتد فقره لا يصبر تلك الساعة، إذا ازداد همه لا يصبر تلك الساعة، إذا اشتدت الأمور وانقطع معاشه لا يصبر تلك الساعة، إذا ضيق عليه في بلده لا يصبر تلك الساعة، إذا تأخر النصر لا يصبر تلك الساعة، ما بالناس يا عباد الله ما نتأسى بهؤلاء المرسلين بهؤلاء الصالحين، الذين هم خيرة خلق الله ومع ذلك يتلون ويمتحنون، ولكنهم يصبرون على البلاء حتى يأتي فرج الله لهم.

فانظروا يا من تشتكي من الهم، **انظر إلى أيوب عليه الصلاة والسلام** الذي صبر تلك الساعة على ما أصابه من الأمراض ومن البلاء من ربه - **سبحانه وتعالى** - وهو نبي من أنبياء الله - عز وجل -، يقول الله مخبراً عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٢) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ [سورة الأنبياء: ٨٣-٨٤].

صبر على ما ابتلاه الله - عز وجل - به من ذلك الأمر العظيم حتى فرج الله عنه. فأين المعتبرون بهذا الأمر العظيم؟ أين المرضى من هذا الصبر حتى يصبروا على ما ابتلاههم الله - عز وجل - به هذه الساعات حتى يفرج الله - عز وجل - عنهم.

هذا يوسف عليه الصلاة والسلام يلقيه إخوته في الجب يبيعونه بثمن بخس ثم يعاني ما يعاني من امرأة العزيز من شدة وكربة، ثم يسأل ربه - **سبحانه وتعالى** - أن ينجيه من فتنة تلك النسوة ولو بدخول السجن، حتى ينجو من الفتن ومما تدعوه

إليه تلك المرأة: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿[سورة يوسف: ٣٣-٣٤].

فما كان بين ذلك وما بين فرج يوسف عليه الصلاة والسلام إلا أنه صبر تلك الساعة طالت أم قصرت، كبرت أم صغرت تلك الساعة فصبر عليها حتى فرج الله - عز وجل - عنه وأخرجه - سبحانه وتعالى - من السجن ورفع الله - عز وجل - قدره، وجعله - سبحانه وتعالى - على خزائن الأرض، وآتاه الله - عز وجل - الملك، ورد البصر على أبيه ورفع الله - عز وجل - قدره، قال الله عنه أنه قال وهو يحمد الله على كل أحواله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٠٠) [سورة يوسف: ١٠٠].

وهذا يعقوب عليه الصلاة والسلام ما كان بين فقدته لولده يوسف وبين فقدته لولده الثاني إلا أن صبر ساعة حتى ردهم - عز وجل -، قال الله سبحانه: ﴿أَرْجِعُوهُ إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّكَ ابْنُكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ﴾ (٨١) [سورة يوسف: ٨١].

فلما علم أبوهم عليه الصلاة والسلام هذا الأمر، ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (٨٣) [سورة يوسف: ٨٣].

انظر إلى هذا الصابر الصبر الجميل، كيف أنه مع صبره ذلك؟ أعقبه الله - عز وجل - فرجا عاجلا غير أجل، ورد الله - سبحانه وتعالى - إليه ولديه، وهو في خير. هذا من فضل الله - سبحانه وتعالى - على من صبر على هذه الأمور العظام.

وهذا مؤمن آل ياسين ما كان بينه وبين دخول الجنة إلا صبر ساعة صبرها فأدخله

الله - عز وجل - الجنة، قال الله - سبحانه وتعالى - عنه: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومِ الْمُتَّبِعُونَ الْمُتَّبِعُونَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنَِّّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنَِّّي أَمْنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة يس: ٢٠-٢٥].

فما كان عاقبة صبره إلا أن أدخله الله - عز وجل - الجنة: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ

يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة يس:

٢٦-٢٧].

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا إله إلا الله
ربي وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم تسليم كثيرا أما بعد.

يقول ربنا جل وعلا عن طالوت: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكُمُ اللَّهُ
مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ
عُرِفَ بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا
لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَم
مِّن فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ ۚ غَلَبَتْ فِئَةٌ كَثِيرَةٌ يَّا ذَنِ اللَّهَ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾﴾ [سورة
البقرة: ٢٤٩].

انظر إلى هذا الأمر العظيم وانظر إلى هؤلاء الجنود كيف انقسموا إلى ثلاث فرق
حين ابتلاهم الله - عز وجل - بعد شدة عظمة، طالوت يسير بجنوده للقاء جالوت
عدو الله، والذي كان يحمل الكفر، لكن طالوت أراد قبل لقاء هذا الكافر الفاجر
أن يعرف من سيصبر معه على الطاعة؟ من سيحمل دين الله؟ من سيثبت؟ من
سيصبر ساعة؟

فقال لهم إن الله مبتليكم بنهر، فانقسموا ثلاث طوائف؛ طائفة منهم شربوا،
وطائفة منهم لم يطعموه أبداً، وطائفة شربوا منه غرفة كما أذن لهم، فقسم صبروا تماماً
وصبروا أنفسهم هذه الساعة، وعلموا أن الله - سبحانه وتعالى - سيعقبهم راحة بعد

عطشهم وبعد شدتهم، وقسم رأوا أنه لا بد لهم أن يشربوا ولو شيئاً يسيراً، فأخذوا منه ما يكفيهم ويسد رمقهم، وطائفة أسرفت على نفسها بالشرب ولم يستجيبوا لأمر قائدهم وملكهم، فإن لم يصبروا على الشرب من الماء كيف يصبرون أمام عدو الله جالوت.

فتعال يا عبد الله وانظر الآن واجعل هذا النهر هو الدنيا وأنتم الجنود.

فترى أن الناس قد انقسموا في هذه الدنيا على ثلاثة أقسام:

قسم حذرهم الله - **سبحانه وتعالى** - من الدنيا تحذيراً عظيماً فلم يطعموها أبداً، ولم يطعموها، ورغبوا عنها، وعلموا أن الله - **سبحانه وتعالى** - يعقبهم عافية ويعقبهم راحة يوم القيامة فلم يطعموها ولم يشربوها ولم يقربوها أبداً، ورضوا باليسير منها وما يبلغهم إلى ربهم سبحانه.

وطائفة أدت حق الله - **سبحانه وتعالى** - وعملت بما أمرها الله من صلوات ومن صيام ومن زكاة من صلة ومن بر ومن قرب لكنها أخذت من الدنيا وتزودت الشيء الحلال الذي لم يمنعها من القيام بما أمر الله **سبحانه وتعالى**، ولم ينشغلوا بها عما أمرهم الله، فهذه بإذن الله تلتحق بالأولى وإن كانت دونها في المسابقة والمنزلة، لكنها معها.

وطائفة أسرفت على نفسها من الدنيا، فأخذت تلهث بعد الدنيا، وترك أمر ربها - **سبحانه وتعالى** - ولم تبال بأوامر الله وشربت وطعمت واقترفت المنكرات وعصت ربها سبحانه، وكان كل همها الدنيا، فأولئك كالأنعام بل هم أضل.

فإذا علمت هذا يا عبد الله فاعلم أن صبر الساعة لا بد أن تقضيه في طاعة، ليس معنى أن تصبر وأنت على معصية الله، لا والله.

انظر إلى يونس عليه الصلاة والسلام في تلك الساعة التي ابتلي بها وهو يسبح الله ويستغفر الله، انظر موسى عليه الصلاة والسلام يرجع إلى الله، يعقوب يرجع إلى الله، نبينا يرجع إلى الله، كل من ابتلاه الله - عز وجل - وصبر على تلك الساعة لكنه كان عاملاً بطاعة الله - سبحانه وتعالى - إلا فلتعلموا يا عباد الله أن هذه الدنيا إنما هي ساعة فاجعلوها طاعة واصبروا على هذه الساعة وإن طالت فإنه يعقبها راحة عظيمة، وتذكر ذلك الحديث العظيم الذي تذاكرانه في أول هذه الخطبة: فيغمس غمسة في الجنة هل مرَّ بك بؤس قط؟ هل رأيت شدة قط؟ قال لا يا رب والله ما مرَّ بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط.

ما بال الناس الآن ما يصبرون على الطاعات، ما يصبرون على الصلوات، ما يصبرون على ما أمرهم الله - عز وجل - والعاقبة لهم، والله يا عباد الله إن العاقبة لا ينالها إلا من وفقه الله: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة القصص: ٨٣].

العاقبة في الحياة الآخرة ليست إلا للمتقين الذين زهدوا في الدنيا وعلموا أنها ساعة فصبروا أنفسهم عليها، وكلما اعترضتهم شهوة صبروا أنفسهم عليها، وحملوا أنفسهم على طاعة الله، واقتربوا من الله، وعملوا ما أمرهم الله، لأنهم يعلمون أنهم إن لم يصبروا هنا في هذه الحياة الدنيا فسيصبرون في نار جهنم.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إن أهل النار قال بعضهم لبعض: تعالوا، فإنها أدرك أهل الجنة الجنة بيكائهم وتضرعهم إلى الله، عز وجل، تعالوا نبك ونتضرع إلى الله فبكوا وتضرعوا، فلما رأوا ذلك لا ينفعهم قالوا: تعالوا، فإنها أدرك أهل الجنة الجنة بالصبر، تعالوا حتى نصبر فصبروا صبرا لم ير مثله، فلم ينفعهم ذلك، فعند ذلك قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ﴾ [سورة إبراهيم: ٢١].

ما لنا من محيص، ما لنا من نصير ما لنا من نجاة ما لنا من خروج ما لنا من مهرب من نار جهنم.

وفقني الله وإياكم استغلوا دنياكم وأعماركم في أداء ما أمركم الله - سبحانه وتعالى - في هذه الحياة الدنيا وفي طاعة الله وتقربوا إلى الله بما يحبه ويرضاه، وبما تخلصون به بين يديه سبحانه من عذابه وسخطه وأليم عقابه، ولا تغرنكم هذه الحياة الدنيا فإنها إلى زوال، وتوبوا إلى ربكم قبل أن يحل الأجل، وتندم أيها العبد ندما عظيما، فإنك إن تصبر اليوم خير لك من ندم يعقبه حسرة أبدية تتقطع معها الأكباد، ولا ينفعك حين تلقى الله تلك الزفرات والحسرات على ما قصرت وفرطت في جنب الله سبحانه وتعالى.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يمن علينا برحمته وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه. والحمد لله.

الباعث الحثيث لكثير من الناس على الكسب الخبيث

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

أيها الناس ﴿إِنَّ مَا تَعْبُدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ [سورة الأنعام:

١٣٤].

أخرج الإمام ابن حبان في صحيحه من حديث أبي رزين رضي الله عنه أن النبي ﷺ

قال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ النُّحْلَةِ لَا يَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا وَلَا يَضَعُ إِلَّا طَيِّبًا». والحديث

يصححه العلامة الألباني.

هذا الحديث العظيم يبين فيه النبي - ﷺ - طهارة هذا المؤمن، ونقاء هذا المؤمن، وصفاء هذا المؤمن، الذي يتحرى الطيب في كل أمره، في ماله وفي معاشه، في مأكله وفي مشاربه، في سيره وفي خطاه، يتحرى الطيب.

وإذا أراد أن يضع شيئاً تحرى أن يضعها في طيب «مثل المؤمن كمثل النحلة»، وانظر إلى تلك النحلة لا تقع على الخبيث أبداً، ولا تأكل مما هو مستقذر، ولا مما هو خبيث، بل تبحث عن الطيب، فإن لم تجد الطيب ماتت جوعاً، ولا تأكل من الخبيث أبداً.

وكذلك انظر إلى إخراجها وإلى ما تضع، فإنها تضع من بطونها شرباً مختلفاً ألوانه، مذاقه طيب، وشكله طيب، وريحه طيب، فهي لا تضع إلا طيباً، فكذلك المؤمن ينبغي عليه أن يكون مثل هذه النحلة كما، وصفه رسول الله - ﷺ -، والمقصود في هذا الحديث أن العبد المؤمن يتحرى ماله؛ فلا يأخذه إلا من حلال لا يكتسبه إلا من طيب، ولا يدخل بطنه إلا ما كان طيباً ولا يطعم أولاده إلا ما كان طيباً.

هكذا العبد المؤمن يتحرى لنفسه، لأن الله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة البقرة: ١٦٨]. وقال الله عز وجل: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [سورة النحل: ١١٤].

كُلْ يا عبدَ الله من رزقِ الله سبحانه وتعالى الذي أحل لعباده سبحانه وتعالى حلالاً طيباً، ولا تتعدى الرزق الذي أحله الله لك لتبحث عن الخبيث الذي حرّمه الله عليك.

وانظر لما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾. وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾». فالله عز وجل طيبٌ ولا يقبل إلا طيباً، وقد أمر الرسل وجميع المؤمنين أن يأكلوا مما أحل الله لهم من الطيبات.

وانظر إلى معاش الناس وإلى مكاسبهم الآن، وفي هذه الأزمان بالذات؛ تجد أن كثيراً من الناس قد أصبح يأكل خبيثاً، ويسقي أولاده خبيثاً، ويطعم أولاده خبيثاً، ويتصدق بالخبيث، وهو لا يشعر بذلك، وهذا كله لجهله ولعدم تحرّيه، ولعدم وقوفهم عند أوامر الله وأوامر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فاستعاض الناس الكسب الطيب بالكسب الخبيث، فصارت كثيرٌ من معاش الناس -إلا من رحم الله- من الخبيث وهم لا يشعرون.

وإننا لنقف في هذه الدقائق المعدودة مع **الباعث الخبيث على أكل كثير من الناس للكسب الخبيث.**

ما الذي يبعثهم على أن يأكلوا ويكتسبوا من المال الخبيث، ولا يتحرون الكسب الطيب الحلال المبارك، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم - إذ يقول كما عند البخاري من

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ، أَمِنْ حَلَائِلٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ».

وصدق رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم - صدق - والله - الذي لا ينطق عن الهوى، أصبح الناس ما يبالون من أين اكتسبوا أموالهم من حلال أم من حرام!! ما يبالون ولا يفكرون.

زد على ذلك أنهم أحلوا لأنفسهم أشياء محرمة؛ لأجل أن يكتسبوا الأموال ولأجل مطامع دنيوية، فاستحلوا ما حرم الله سبحانه وتعالى قال ربنا عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَلًا قُلْ لَّهِ أُذُنٌ لَكُمْ أَمَرَ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٩].

كثير من الناس يفترون على الله الكذب وهم لا يشعرون؛ ليحلوا ما حرم الله سبحانه وتعالى وليكتسبوا الأموال.

فما الذي بعثهم على ذلك؟! وما الذي جعلهم يكتسبون المال الحرام؟! إنها أمورٌ عِدَّة.

ومن أعظم هذه الأمور أن كثيراً من الناس افتقدوا مخافة الله سبحانه وتعالى، فلم يعد كثير من الناس يخافون الله عز وجل، ولا يبالون به سبحانه وتعالى، ولا يبالون بما يكتسبون من الأرزاق، من أين دخلت عليهم من حلال أم من حرام؟، وقد قال صلى الله عليه وسلم - كما عند أحمد من حديث عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - : «اسْتَحْيُوا مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَسْتَحْيِي وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، قَالَ:

لَيْسَ ذَلِكَ». ليس كما يظن الإنسان أن الحياء أنه يتستر، وأنه يفعل!!! لا، «قَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ مَنْ اسْتَحَى مِنْ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ فَلْيَحْفَظْ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى وَلْيَحْفَظْ الْبَطْنَ وَمَا وَعَى». تحفظ عقلك، تحفظ سمعك، تحفظ بصرك، وتحفظ بطنك، «الْبَطْنَ وَمَا وَعَى» ما يعيه وما يحويه من الطعام ومن الشراب.

من أين أخذته؟ ومن أين أكلته؟

فإذا فعلت ذلك كنت ممن يستحي من الله حق الحياء.

إذا حفظت بطنك فلم تأكل الحرام؛ فأنت بإذن الله عز وجل على خير حال قال عمر عليه رضوان الله: "كُنَّا نَدْعُ تِسْعَةَ أَعْشَارِ الْحَلَالِ مَخَافَةَ الْحَرَامِ"، وجاء عن ابن مسعود بنحوه.

فلا إله إلا الله على ورع شديد، يتركون تسعة أعشار الحلال؛ مخافة أن يقعوا في الحرام لكن كثيرا من الناس لم يعد عنده حياء من الله، ما يستحيي العبد من ربه سبحانه وتعالى وقد قال -ﷺ- كما عند البخاري من حديث أبي مسعود البصري

«إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ».

كثير من الناس الآن ما يستحيي من الله؛ يبيع في محله وفي دكانه وفي بضاعته الأشياء المحرمة، وهو لا يستحيي من الله عز وجل، لا يستحيي من ربه وخالقه سبحانه وتعالى الذي أحلَّ له أمورًا كثيرة فتركها وذهب يبيع ويشترى بما حرم الله عليه من غير خوف ولا حياء من الله سبحانه وتعالى.

من أعظم البواعث على أكل الخبائث الطمع.

فإن كثيراً من الناس يحملهم الطمع؛ على أن يأكلوا الحرام، وعلى أن يُطعموا أولادهم الحرام، وعلى أن يُطعموا أزواجهم الحرام، وهذه مصيبة والله!!

فإن الطمع إذا وصل بالإنسان إلى هذا الحال؛ كانت مصيبة، وقد قال ﷺ كما في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عند أحمد وغيره قال: «مَا ذُبَّانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ أَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ».

إني والله!! فإن كثيراً من الناس الآن يحرصون على المال والشرف والرفعة، يحرصون على كسب الأموال، ما يبالي بالدين، ولا يبالي إن كانت من حلال أم من حرام!!

هذا أفسد للمرء من ذئبين جائعين أُرْسِلَا إلى زريبة غنم هذان الأمران المال والشرف والحرص عليه هذا أشد مفسدة لهذا المرء، ولهذا الرجل، وانظر كيف تجد كثيراً من الناس يخلطون الحلال بالحرام، ويأكلون الحلال مع الحرام، وقد خلطوا عملاً صالحاً وسيئاً فلا يتقبل الله عز وجل منهم أبداً ما يتقبل لأن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

وانظر لما ثبت عند أحمد من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عن النبي -ﷺ-: «أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَبِيعُ الْخَمْرَ فِي سَفِينَةٍ وَمَعَهُ فِي السَّفِينَةِ قِرْدٌ فَكَانَ يَشُوبُ الْخَمْرَ بِالنِّمَاءِ قَالَ فَأَخَذَ الْقِرْدُ الْكَيْسَ ثُمَّ صَعِدَ بِهِ فَوْقَ الدُّورِ وَفَتَحَ الْكَيْسَ فَجَعَلَ يَأْخُذُ دِينَارًا فَيُلْقِيهِ فِي السَّفِينَةِ وَدِينَارًا فِي الْبَحْرِ حَتَّى جَعَلَهُ نِصْفَيْنِ».

ولعل هذا كان من الأمم السابقة التي كان يحل لهم أن يبيعوا الخمر، فكان هذا الرجل يغش في هذا الخمر ولا يبيعه صافياً، وكان هذا الرجل معه قرذ وصعد معه إلى السفينة، فلما اكتسب الأموال ورآه القرد أخذ القرد كيس الأموال، ثم أخذها وصعد إلى الدقل، وهي خشبة تكون على السفينة تتدلى إلى البحر، فأخرج النقود من ذلك الكيس فجعل يلقي ديناراً في البحر وديناراً في السفينة، ديناراً في البحر وديناراً في السفينة، لأنه غش.

كأنه يقول له هذا حق البحر الذي اغترفت منه، والحديث يصححه العلامة الألباني في الصحيحة.

انظر إلى الغشاش كيف يفعل يغش الناس وما يدري أنه يغش نفسه، يطمع في الأموال وما يدري أنه يهلك نفسه، يطمع في زيادة الأموال وما يدري أنها وبأل عليه، وهو لا يشعر بذلك.

إذا انتبه يا عبد الله فالأمر ليس بالهين.

إن من أعظم البواعث على أكل كثير من الناس للخبائث؛ أنهم يريدون الكسب السريع، تجد أحدهم يفتح تجارة أو يفتح محلاً أو يفتح أي شيء ينتفع به يكون مكسبه بطيئاً، ما يعجبه!! فيذهب ليأتي بالخبيث ليكثر ماله.

كم تجد الآن من الناس الذين يبيعون في حوانيتهم وفي محلاتهم السيجارة الخبيثة، وكم تجد من الناس الذين يبيعون في محلاتهم الشمة والتبأك، كم تجد من الناس الذين يبيعون في محلاتهم كثيراً من هذه الأمور، وإذا قلت لأحدهم: يا أخي اتقي الله هذا حرام ولا يجوز بيعه، وإذا أكلته فإنك تأكل حراماً!!

فماذا يكون رده؟! يقول: أنا إذا ما بعت من هذا ما سيأتي عندي الناس!! ولا سيشترى مني الناس!! ولا سأكسب ولا سيبقى عندي أموال، ولا سأستطيع أن أرزق أولادي!! لا إله إلا الله على هذا الشأن العظيم.

انظر لما ثبت عند الطبراني من حديث أبي أمامة أن النبي ﷺ قال: «نَفَثَ رُوحُ الْقُدُسِ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَسْتَكْمَلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاجْلُؤْا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ».

انظر إلى هذا الحديث العظيم لو كنت فقيهاً، لو كنت وقافاً عند حديث رسول الله ﷺ، ولو كنت تتحرى الحلال في مالك.

فإنَّ مالاً حراماً يدخل في وسط مالٍ حلالٍ؛ يهلك عليك مالك وأنت لا تشعر، لأن الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً.

إنَّ كثيراً ممن كان قبلنا كانوا تجاراً، وكثيرٌ من الصحابة كانوا تجاراً، لكن ما كانوا يغشون، ولا يبيعون الحرام، ولا يقولون إذا منعنا من هذا، ومن بيع هذا، كيف نأكل ونشرب؟!.

حرمت عليهم الخمر وقد كانوا يبيعونها، ويأكلون من أثمانها، فلما حرمت أُهْرِيقَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، ما قال أحدهم لرسول الله ﷺ ما البديل يا رسول الله!!! ماذا نأكل؟ ماذا نُطْعِمُ أولادنا؟ ماذا نسقيهم؟ ماذا نكسوهم؟ ما سألوا عن

هذا أبداً، بل قالوا سمعنا وأطعنا، وأراقوها في سكك المدينة؛ طاعةً لله وطاعةً لرسول الله - ﷺ -.

لأنهم يعلمون أن الدينار الحرام يجعل المال أكثره حراماً، والإنسان لا يشعر بذلك.

يُروى عن أحد السلف أنه كان له تجارةٌ من بَزٍّ (أي: من ثيابٍ) فجاءه إنسانٌ يريد أن يشتري وهو غيرٌ موجود وعامله موجودٌ في المحل فباعه قطعةً فيها عيبٌ، هذه القطعة بها عيبٌ، باعها له بدينارين، فانطلق الرجل وأخذ قطعته، فجاء صاحبُ المحل، فقال لعامله: أين تلك القطعة؟ قال له: بعناها بدينارين. قال: هل أخبرت من اشتراها بما فيها من عيبٍ؟ قال لا، فخرج يبحث ويطلبُ صاحبها، يطلبُ الرجل الذي اشترى القطعة ما وجدته، فرجع يُحصي ما في خزينته من المال، ومقدار ما باع به في ذلك اليوم، فوجدها تزيد على ثلاثين ألف دينار! فأنفقها كلها في سبيل الله؛ خشية أن يطعم ما كان فيها محرماً ويدخل عليه الحرام.

انظر لما ثبت عند البخاري من حديث عائشة - رضي الله عنها - في قصة أبي بكر عليه رضوان الله قالت: «كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الْخَرَاجَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ لَهُ الْغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكْهَنُتُ لِلْإِنْسَانِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَمَا أَحْسَنُ الْكِهَانَةَ، إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِينِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ، فَهَذَا الَّذِي أَكَلْتُ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ». وفي حديث كعب بن عجرة - رضي الله عنه - عند الترمذي

أَنَّ النَّبِيَّ - ﷺ - قَالَ لَهُ: «يَا كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أَوْلَى بِهِ».

فانتبه!! الأمر ليس هيناً، لو أَنَّ هذا المال اختلط بعظمك وبأمعائك اختلط بعروقك وبدمك هذا المال الحرام أترضى بجسدك أن يدخل النار، أهان عليك جسدك؟! أم هذا المال أعزُّ عليك من نفسك ومن جنبك ومن أولادك ومن بناتك، ومن زوجتك ومن أبيك ومن أمك،

لا تخسر نفسك يا عبد الله، ولا يَحْمِلَنَّك الجشع والطمع واستعجال الرزق واستعجال الرزق على أن تأخذ هذا المال من غير حِلِّه، فتنبه يا عبد الله حتى لا تذوق وبال أمرك يوم القيامة.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

ألا وإن من أعظم البواعث على أكل كثير من الناس للمال الخبيث؛ هو الجهل بأضراره وعدم فقهم بما يجنيه الإنسان من هذا المال الحرام.

ما يعلم العبد والله أنه إذا أكل المال الحرام؛ أنه يقسوا قلبه، ويضيق صدره، وتذهب بركة عمره، وتذهب بركة أمواله، فيصير في حالة لا يعلم بها إلا الله سبحانه وتعالى، يشقى في الدنيا بماله ثم يشقى يوم القيامة بذلك المال.

من أعظم أضرار هذا المال الخبيث الذي يكتسبه الإنسان؛ أن الإنسان إذا أكله غضب الله عليه وهو متوعد بدخول النار مصداقاً لقول النبي عليه الصلاة والسلام: **«يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، إِنَّهُ لَا يَزُبُّ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلَّا كَانَتْ النَّارُ أُولَى بِهِ».**

النار مثوى الذي يأكل المال الحرام، ولو اختلط بالمال الحلال والعياذ بالله.

من أعظم ما يجنيه من الأضرار من يأكل المال الحرام؛ أنه إن أنفق لم تقبل نفقته وإن تصدق لم يؤجر على صدقته، وإن أعطى الناس لم يتقبلها الله عز وجل منه، روى

ابن حبان والحاكم عن أبي هريرة (رضي الله عنه): **«أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَمَعَ مَالًا حَرَامًا ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِيهِ أَجْرٌ، وَكَانَ إِضْرُهُ عَلَيْهِ».** حسنه الألباني في الترغيب.

وروى أبوداود في المراسيل عن القاسم بن مخيمرة قال: **«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:**

«مَنْ اكْتَسَبَ مَالًا مِنْ مَائِمٍ، فَوَصَلَ بِهِ رَحِمًا أَوْ تَصَدَّقَ بِهِ أَوْ أَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ جُمِعَ ذَلِكَ جَمْعًا، فَقُذِفَ بِهِ فِي جَهَنَّمَ».

ما يقبله الله عز وجل منك، تنفق على أولادك، تأكلهم الحرام ما يقبلها الله منك، تصل به رحمك ما يتقبل الله منك ثم يجمع عليك كل ذلك وتقذف معه -والعياذ بالله- في نار جهنم. فإن الله طيب لا يقبل إلا طيباً.

لو لم يكن من أضرار أكل المال الحرام؛ إلا أن هذا المال يأتي شهيداً عليك يوم القيامة لكفى به خزيًا وندامة، فإن النبي -ﷺ- يقول كما عند مسلم من حديث أبي سعيد الخدري: «إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرٌ حُلُوٌّ، وَنَعَمَ صَاحِبُ الْمُسْلِمِ هُوَ لَنْ أُعْطَى مِنْهُ الْمُسْكِينُ، وَالْيَتِيمُ، وَابْنُ السَّبِيلِ وَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذْهُ بِغَيْرِ حَقِّهِ كَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

«يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ» صدق رسول الله ﷺ، انظر إلى من يخلطون ما لهم بهالٍ حلالٍ وحرام تجدهم ما يشبعون، ما يزال أحدهم يلهث بعد الدنيا، يلهث بعد المال الحرام، يلهث بعد الكسب الحرام، ما يبالي طمع وجشع، يأكل ولا يشبع ثم يوم القيامة يكون شهيداً عليه.

هذا المال يوم القيامة يحمي عليك يوم القيامة لأنك أدخلته من مال حرام، قال رحمته الله عليه كما عند الترمذي من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمْرِهِ فَيَمْلَأْهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فَيَمْلَأْهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ».

اسمع يا عبد الله، يا من تفرح بالأموال «وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ»، بالله عليك يا من دخلك من الحرام؛ من السيجارة أو من الشمة أو من التمباك أو

من القات، القات خبيثٌ وحرام، والسيجارةُ خبيثةٌ وحرام، والشمة خبيثةٌ وحرام،
والتمباك خبيثةٌ وحرام، ومن أكل من هذه الأموال فقد أكل مالا حراما، ومن أدخله
على أولاده فقد أدخل عليهم مالا حراما، ومن نبت جسمه من هذه الأشياء فقد
نبت جسمه من حرام، ماذا تفعلُ بها؟! ماذا تغني عنك من الله يوم القيامة؟!

«وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ»، أُولم يجعل الله عز وجل من الحلال ومن
الطيبات إلا هذه الأمور التي يلجأ إليها الناس لبيعها وللأكل منها وللتصدق منها،
والله إنها لخيثٌ والمال المكتسب منها مال خبيث، ولا تجد واحدا يعمل هذه إلى
وحالته ضنكا وإن لم يكن في الدنيا؛ ففي الآخرة يشقى في الدنيا ويشقى في الآخرة،
يشقى في قبره إذا نزل إلى ذلك القبر، انتبه لا تفرح بكثرة المال.

كانت بعض الزوجات الصاحات إذا خرج زوجها لطلب الرزق تقول له اتقي
الله ولا تأخذ حراما فإننا نصبرُ على الجوع ولا نصبرُ على النار.

فهل ترضى لأولادك أن يدخلوا النار؟!، لماذا تأكلهم حراما؟ أترضى لنفسك أن
تدخل النار؟! لماذا ترضى لها أن تأكل الحرام لماذا؟؟

ينبغي على العاقل والله أن يراجع أموره وأن يتقي ربه **سبحانه وتعالى**، وأن
يستحيي منه حق الحياء، لا يلقي ربه **سبحانه وتعالى** وفي ذمته مثل هذه الأمور،
ينبغي على الإنسان أن يتوب إلى ربه عز وجل.

الطيبات موجودة عظيمة لمن أراد أن يبيع ويشترى ويقتات، أمورٌ طيبة كثيرة
أباحها الله **سبحانه وتعالى** لعباده، ما جعل الله في هذه المحرمات الرزق فقط حتى
يبحث الناس عنها، ولكن الشيطان يزينها، الشيطان يزين لك هذه الأمور، لأنه

يَأْمُرُكَ بِالْفَحْشَاءِ ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٦٨].

فاتقوا الله يا عباد الله، الله الله في أنفسكم التي بين جنوبكم؛ لا تطعموها حراماً ولا تسقوها حراماً، ولا تأكلوا إلا ما أباح الله عز وجل لكم، اصبروا على الجوع، ما الذي يمنعك على الصبر على الجوع، صبر النبي ﷺ على الجوع، روى الطبراني والحاكم من حديث أم عبد الله، أخت شَدَادِ بْنِ أَوْسٍ (رضي الله عنه): «أَنَّهُا بَعَثَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَدَحٍ لَبَنٍ عِنْدَ فِطْرِهِ وَهُوَ صَائِمٌ، وَذَلِكَ فِي طُولِ النَّهَارِ، وَشِدَّةِ الْحَرِّ، فَردَّ إِلَيْهَا رَسُولُهَا: «أَنَّى لَكَ هَذَا اللَّبَنُ؟!». قَالَتْ: مِنْ شَاةٍ لِّي، قَالَ: فَردَّ إِلَيْهَا رَسُولُهَا: «أَنَّى كَانَتْ لَكَ هَذِهِ الشَّاةُ؟!». قَالَتْ: اشْتَرَيْتُهَا مِنْ مَالِي، فَأَخَذَهُ مِنْهَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَتَتْهُ فَقَالَتْ أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَعَثْتُ لَكَ بِاللَّبَنِ مَرِثِيَّةً لَكَ مِنْ طُولِ النَّهَارِ، وَشِدَّةِ الْحَرِّ، فَردَدْتَ الرَّسُولَ فِيهِ، فَقَالَ لَهَا: «بِذَلِكَ أُمِرْتُ الرَّسُلُ، أَلَا تَأْكُلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَلَا تَعْمَلُ إِلَّا صَالِحًا». صححه الألباني في الصحيحة

انظر إلى هذا الحديث وتفكر فيه، أرسلت له امرأة بلبن فقال -ﷺ-: «من أين هذا اللبن» قال له من فلانة بنت فلان قال ارجع إليها فقل لها من أين هذا اللبن، من أين يسأل عليه من أين هذا، فارجع إليها فقال لها يقول لك رسول الله ﷺ أنى لك هذا اللبن قالت هو من شاة لي، أي من عنز لي، من غنمة لي، فارجع إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إنه من شاة لها، قال له: «ارجع إليها فقل لها أنى لك هذه الشاة».

من أين أتيت بهذه الشاة قالت: يا رسول الله اشتريتها بهالي، فلما كان الغد أتته فقالت يا رسول الله أرسلت إليك باللبن مرثية لك من طول النهار وشدة الحر فرددت الرسول إلي فقال بذلك أمرت الرسل قبلي لا نأكل إلا طيبا ولا نعمل إلا صالحا. رواه الحاكم عن أم عبد الله أخت شداد بن أوس بسندٍ صحيحه الألباني في الصحيحة هكذا كان النبي ﷺ يتحرى طعامه وشرابه، وهكذا كان رسل الله، وهذا الذي ينبغي أن يكون عليه المؤمنون.

فالله الله يا عباد الله في تحري الحلال في المطعم والمشرب وفي كل ما نأتي ونذر، ولنترك الحرام فإنه لا يأتي بخير في الدنيا ولا في الآخرة.

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك واغننا بفضلك عمن سواك. والحمد لله رب العالمين.

القول المستراح في آداب المزاج

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَظِيمٌ﴾ [سورة الأحزاب: ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد عباد الله فإن الناظر إلى ديننا الإسلامي يعلم أن هذا الدين شاملٌ كاملٌ لجميع جوانب الحياة، ما أغفل الله -سبحانه وتعالى- ولا أغفل رسوله عليه الصلاة والسلام جانباً من جوانب الدين، لأنه رسول رب العالمين، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [سورة المائدة: ٣].

فأكمل الله - عز وجل - الدين الذي هو شامل لجميع نواحي الحياة، ما أغفل الله - سبحانه وتعالى - ولا رسوله - ﷺ - شيئاً منها أبداً.

وإن كثيراً من أعداء هذا الدين ليظل همهم في كيفية تشويه هذا الدين؟ فتجدهم يصفون هذا الدين الإسلامي بالتشدد وبالتنطع، وبأنه دين قسوة لا يعرف الرحمة، وليس عندهم شيء إلا الغضب، وتتمعر وجوههم في وجوه الناس، كل هذا مما يصفون به ديننا الإسلامي.

وغفلوا أن ديننا الإسلامي قد شمل جوانب كثيرة من جوانب الحياة، ودل النبي عليه الصلاة والسلام على آداب كثيرة تفيد الناس في دينهم ودنياهم.

ومن أعظم هذه الأمور ليعلم الناس وليعلم أعداء هذا أن في ديننا فسحة وأن في ديننا ما يستريح الإنسان به ألا وهو المزاح، فإن كثيراً من الناس يظن أن أهل الدين ومن تمسك بالدين ومن كان فقيهاً أو صالحاً أنه لا يضحك ولا يمزح ولا يداعب أبداً.

لهذا كان لا بد لنا أن نقف في هذه العجالة مع القول المستراح في آداب المزاح. فإن المزاح يا عباد الله اختلف أهل العلم فيه ما بين قائل بالكراهة وقائل بأنه لا حرج في ذلك، والصواب إن شاء الله أن المزاح لا حرج على الإنسان أن يمزح أحياناً مع التزامه بالآداب الشرعية التي جاء بها ديننا الحنيف، وبما جاء به نبينا عليه الصلاة والسلام.

فمن أخذ بهذه الآداب كان على خير حال بإذن الله - سبحانه وتعالى -.

وقد بوب الإمام البخاري - رحمه الله تعالى - في صحيحة فقال بَابُ الْإِنْسِاطِ إِلَى النَّاسِ، أي مداعبة الناس والضحك إليهم والتبسم في وجوههم، ثم قال - رحمه الله - حدثنا آدم وهو ابن عبد الرحمن ابن إياس وهو ثقة، قال حدثنا شعبة وهو ابن الحجاج إمام ورع زاهد ثقة عالم جليل، قال حدثنا أَبُو التَّيَّاح وهو يزيد بن حمير عليه رحمة الله وهو ثقة ثبت قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، يَقُولُ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لِيَخَالِطُنَا، حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي صَغِيرٍ: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ».

فقوله: (لِيَخَالِطُنَا) أي يلاطفنا بطلاقة الوجه والمزح، فكان النبي عليه الصلاة والسلام يداعب هذا الطفل الصغير ويقول له: يا أبا عمير ما فعل النغير.

جاء في رواية أحمد: «أَنَّ النَّبِيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ وَلَهَا ابْنٌ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ وَكَانَ يُمَازِحُهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَرَأَهُ حَزِينًا فَقَالَ: "مَا لِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا" فَقَالُوا مَاتَ نَعْرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ - أي العصفور الذي كان معه - قَالَ فَجَعَلَ يَقُولُ: "أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ"»

وثبت عند أحمد من حديث النعمان بن بشير عليه رضوان الله قَالَ: «جَاءَ أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَى النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فَسَمِعَ عَائِشَةَ وَهِيَ رَافِعَةٌ صَوْتَهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم، فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ: يَا ابْنَةُ أُمِّ رُومَانَ وَتَنَاوَلَهَا، أَتَرْفَعِينَ صَوْتَكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله عليه وآله وسلم؟ قَالَ: فَحَالَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم، بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَلَمَّا خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ جَعَلَ النَّبِيُّ صلَّى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ لَهَا يَتَرَضَّاهَا: "أَلَا تَرَيْنِ أَنِّي قَدْ حُلْتُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنِكَ"، قَالَ: ثُمَّ جَاءَ أَبُو

بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَوَجَدَهُ يُصَاحِكُهَا، قَالَ: فَأَذِنَ لَهُ، فَدَخَلَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَشْرَكَانِي فِي سِلْمِكُمَا، كَمَا أَشْرَكْتُمَانِي فِي حَرْبِكُمَا».

وجاء عند الترمذي في الشمائل من حديث الحسن البصري مرسلاً. وله شواهد عن أنس وعائشة يصح بها، قال الحسن: «أَتَتْ عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ: (يَا أُمَّ فُلَانٍ إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تَدْخُلُهَا عَجُوزٌ). قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي. فَقَالَ: (أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لَا تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً﴾ ٣٥ ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾ ٣٦ ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ ٣٧﴾ [سورة الواقعة: ٣٥-٣٧]».

وصححه الألباني في الصحيحة

أي أن الله - سبحانه وتعالى - يردها شابة ثم يدخلها الجنة.

هكذا كان النبي عليه الصلاة والسلام يمازح أصحابه، ويداعبهم.

حتى ثبت عند الترمذي من عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ تَدَاعِبُنَا، قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا».

وثبت عند أحمد من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ كَانَ اسْمُهُ زَاهِرًا كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ مِنَ الْبَادِيَةِ فَيَجْهِّزُهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرَجَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ إِنَّ زَاهِرًا بَادِيَتُنَا وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُحِبُّهُ وَكَانَ رَجُلًا دَمِيمًا فَاتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهُ فَقَالَ الرَّجُلُ أَرْسَلَنِي مِنْ هَذَا فَالْتَفَتَ فَعَرَفَ النَّبِيَّ ﷺ فَجَعَلَ لَا يَأْلُو مَا أَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِصَدْرِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ عَرَفَهُ وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ فَقَالَ يَا

رَسُولَ اللَّهِ إِذَا وَاللَّهِ تَجِدُنِي كَاسِدًا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ لَسْتُ بِكَاسِدٍ أَوْ قَالَ لَكِنْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْتَ غَالٍ».

وثبت عند أحمد من حديث صهيب بسند حسن قال: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ -
مُهَاجِرًا وَيَبْنَ يَدَيْهِ التَّمْرُ فَقَالَ: «تَعَالَ كُلْ». قَالَ: فَجَعَلْتُ أَكُلُ التَّمْرَ فَقَالَ: «تَأْكُلُ
التَّمْرَ وَبِكَ رَمَدٌ»، قَالَ قُلْتُ: إِنِّي أَمْضَعُهُ مِنْ نَاحِيَةِ أُخْرَى قَالَ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ.
أي التي ليس بها رمد، فلما علم صهيب أن النبي ﷺ - يمازحه مازحه عليه
رضوان الله، وهكذا كان الصحابة عليهم رضوان الله يتمازحون، لكنهم وقت
الحقائق والجد كانوا هم الرجال حقًا.

جاء عند رزاق في مصنفه أن ابن عمر رضي الله عنه سُئِلَ: هل كان أصحاب
رسول الله ﷺ يضحكون قال نعم والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبال.
هذا ليعلم الناس أن النبي عليه الصلاة والسلام أكمل الناس خلقًا ومع ذلك
فقد كان يداعب أصحابه ويذاعب زوجاته ويذاعب أهله وأولاده، ويذاعب الحسن
والحسين عليه الصلاة والسلام، لكن كل ذلك بمقدار، اسأل الله أن يوفقني وإياكم
لما يحبه ويرضاه.

الخطبة الثانية

الحمد وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله
ربي وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم تسليم كثيرا أما بعد.

اعلموا وفقني الله وإياكم أن المزاح له ضوابط وله آداب، فما ينبغي لعبد مؤمن
أن يكون لا هم له إلا المزاح ولا أن يخرج به المزاح إلى السخرية وإلى الاستهزاء وإلى
الإهانة أو إلى الكذب، أو غير ذلك، بل ينبغي على العبد المسلم أن يتأدب بآداب
الإسلام في كل ما يأتي ويذر ومن ذلك المزاح.

فمن أهم آداب المزاح أن العبد إذا مزح لا يكذب ولا يدخل الكذب في مزحه قلَّ
أو كثر فإن ذلك منهياً عنه.

لما مرَّ بنا في حديث أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله، إنك تُداعِبُنَا، قال: «إني
لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا».

وعند أحمد من حديث أنس بن مالك أن رجلا استحمل رسول الله ﷺ فقال:
"إني حاملك على ولد الناقة" فقال يا رسول الله ما أصنع بولد الناقة فقال رسول الله
ﷺ: "وهل تلد الإبل إلا النوق".

فالرجل ظنَّ أن النبي ﷺ سيحمله على ولد الناقة الصغير فقال يا رسول الله
وما افعل بولد الناقة؟

فالنبي ﷺ يقول حقاً ولا يكذب، وأما حال كثير من المسلمين فإنك تتعجب له، فكثير من المسلمين الذين يريدون أن يمازحوا الناس تراهم يكذبون ويختلقون الأحاديث لأجل إضحاك الناس، وقد ثبت عند أحمد وأبي داود والترمذي بسند صحيح من حديث معاوية بن حيدة قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ».

ويلٌ لهذا الرجل الذي يكذب في حديثه مع الناس ليضحكهم ويل له ثم ويل، وكم من الناس الآن الذين اتخذوا هذه النكت التي يتراسلون بها؟ يريدون أن يضحكوا أنفسهم وغيرهم. لكن يكذبون، هذا حرام ولا يجوز، هذا خرج عن طور المزاح المباح إلى الاختلاق والكذب.

وهذا مما لا ينبغي، وقد ثبت عند أبي داود عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - «أَنَا زَعِيمٌ بَيِّنَةٍ فِي رِبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبَيِّنَةٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا وَبَيِّنَةٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ حَسَّنَ خُلُقَهُ».

ما يصلح الكذب لا في جد ولا في هزل ولا في مزاح ولا في غيره، فتنبه يا عبد الله لا يأتي هؤلاء الذين تضحكهم اليوم فيضحكون منك في يوم القيامة، يضحكون عليك بدخولك في نار جهنم والعياذ بالله بسبب الكذب الذي أضحكته بهم إن لم يتجاوز الله عنك.

ومن أعظم الآداب في المزاح أن لا يكون بالاستهزاء في الدين أو بشيء من أمور الإسلام، ولا بالصالحين وهيئاتهم، فإنه لا يجوز أن يستهزأ الإنسان بشيء من أمور

الدين، لا بلحية ولا بثوب قصير ولا بالصالحين، ولا بحالهم أبدا هذا مما لا يجوز، فإن الاستهزاء بذلك استهزاء برب العالمين - **سبحانه وتعالى** - لأن الله - **سبحانه وتعالى** - هو الذي أمرهم بذلك، وهم ممثلون لأمر الله في لباسهم وهيئاتهم، فالسخرية بهم سخرية بالدين و برب العالمين.

قال ربُّ العزة سبحانه: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٦٥) لَا تَعْذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِّنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ (٦٦) [سورة التوبة: ٦٥-٦٦].

ثبت عند ابن أبي حاتم في تفسيره وعند الطبري في تفسيره من حديث ابن عمر عليه رضوان الله قال عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: « قَالَ رَجُلٌ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ فِي مَجْلِسٍ يَوْمًا: مَا رَأَيْتُ مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ لَا أَرْغَبُ بَطُونًا وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً وَلَا أَجَبْنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ فِي الْمَجْلِسِ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ مُنَافِقٌ لِأَخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ مُتَعَلِّقًا بِحَقَبِ نَاقَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَنْكُبُهُ الْحِجَارَةُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: ﴿ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: ﴿ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ ».

أنزل الله - عز وجل - فيهم هذه الآيات فجعل ذلك الرجل الذي تكلم بهذا الكلام يقول: يا رسول الله والله ما كنا إلا نخوض ونلعب، أين نتمازح؟ نمر الطريق

بهذا الكلام والنبي عليه الصلاة والسلام لا يزيد على قوله: ﴿أَبِاللَّهِ وَعَآيِنِهِ وَرَسُولِهِ﴾

كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠٧﴾

فإياك ثم إياك أن تستهزئ بالصالحين أو بأمر من أمور الدين التي أمر الله - عز وجل - بها، فإنَّ ذلك يُعدُّ استخفافاً بأوامر رب العالمين وهذا كُفْرٌ والعياذ بالله، يجب على من وقع فيه التوبة النصوح وعدم العود في ذلك.

إن من أعظم الآداب في المزاح أن لا يكون بترويع المسلمين وتخويفهم، فلا يجوز أن تخيف الناس ولا أن تفرعهم، كأن تجد رجلاً نائماً فتصيح في وجهه هذا ما هو مزاح قد يجني الرجل عليك فيقتلك، أو قد يموت بسبب الخوف، أو أن تجده في ظلمة فتفرعه أو تُمسك ثعباناً فترميه عليه أو تسرق منه شيئاً بقصد المزاح، هذا كله مما لا يجوز.

ثبت عند أحمد من عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنَا أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسِيرُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَسِيرٍ فَنَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَانْطَلَقَ بَعْضُهُمْ إِلَى نَبَلٍ مَعَهُ فَأَخَذَهَا فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ الرَّجُلُ فَرَعَ فَضَحِكَ الْقَوْمُ فَقَالَ: «مَا يُضْحِكُكُمْ؟» فَقَالُوا لَا إِلَّا أَنَّا أَخَذْنَا نَبَلٌ هَذَا فَفَرَغَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَرُوَّعَ مُسْلِمًا».

ما يجوز هذا ما هو مزاح ولا يدخل في المزاح المباح بل هذا محرَّم، أن يروع الإنسان الناس أو يرميَ إلى بيوتهم بأشياء بقصد الإفزاع أو يفعل لهم أشياء في الطريق بقصد أن يفرعهم، أي مزاح هذا؟

المزاح يا عباد الله هو كيف تبسط أخاك بما لا يكره، هذا معنى المزاح، أن تدخل عليه السرور بدون أن يكون فيه محذور.

ثبت في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب عليه رضوان الله في قصة النبي عليه الصلاة والسلام حين غاضب أزواجه. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالٍ حَصِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَرِ الرَّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَكِنًا عَلَى وَسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ حَشَوْهَا لَيْفٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَطَلَقْتَ نِسَاءَكَ؟ فَرَفَعَ إِلَيَّ بَصَرَهُ فَقَالَ: «لَا» فَقُلْتُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، ثُمَّ قُلْتُ وَأَنَا قَائِمٌ أَسْتَأْنِسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ رَأَيْتَنِي وَكُنَّا مَعَشَرَ قُرَيْشٍ نَغْلِبُ النِّسَاءَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ إِذَا قَوْمٌ نَغْلِبُهُمْ نِسَاؤُهُمْ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ رَأَيْتَنِي وَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ فَقُلْتُ لَهَا: لَا يَغُرَّنَا أَنْ كَانَتْ جَارَتُكَ أَوْضَاءَ مِنْكَ، وَأَحَبَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ - يُرِيدُ عَائِشَةَ - فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ تَبَسُّمَةً أُخْرَى، فَجَلَسْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ تَبَسَّمَ.

هذه هي التسلية على الأخ بما يُدخل عليه السرور، لا بالكذب والافتراءات والترويعات والنكات وغير ذلك مما لا يحل.

القصد من المزاح أن تسلي على أخيك إذا وجدته مهموما مغموما بشيء يبعد عنه ذلك الهم وذلك الكدر وذلك الأمر الذي حل به.

ومن أعظم آداب المزاح أن لا يكون ديدن العبد، أي لا يكون في كل وقت وحين، بعض الناس هداه الله كل وقته وهو مزاح، هنا مزاح هناك مزاح هناك مزاح، هذا ما هو صحيح الجد له أوقاته، وأكثر أوقات الناس جد، وقليل منها المزاح.

المزاح اجعله بقدر الملح في الطعام لا يزيد لأن الملح لو زاد أفسد الطعام؛ وكذلك المزاح يفسد الكلام ويفسد الصحبة ويفسد الأخلاق، وترى الناس بعد ذلك يتغاضبون ويكثر النزاع بينهم، وحلت الشحنة والبغضاء بين الناس بسبب المزاح، وكُم من ود فسد بسبب كان في أوله مزحة، لكنه أطال فيها وجعل يطيل فيها حتى انقلب بعد ذلك عذابا وفرقة بسببه.

من أعظم آداب المزاح أن لا يكون في كل وقت، فلا يكون الإنسان في مزاح إذا كان مثلاً في درس أو في محاضرة، لا هذا ما هو محل للمزاح، يجب أن تعرف متى تمازح، إما أن تتخذ وقتك كله مزاحاً، هذا مما لا ينبغي، فوقت الدرس درس ووقت المحاضرة محاضرة، ووقت الجد جد، ووقت الانبساط والتسلية والناس جالسون لا بأس أن يمدح الإنسان.

ومن أعظم آداب المزاح ومن أجلها أن تعرف للناس قدرهم، فلا تمازح العالم كما تمازح الجاهل ولا تمازح الشيخ كما تمازح العامي، لا بد أن تعرف للناس قدرهم، فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجَلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفَ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ" رواه أحمد بسندٍ حسنه العلامة الألباني في الصحيحة.

فمخاطبتك للعالم وللشيخ لا ينبغي أن تكون كما تخاطب ذلك الجاهل العامي، هذا ما هو صحيح.

لهذا ينبغي علينا وفقني الله وإياكم أن نأخذ هذه الآداب، فإنها آداب عظيمة، يا أيها الأخ الكريم إنك تأتي إلى هذا المسجد من أماكن بعيدة، قد لا يتيسر لك المجيء

وقت الدروس ولا المحاضرات ولا لغيرها لهذا خذ واستفد من حضورك لمثل هذه الخطب التي نتحرى أن نجعلها مما تنفع المسلمين في دينهم ودنياهم.

ولا يكن همك أنك دخلت المسجد وخرجت منه ما استفدت شيئاً، بل تعلم في هذه الأوقات التي بذلت إليها وسعك، وأتيت من أماكن بعيدة لتتعلم وتتفقه فيها، فإنها مما يتفقه الإنسان فيها في كثير من أمور دينه وأمور دنياه.

فخذ هذه الآداب واعمل بها. وكن كما كان رسول الله - ﷺ - في جده وهزله

فإن الله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١]. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

شرح اسم الله الشافي

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأعراف: ٧٠-٧١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأعراف: ٧٠-٧١].
أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

معاشر المسلمين فيقول ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ

فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٨٠].

الله سبحانه وتعالى يبين في هذه الآية العظيمة أنَّ له أسماءً حسنى، ينبغي على الناس أن يدعوه بها وأن يسألوا الله سبحانه وتعالى بمقتضاها، فإن الله عز وجل يحب من يتودد إليه بأسمائه، ومن يدعوه، ومن يقف بين يديه يسأله سبحانه وتعالى. وهذا كله يدعو العبد لأن يتدبر أسماء الله سبحانه وتعالى، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ومعنى أحصاها أنه قام بمقتضاها فعمل بمقتضى هذه الأسماء التي عرفها من كتاب ربنا وعرفها من سنة نبينا عليه الصلاة والسلام. ولأجل التودد إلى الله بأسمائه ومعرفتها ومحبتها فأننا نقف اليوم إن شاء الله مع اسم من أسماء الله سبحانه وتعالى.

اسمٌ عظيمٌ خفي على كثير من الناس أن يدعو الله سبحانه وتعالى به وأن يسأله به وأن يلجأ إليه في كل حال، في الصحيحين من حديث عائشة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِذَا عَادَ مَرِيضًا يَقُولُ: «أَذْهَبِ الْبَاسَ، رَبَّ النَّاسِ، اشْفِهِ أَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءٌ لَا يُعَادِرُ سَقَمًا».

هذا الاسم العظيم ألا وهو اسم الشافي، اسم ثابت لربنا سبحانه وتعالى بسنة نبينا عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث العظيم وبقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء: ٨٠].

كان النبي ﷺ إذا زار مريضاً يدعو له بهذا الدعاء انظروا إلى رسول الله ﷺ الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى من بين الناس، إذا عاد مريضاً وزار مريضاً دعا لذلك المريض فقال: «أَذْهِبِ الْبَاسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لَا يُغَادِرُ سَقَمًا». متفق عليه عن عائشة

إذا لا بد للعبد أن يعلم أموراً عظيمة من هذا الاسم العظيم وآثاراً جليلة من هذا الاسم العظيم ومن أعظمها ومن أجلها أن الشفاء ليس إلا من الله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه وتعالى هو الشافي لا شافي غيره سبحانه وتعالى، ولا أحد بيده الشفاء إلا الله عز وجل.

هذا الشفاء يشمل شفاء الأبدان من الأمراض، ويشمل كذلك شفاء القلوب من الأمراض التي تعتربها ومن الشبه ومن الضلالات ومن الغل ومن الحسد ومن الحقد ومن الغيبة ومن النسيمة "اللهم لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ"، لا بد للإنسان إذا أراد أن يتعافى من مرضه أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى في دعائه بهذا الاسم العظيم، فإذا لجأ إليه شفاه الله سبحانه وتعالى، قال ربنا سبحانه وتعالى في محكم كتابه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الأنعام: ١٧).

ويقول سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة يونس: ١٠٧).

استمع لهذه الآيات بقلبك الواعي إن كنت تعي ما قال الله في كتابه، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ الضر نكرة في سياق النفي تفيد العموم، أي كل ضر يصيب الإنسان، إن أصابك الله عز وجل بضر من الذي أصابك بهذا الضر إنه الله سبحانه وتعالى فإن كان الله عز وجل هو الذي أصابك بالضر فلا كاشف له إلا هو، أي لا رافع لهذا المرض ولا مزيل لهذا المرض إلا الله سبحانه وتعالى، هو الذي يزيل هذا المرض بدليل هذه الآية، أين معاصر الذين يتنقلون بين هذا وهذا ولا يلجؤون إلى ربهم سبحانه وتعالى أين هؤلاء المرضى، أما يستمعون وما يتدبرون كتاب ربهم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [سورة محمد: ٢٤].

أوتظن أن الذين يلجؤون إلى السحرة وإلى المشعوذين وإلى كذا وإلى كذا؛ ما يقرأون هذه الآية، بل يقرؤونها ويعلمونها، بل وبعضهم يحفظون قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء: ٨٠].

يحفظونها لكننا معاصر المسلمين ينقصنا العمل، أما الكتاب فإنه بين أيدينا، كتاب الله سبحانه وتعالى بين أيدينا نقرأه، لكن العمل لا نعمل إلا من رحم الله، نحن ضعفاء إيمان في العمل، ما تجد من يعمل بما أرشد الله إليه في كتابه إلا من رحم الله سبحانه وتعالى.

ومن آثار هذا الاسم الجليل أن يعلم العبد أن الله سبحانه وتعالى جعل أسبابا

للشفاء، جعل أسبابا للشفاء إذا أخذها الإنسان وسعى فيها يسّر الله له الشفاء، لأن الله هو الذي دلّك عليها.

ومن أعظم هذه الأسباب التي يتداوى بها ويستشفى بها؛ ألا وهو الدعاء، قال

ربنا **سبحانه وتعالى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا

دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٨٦].

واخرج الإمام أبو داود في سننه من حديث ابن عباس عن النبي -ﷺ- قَالَ:

"مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ

الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ". أي ما يزال في فسحة من العمر

وما يزال أجله بعيدا، وهذا مما لا نعلمه نحن هل حضر أجله أم لا، فلهذا كلما زرنا

مريضا قلنا هذا الدعاء فإن كان ممن لم يحضر أجله شفاه الله، وإن كانت الأخرى

فالأمر لله **سبحانه وتعالى.**

من زار مريضا لم يحضر أجله فقال عنده: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم

أن يشفيك سبع مرات إلا شفاه الله من مرضه، تعال يا عبد الله كم مرة زرت مريضا

وقلت هذا الدعاء عند رأسه، هذا والله أحسن من أن تأخذ له تفاحا أو تأخذ له

برتقالا أو تأخذ له شيئا من أمور الدنيا، أن تدعو له عند رأسه بهذا الدعاء: أسأل

الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن

يشفيك سبع مرات، إلا شفاه الله، وقليل من عباد الله الذين يقولون هذا الدعاء،

فغالب الناس لا يستشعرون عظم دعاء الله سبحانه وتعالى، الذي ما دعاه عبد إلا شفاه.

إن كان الله عز وجل هو الذي خلق ذلك المرض فهو سبحانه وتعالى الذي يقدر أن يزيله، ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً».

لا تحف يا عبد الله فما من داء إلا وأنزل له دواء لكن؛ علمه من علمه وجهله من جهله، ما أعظم وما أجمل أن يطلب العبد أمره من الله سبحانه وتعالى.

الأمر الثاني مما يستشفى به والذي جعله الله عز وجل شفاء للناس ألا وهو القرآن، أين المستشفون بالقرآن الذي إذا مرض ولده قرأ عليه الفاتحة قرأ عليه آية الكرسي قرأ عليه المعوذات أين الذي يستشفى بالقرآن، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [سورة الإسراء: ٨٢].

وقال عز من قائل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٥٧].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة فصلت: ٤٤].

وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ قَدْ جَاءَ تَكُفُّهُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكَمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٥٧].

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث روى البخاري في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: "كَانَ يَنْفِثُ عَلَى نَفْسِهِ فِي مَرَضِهِ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ بِالْمَعُودَاتِ، فَلَمَّا ثَقُلَ كُنْتُ أَنَا أَنْفِثُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَمْسَحُ بِيَدِ نَفْسِهِ لِرِكَتِهَا".

يمسح على سائر جسده من الاستشفاء بالقرآن، وهذا أبو سعيد الخدري عليه رضوان الله يأتي على رجل كما في الصحيح قد لدغته عقرب أو حية يقرأ الفاتحة، الفاتحة آيات يسيرات ثم ينفث على مكان ذلك اللدغ فيقوم ذلك الرجل كأنما نشط من عقال، ولكن أبا سعيد عليه رضوان الله كان على يقين بأن الله يشفي بهذا القرآن، أما نحن الآن نعاني من ضعف اليقين.

الآن من أصابه مس من الجن أو أصابه السحر أو أصابته عين أو أصابه مرض يبدأ يمر على جميع المستشفيات، فإن لم يُشفَ مرَّ على جميع المستشفيات الخاصة، فإن لم يُشفَ مرَّ على جميع المشعوذين فإن لم يُشفَ مرَّ على جميع الساحرة والكهنة، فإن يأس من الشفاء بعد ذلك قال: نجرب القرآن إن شاء الله.

لا إله إلا الله أولئك كان مقتنعاً بهم وكان مقتنعاً بأنهم يشفون، الدكتور الفلاني ما هناك مثله والطبيب الفلاني ما هناك مثله، وأما كتاب الله فإنه سيجرب.

يا سبحان الله كيف أصبح الناس يجربون كتاب ربهم الذي هو الأصل في الشفاء، والله إنه الأصل في الشفاء، ولا يشفي غير الله سبحانه وتعالى وهذا كلامه، القرآن كلامه الله.

قال ابن القيم في زاد المعاد: القرآن هو الشفاء التام من جميع الأدوية القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كُلُّ أحدٍ يُؤْهِل ولا يُوقِّق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضعَه على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقادٍ جازم، واستيفاءٍ شروطه، لم يُقاومهُ الداءُ أبداً، وكيف تُقاومُ الأدويةُ كلامَ ربِّ الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال، لصدَّعَها، أو على الأرض، لقطعها، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٥١]. فمن لم يشفه القرآن، فلا شفاه الله، ومن لم يكفه، فلا كفاه الله. انتهى كلامه

فقوي الإيمان يقرأ على نفسه، في الصحيحين عن عائشة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى الْإِنْسَانُ شَيْئاً مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ، قَالَ: النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَابَتَهُ بِالْأَرْضِ، ثُمَّ رَفَعَهَا ثُمَّ يَقُولُ: «بِاسْمِ اللَّهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةٍ بَعْضِنَا، يُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا، بِإِذْنِ رَبِّنَا».

يضع قليلا من الريق مع قليل من التراب ويقول باسم الله ويضع على الجرح ثقة بالله أن الله يشفيه، فيشفيه الله، أما كثير من الناس في هذا الزمان ضعفت ثقتهم بالله وقلَّ توكلهم على الله، فتركوا التداوي بالقرآن.

فلا تقل لماذا كثير من الناس يستشفون بالقرآن ولا ينتفع بقول الخلل عنده هو في صدره وقلبه، لا في كتاب الله إن الخلل في قلبه لا في كلام الله - **سبحانه وتعالى** - لأن الله - عز وجل - يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

ونزل من القرآن ومن هنا بيانية لا تبعية، ثم قال: ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾، فقال: للمؤمنين، أما الظالمون فقال سبحانه: ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾.

وإن من أعظم الأسباب التي جعلها ربنا شفاء للناس ألا وهو العسل، قال الله عز وجل: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ اللَّبَالِ يَوْمًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة النحل: ٦٨-٦٩].

انظر على اختلاف أنواع العسل ومع ذلك تجد كل نوع من أنواع العسل علاجاً لمرضى من الأمراض، هذا من فضل الله - **سبحانه وتعالى** - على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

فهذا علاج للكبد، وهذا للمعدة، وهذا للكلية، وكم من الأمراض التي جعل الله علاجها في العسل، وفضل الله على عباده عظيم.

ومن أعظم ما يتداوى به ألا وهي الحبة السوداء، كما قال عليه الصلاة والسلام في الصحيحين من حديث أبي هريرة: **"الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام"** قيل: وما السام قال: **"الموت"**.

هذا فقط الذي لا شفاء منه، أما ما سوى ذلك ففي الحبة السوداء شفاء. لكن لا بد أن تعلم وفقك الله أن هذه الأمور لا بد أن تؤخذ بمقادير مضبوطة لتكون نافعة، فأحياناً الحبة السوداء قد تنفع إذا استخدمت مع العسل، وقد تنفع إذا استخدمت مع الثوم، وقد تنفع شماً وقد تنفع تعاطياً، وقد تنفع ادهاناً، فكل شيء له مقدار يجعل الله فيه النفع، فياخذها الإنسان بمقدار وبميزان وبما علم مقداره بالتجربة.

قال أبو بكر بن العربي: "العسل عند الأطباء أقرب إلى أن يكون دواء من كل داء من الحبة السوداء، ومع ذلك فإن من الأمراض ما لو شرب صاحبه العسل لتأذى به، فإن كان المراد بقوله في العسل: ﴿فيه شفاء للناس﴾ الأكثر الأغلب، فحمل الحبة السوداء على ذلك أولى".

وقال غيره: كان النبي ﷺ يصف الدواء بحسب ما يشاهده من حال المريض، فلعل قوله في الحبة السوداء وافق مرض من مزاجه بارد، فيكون معنى قوله: **"شفاء من كل داء"**. أي من هذا الجنس الذي وقع القول فيه. والله أعلم.

ومن أعظم ما جعله الله -عز وجل- شفاء للناس ألا وهو ماء زمزم، فقد جعل الله -سبحانه وتعالى- فيه شفاء للناس، كما عند ابن ماجه من حديث عن جابر قال

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَاءُ زَمْزَمَ لَهَا شَرِبَ لَهُ"، ففيه شفاء من الأمراض إن شاء الله تعالى، شفاء من الوسوسة إن شاء الله عز وجل، شفاء كذلك من الغل والحسد والحق الذي في قلبك، شفاء لضعف الذاكرة عندك، شفاء من كثرة النسيان، من كثرة النوم إن شاء الله تشفى والله ما شربه شارب لشيء إلا وشفى بإذن الله - **سبحانه وتعالى** - ولا بد عند شربه من اليقين بالله، لأنه هو الذي جعل فيه البركة وهو الذي جعل فيه الشفاء - **سبحانه وتعالى** -.

قال ابن القيم في زاد المعاد: ولقد مرَّ بي وقت بمكة سَقَمْتُ فيه، وفَقَدْتُ الطَّيِّبَ والدواء، فكنت أتعالج بالفاتحة، آخذ شربةً من ماء زمزم، وأقرأ الفاتحة عليها مراراً، ثم أشربه، فوجدتُ بذلك البرء التام، ثم صِرْتُ أَعْتَمِدُ ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنْتَفَع بها غايةَ الانتفاع. انتهى كلامه

الحافظ بن حجر عليه رحمة الله شربه بنية أن الله **سبحانه وتعالى** يوسع حفظه ويجعله حافظاً لكتاب الله ولسنة رسول الله فصار حافظاً يحفظ مئات الآلاف الأحاديث بأسانيدھا.

العلامة الألباني - رحمه الله - أصابه تليف في الكبد، فذهب عند بعض الدكاترة، فقالوا له: أنت ما لك علاج عندنا لا هنا ولا في الخارج، قال فجلست في الحرم أربعين يوماً قال لا أشرب ولا أكل إلا زمزم فقط ولا شيء ما في طعام ما في طعام إلا زمزم لأن النبي ﷺ قال كما في صحيح مسلم: «إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ، إِنَّهَا طَعَامُ طُعْمٍ». ماء زمزم مبارك طعام فعلاً، بمعنى إذا شربه الإنسان يريد أن يسغني به عن الطعام كفاه، فزمزم الماء الوحيد الذي يغنيك عن الطعام.

قال فجلست أربعين يوما ليس لي طعام ولا شراب إلا ماء زمزم أربعين يوما قال: وبعد الأربعين ذهبت إلى المستشفى التي كنت أتعالج فيها فعملت فحوصات فتعجب الدكاترة، قالوا أين تداويت وماذا فعلت؟

الرجل عنده عقيدة أن الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** يشفيه بما جعله سبباً في الشفاء، فشفاه الله.

فيا أخي بدلا من أن ترهق نفسك وتمرضها بالذهاب عند المشعوذ الفلاني، وساعة هنا وساعة هناك، الجأ إلى ربك - **سبحانه وتعالى** - وخذ بهذه الأسباب التي جعلها ربنا - **سبحانه وتعالى** - يشفيك ربك بحوله وقوته، ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [سورة الشعراء: ٨٠].

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده واشهد أن لا إله إلا الله ربي وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثيرا أما بعد:

ومن الأسباب أيضا الحجامه عن ابن عباس، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: فِي شَرْطَةِ مُحْجَمٍ، أَوْ شَرْبَةِ عَسَلٍ، أَوْ كَيْةٍ بِنَارٍ، وَأَنَا أَنْهَى أُمَّتِي عَنِ الْكَيِّ " فالاستشفاء بالحجامه أمره عظيم أيضا وهي من الأشفية التي جعلها الله - سبحانه وتعالى - لعباده.

ومع هذه الأشفية التي جعلها الله سبحانه وتعالى لعباده؛ إلا أنك ترى كثيرا من الناس يستشفون بما لم يجعله الله سببا للشفاء.

من الذهاب للمشعوذين أو دعاء الأموات، أو أكل ترابهم، أو غير ذلك مما يوقعهم في الشرك بالله عز وجل.

في الصحيحين عن عطاء بن أبي رباح، قَالَ: قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: هَذِهِ الْمَرْأَةُ السَّوْدَاءُ، أَتَتْ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أَصْرَعٌ، وَإِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي، قَالَ: «إِنْ شِئْتَ صَبَرْتُ وَلَكَ الْجَنَّةُ»، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيكَ» فَقَالَتْ: أَصْبِرُ، فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ لَا أَتَكَشَّفَ، فَدَعَا لَهَا.

قالت يا رسول الله أدع الله أن يشفيني، تعرف أنه ما هو الذي يشفي فتقول له ادع الله الشافي والشافي، أدع الله أن يشفيني قال إن شئت دعوت الله لك فشفاك وإن شئت صبرت ولك الجنة، اختاري أحد الأمرين، فكرت المرأة قالت الجنة يا رسول الله، ضمنت الجنة بهذا الأمر العظيم على صبرها على هذا البلاء.

فلتعلم أيها العبد أن الشافي هو الله - سبحانه وتعالى - لا غيره، لا رسول الله يشفيك، ولا الصالحون يشفونك، ولا المشعوذون يشفون، ولا الدكاترة يشفون، ولا الرقاة يشفون الشفاء من عند الله اشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك.

الناس الآن تعلقوا بالأسباب فأوكلهم الله - عز وجل - إلى هذه الأسباب، يذهب أحدهم إلى أحد المستشفيات؛ خلاص عنده ثقة أن هذا الدكتور يشفيه، هذا إنما هو سبب جعله الله - سبحانه وتعالى - سبباً، إن لم يشأ الله - عز وجل - أن ينزل الشفاء لم ينزل.

ولهذا تجد كثيراً ممن تتأخر أمراضهم كثيراً لا يشفون ولو مروا على دكاترة الدنيا بأكملها، ما نفعهم ذلك، لماذا؟ بسبب أن الله ما أنزل الدواء.

فلا تعلق نفسك بالسبب حتى إذا ذهبت إلى المستشفيات، نعم يجوز أن تذهب وتداوى فإن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: "عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، أَوْ قَالَ: دَوَاءً"، لكن اجعل قلبك متعلقاً بالله لا بالدكتور ولا بالعلاج لا بالراق، أما المشعوذون والسحرة فلا يجوز الذهاب عندهم البتة.

ثم اعلم أن من أثار هذا الاسم الجليل ألا وهو الشافي أن الشفاء قد يتأخر قليلا ما هو لا بد أنك تدعو الله فيشفيك مباشرة، فقد يتأخر الشفاء لحكم أرادها الله. انظر إلى نبي من أنبياء الله وهو أيوب عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل عنه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٨٣].

وقال ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [سورة ص: ٤١].

ينادي ربه - سبحانه وتعالى - أنه قد أصابه المرض وأنت ارحم الراحمين وأنت ارحم الراحمين فاستجاب الله - عز وجل - له وشفاه، لكن بعد كم من الصبر على البلاء والمرض.

قال أهل التفسير استمر بلاء أيوب عليه الصلاة والسلام ثمانية عشر سنة، وهو نبي من أنبياء الله ثم شفاه الله - عز وجل - بعد ثمانية عشر سنة.

فإذا تأخر شفاؤك لا تقل لماذا ما شفاني، بل قل لعلها رفعة للدرجات، لعلها تكفير للسيئات، لعل الله أراد بي خيرا استمع لهذا الحديث العظيم، روى الترمذي عن جابر، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرْصَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِضِ». حين يجزيهم الله على صبرهم وعلى ما ابتلاههم الله - عز وجل - به، هناك ترى أهل العافية يقولون والله ليت جلودنا نشرت بالمنشير.

لهذا ينبغي علينا جميعًا وفقني الله وإياكم أن نتعلق بربنا، وأن نستشفى به، وأن نرجع إلى الله - سبحانه وتعالى - إذا جاءك مريض لا تعلق قلبه بأحدٍ من المخلوقين، وعلق قلبه بالله، قل له يا أخي صلّ لله ركعتين، قم من الليل وناجي ربك، وكذلك المريض في المستشفى يدعو الله - سبحانه وتعالى - أن يشفيه فإذا استشفيت بالله - عز وجل - شفاك بما يقدره الله من الأسباب أو بدون سبب، فله الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله - سبحانه وتعالى -.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا إلى طاعته والحمد لله رب العالمين.

تحذير المؤمنين من الداء الدفين

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

ذُنُوبِكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧١-٧٠].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله اعلموا وفقني الله وإياكم أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا في أمر عظيم، وفي بلاء عظيم قد ابتلاه الله - سبحانه وتعالى - في هذه الحياة، وقد جعل الله - سبحانه وتعالى - صلاح العباد بصلاح أمر في هذا العبد؛ ألا وهو هذا القلب.

فإذا صلح القلب صلح العبد وسائر عمله، وإذا فسد القلب فسد العبد وسائر عمله، كما ثبت في الصحيحين من حديث النعمان بن بشير عليه رضوان الله أن النبي

عليه الصلاة والسلام قال: «إِنَّ الْحَلَائِلَ بَيْنَ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعَرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مُحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تَصِيبُ بَنِي آدَمَ هِيَ أَمْرَاضُ الْقُلُوبِ، الَّتِي إِذَا أَصَابَتْ الْقَلْبَ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَبْدُ أَنْ يَزِيلَهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ الْعَبْدُ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

لهذا يقول ربنا جل وعلا في محكم كتابه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا
يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ
﴿١٠﴾ [سورة البقرة: ٨-١٠].

فالقلوب إذا مرضت يا عبد الله ولم يتدارك العبد مرضها، ويصلح من حاله
و حال قلبه؛ قاده ذلك إلى الهلاك والعذاب الأليم والعياذ بالله.
فلا يصلح لك حال ولا يصلح لك مال إلا بصلاح قلبك.

قال الله سبحانه وتعالى مخبرا عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ
يُبْعَثُونَ﴾ (٨٧) يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [سورة الشعراء: ٨٧-٨٩].

أي خال من المرض، خال من الأدوية والداء، خال من كل ضغينة تلتحق بهذه القلوب.

لهذا أحببنا في هذه الدقائق المعدودة أن نقف مع خطبة بعنوان **"تحذير المؤمنين من الداء الدفين"** هذا الداء الذي يصيب القلوب داء عظيم لا يتخلص منه العبد إلا أن يشاء الله - **سبحانه وتعالى** -، إنه داء الحسد.

هذا الداء الدفين الذي عصف بكثير من القلوب، وأصبح كثير من المسلمين يحسدون إخوانهم على ما آتاهم الله - عز وجل - من فضله، وعلى ما من الله - عز وجل - به من النعم على عباده، كل هذا بسبب هذا الداء الفتاك الذي فتك بالأمم من قبلنا، وها هو يفتك بهذه الأمة، كما ثبت عند الترمذي من حديث الزبير ابن العوام عليه رضوان الله **"دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَخْلُقُ الشَّعَرَ وَلَكِنْ تَخْلُقُ الدِّينَ"**

دب إليكم أي صار يسري في أوساطكم في قلوبكم وأنتم لا تشعرون بذلك، هذا الحسد يا عباد الله الذي فتك بالمجتمعات والذي فتك بالمسلمين، كل هذا بسبب هذا الداء الدفين.

واعلموا وفقني الله وإياكم أن الحسد على أنواع:

النوع الأول وهو حسد محمود لا إثم فيه، بل بإذن الله - عز وجل - أن الإنسان سالم يؤجر فيه بنيته، ألا وهو حسد الغبطة، بمعنى أن الإنسان يتمنى أن يكون له مثل ما عند أخيه إلا أنه لا يتمنى زوال النعمة عن أخيه أبداً، هذا لا حرج فيه ولا

ينبغي أن يكون في أمور الدنيا التي يتنافس عليها الناس، وإنما في أمور الدين وما يقرب من الله عز وجل.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ الْقُرْآنَ، فَهُوَ يَتْلُوهُ آتَاءَ اللَّيْلِ، وَآتَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ، فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَهْلِكُهُ فِي الْحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فَلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ " .

أي لا حسد مغبوط ويحمد صاحبه إلا في هذين الأمرين أن يعطيه الله -عز وجل- قرآنا يقوم به من الليل يقرؤه في النهار أو يعطيه الله مالا ينفقه آتاء الليل وأطراف النهار هذا الحسد يسمى حسد غبطة، بأن تتمنى أن يكون لك مثل أخيك.

وقد ثبت عند ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة، قَالَ:، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟، قَالَ: هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَرْحَامٍ وَلَا انْتِسَابٍ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

يغبطوهم ويتمنون أن يكونوا مثلهم لقرّبهم من الله -سبحانه وتعالى-. هذا الحسد ليس بمذموم بل هو محمود، أن يتمنى العبد الرفعة في الدين، أن يتمنى العبد أن يكون على خير وعلي تقوى، أن يتمنى العبد أن يكون على ورع مع سعيه في سبيل

كل ذلك بالطرق الشرعية، هذا محمود ويحملك على العمل في طاعة الله والتزود منه.

النوع الثاني من أنواع الحسد ألا وهو أن تتمنى زوال النعمة عن غيرك، وأن تتحول هذه النعمة إليك فهذا حسدٌ مذموم ولا يجوز.

النوع الثالث من أنواع الحسد أن تتمنى أن تزول النعمة عن أخيك، وأن لا تصل النعم إليه ولو لم ترجع إليك وهذا أقبح وأعظم من سابقة.

فهذان النوعان وما قاد إليهما محرمان شرعاً في كتاب ربنا سبحانه وفي سنة نبينا عليه الصلاة والسلام، هذا هو الحسد المذموم يا عباد الله، وهو الداء الدفين، لأنه يمسك بالقلوب ويفتك بالناس ويقطع الود فيما بينهم، وهذا ما كان من اليهود ومن النصارى ومن المشركين، ووقع منهم كثيراً، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ١٠٩].

واسمع لقوله في هذه الآية: ﴿لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ لماذا؟ مِّنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ، أي بعد أن تبين لهم أنكم على الحق حسدوكم، وأرادوا أن يزول عنكم هذا الإيمان وأن يزول عنكم هذا الإسلام، وأن لا تكونون كذلك أبداً.

وثبت عند ابن ماجه من حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ".

تحسدنا اليهود والمشركون يحسدوننا والنصارى يحسدوننا، والمسلمون فيما بينهم يتحاسدون والعياذ بالله.

فانتبه لهذا الداء الدفين، هذا الداء الذي يفتك بالقلوب إذا طغى على قلبك يا عبد الله لا تسلم منه إلا أن يسلمك الله - سبحانه وتعالى -.

واعلموا وفقني الله وإياكم أن الأسباب التي تدفع إلى الحسد كثيرة:

ومنها عدم الرضا بما أعطاه الله - سبحانه وتعالى - عدم القناعة بما رزقه الله - عز وجل -، فيرى أن غيره أحسن منه وأن الله - سبحانه وتعالى - فضله عليه.

ومنها الكبر فيحب أن يتكبر وأن يكون أحسن من الغير، ولا يريد من أحد أن يتفوق عليه.

قد يكون بسبب التنافس إما في أمور الدنيا وإما في أمور الدين فقد يحصل بين تنافس يجعل كل واحد يحسد الآخر، هذا يتمنى أن تزول تجارة هذا، وهذا يتمنى أن يزول ملك هذا، وهذا يتمنى أن تزول رئاسة هذا، وهذا كله من الحسد والعياذ بالله الذي لا يجوز أبدا.

وقد يكون بسبب ما فضل الله - عز وجل - أو رزق ذلك المحسود وأعطاه الله - سبحانه وتعالى - من الفهم ومن الذكاء ومن العلم، فلا تدري إلا والناس يحسدونه على ذلك حسداً عظيماً.

واعلموا وفقني الله وإياكم أن الحسد له أضرارٌ عظيمةٌ تفتك بالمجتمعات فتكًا شديدًا.

فمن أعظم هذا الإضرار التي تلحق بالحاسد أنه يناله سخط الله - سبحانه وتعالى - لأنه معترض على قدر الله معترض على قضاء الله، وكأنه يقول يا ربي لم فضلت هذا على؟ لما أعطيت هذا ولم تعطني؟ لما رفعت هذا ولم ترفعني؟ لم منحت هذا ولم تمنحني؟

وكانه يقول هذا الكلام والعياذ بالله، والله - سبحانه وتعالى - يقول عن معاشر قريش حين قالوا للنبي عليه الصلاة والسلام: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْبَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [سورة الزخرف: ٣١]. فقال سبحانه: ﴿أَهْمُرِيقَسْمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُلْحِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٣٢].

يرفع الله سبحانه وتعالى من شاء، ويعطي سبحانه وتعالى من شاء، والله - عز وجل - يقول: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٥٤].

أعطاهم الله - سبحانه وتعالى - ومن عليهم - سبحانه وتعالى -، فهل تعترض على حكمة الله؟ حتى تنال سخط الله - سبحانه وتعالى - فيأياك من هذا الداء الذي يحل عليك به سخط الله - سبحانه وتعالى - والعياذ بالله.

ومن أعظم ما ينال الحاسد من الضرر ألا وهو أنه يموت غيظًا، وإنه يموت كمدًا،
كل لحظة وكل ساعة وكلما نزلت بك نعمة مات ذلك الحاسد كمدًا في قلبه، وازداد
همه وغمه.

لهذا أحسن من قال:

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحُسُودِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
فَالنَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ لَمْ تَحِدْ مَا تَأْكُلُهُ
هذا الحاسد ينقلب شره على نفسه بسبب أنه يحسد غيره فلا يدري إلا وهو يقتل
نفسه العياذ بالله.

ومن أعظم الأضرار التي تقع بسبب هذا الحسد وتقع على ذلك الحاسد أن الناس
يعافونه ويتركونه ويهجرونه ولا يجلسون معه ولا يحبونه ويغضونه ويكرهونه كل
ذلك بسبب نفسه، لأن يعلمون أنه يحسدهم على كل شيء، فلا يجالسونه ولا يحبونه.
ومن أعظم الأضرار التي تنتزل بسبب ذلك الحسد إنه قد يقوده إلى أمور خطيرة
ومن أعظمها وأجلها على الإطلاق ألا وهو الكفر بالله سبحانه وتعالى.

فالحسد قد يصل بالعبد والعياذ بالله إلى أن يكفر بالله سبحانه وتعالى، وانظروا
لما كان من اليهود الذين كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج ويقولون إنه سيخرج
في هذا الزمن نبي فإذا خرج قاتلناكم معه، فلما خرج من غيرهم وخرج من العرب
حسدوهم على ذلك، فكفروا بالله سبحانه وتعالى وكفروا بالنبي ﷺ الذي كانوا
ينتظرون خروجه وإلا فإنهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم لأن الله عز

وجل وصفه بأوصاف عظيمة في كتبهم لا يغفل عنها أحد أبدا لكنهم بسبب الحسد أصرّوا على البقاء على الكفر والعياذ بالله.

قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كَذَبُ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨٩].

وكذلك قريش إنما كفر كبارؤهم مثل أبي جهل وغيره بسبب الحسد جاء في تاريخ الإسلام عن المُعِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ يَوْمٍ عَرَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنِّي أُمَشِي أَنَا وَأَبُو جَهْلٍ، إِذْ لَقِينَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لِأَبِي جَهْلٍ: يَا أَبَا الْحَكَمِ هَلُمَّ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: يَا مُحَمَّدُ هَلْ أَنْتَ مُتِّهِ عَنْ سَبِّ آلِهَتِنَا، هَلْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ نَشْهَدَ أَنْ قَدْ بَلَّغْتَ، فَوَاللَّهِ لَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ مَا تَقُولُ حَقٌّ مَا أَتَّبَعْتُكَ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنْ لَأَعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُ حَقٌّ، وَلَكِنْ بَنُو قُصَيٍّ قَالُوا: فِينَا الْحِجَابَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، فَقَالُوا: فِينَا النَّدْوَةُ، قُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ قَالُوا: فِينَا اللَّوَاءُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، وَقَالُوا: فِينَا السَّقَايَةُ، فَقُلْنَا: نَعَمْ، ثُمَّ أَطْعَمُوا وَأَطْعَمْنَا حَتَّى إِذَا تَحَاكَّتِ الرُّكَبُ قَالُوا: مَنْ نَبِيٍّ، وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ».

يا سبحان الله على الحسد كيف يفعل بصاحبه، يكفر بالله سبحانه وتعالى بسبب أنه يحسد ذلك المحسود على ذلك الأمر العظيم الذي وهبه الله عز وجل.

ومن أعظم الأضرار التي تقع بسبب هذا الحسد أنه قد يصل بذلك الحاسد إلى أن يقتل من يحسده والعياذ بالله، كما جاء في قصة ابني آدم الذي تقبل الله عز وجل من

أحدهم ولم يتقبل من الآخر، قال الله سبحانه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧) لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْشُرَ بِإِثْمِي وَإِثْمُكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ [سورة المائدة: ٢٧-٣٠].

حسده لأن الله عز وجل تقبل من أخيه ولم يتقبل منه، فطوعت له نفسه قتل أخيه حسداً فقتله، كل ذلك بسبب ذلك الحسد.

وقد يصل الحسد بصاحبه إلى أن يبلغ إلى النفاق والعياذ بالله كما جاء عن عبد الله ابن أبي بن سلول ما أسلم وأظهر الإسلام وأبطن الكفر إلا لأنه حسد النبي عليه الصلاة والسلام، لأنه جاء إلى المدينة فأخذ البساط من تحته كما يقال فحسده حسداً شديداً فنافق نفاقاً شديداً وجعل يمكر بالنبي ﷺ وأصحابه كل ذلك حسداً من عند نفسه.

وقد يصل الحسد بصاحبه أن يتخذ أساليب تفتك بالمحسود والعياذ بالله، كما

حصل من إخوة يوسف قال الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ زَعَايَ إِذْ قَالَُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٨) أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ طَرْحُوهُ أَرْضًا يَخُلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

صَلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ
إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴿[سورة يوسف: ٧-١٢].

انظر على كيد كل هذا بسبب الحسد ليوسف عليه الصلاة والسلام أن والده أحبه
كادوا له وأرادوا قتله، وألقوه في البئر ثم بعد ذلك باعوه بثمان بخس، قال الله
سبحانه: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيِّبَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَهُمْ
بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا
نَسْتَبِقُ وَتَرَكَنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْلَعِنَا فَآكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا
صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمُ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَى
هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّهُ بِضْعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَّوهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ
مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ ﴿[سورة يوسف: ١٥-٢٠].

كل هذه الأمور التي قد تحصل بسبب هذا الحسد.

فإياك أيها الأخ الكريم، وأيتها الأخت الكريمة من هذا الداء الدفين الذي يفتك
بالعباد.

وإياك أن تضطرم ناره في قلبك فلا تستطيع بعد ذلك أن تطفئها وأن تتخلص من
هذا الداء الذي يوقعك في المهالك، فنسأل الله بمنه وكرمه أن يجنبنا من هذا الداء.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا إله إلا الله
ربي وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم تسليم كثير أما بعد:

اعلموا وفقني الله وإياكم أن هذا الداء الذي يفتك بالقلوب لا بد له من علاج،
ولا بد أن يعالج الإنسان نفسه سواء إذا كان ممن تغلغل هذا الداء في قلبه، أو كان
ممن هو محسود فإن النبي عليه الصلاة والسلام يقول إن كل ذا نعمة محسود فكل من
أعطاه الله عز وجل نعمًا محسود ولا شك ولا يخل

فقد جاء في شعب الإيمان للبيهقي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ: "اسْتَعِينُوا عَلَى نَجَاحِ الْخَوَائِجِ بِالْكِتْمَانِ هَذَا فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مُحْسُودٌ".

فكل من أعطاه الله عز وجل نعمة كان محسودًا ولا شك ولا يخلو جسد من
حسد، لا يخلو جسد من حسد، لكن لكل داء دواء ولكل مرض علاج.

فلا بد أولاً أن تقي نفسك من الحسد؟ ثم تنظر كيف تقي غيرك من هذا الحسد
الذي قد يدب في قلبك؟

**فمن أعظم هذه الأمور التي فيها علاجا للحسد ألا وهي أن تقرأ ما يجنبك هذا
الحسد من المعوذات وغيره ومن أذكار الصباح والمساء فتقي نفسك بذكر الله
سبحانه وتعالى يقيك بإذن الله عز وجل من الحسد ومن الحاسدين، ثبت عند
النسائي من حديث عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَقُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَاحِلَتُهُ**

فِي غَزْوَةٍ إِذْ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ»، ثُمَّ قَالَ: «يَا عُقْبَةُ، قُلْ فَاسْتَمَعْتُ»، فَقَالَهَا
الثَّالِثَةَ، فَقُلْتُ: مَا أَقُولُ؟، فَقَالَ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فَقَرَأَ السُّورَةَ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ
قَرَأَ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ وَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَرَأَ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ
النَّاسِ﴾ فَقَرَأْتُ مَعَهُ حَتَّى خَتَمَهَا، ثُمَّ قَالَ: «مَا تَعَوَّذَ بِمِثْلِهِنَّ أَحَدٌ».

كَمْ مِنَ النَّاسِ الْآنَ يَسِيرُونَ فِي طُرُقَاتٍ يَسِيرُونَ فِي ظُلُمَاتٍ؟
كَمْ مِنَ النَّاسِ الْآنَ الَّذِينَ هُمْ يَحْسُدُهُمُ النَّاسُ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ؟ مَا بَالُهُمْ لَا
يُحْصِنُونَ أَنْفُسَهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ؟ لَا يَقْرَءُونَ الْأَذْكَارَ مِنَ الصَّبَاحِ وَمِنَ الْمَسَاءِ لَا يَقْرَءُونَ
أَذْكَارَ النَّوْمِ، لَا يَقْرَءُونَ آيَةَ الْكَرْسِيِّ الَّتِي تَقِيهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ هَذَا الْحَسَدِ
وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْحَاسِدِينَ، فَالْأَذْكَارُ حَصْنٌ حَصِينٌ لِلْعَبْدِ مِنْ كُلِّ مَا يُكَادِبُهُ.

**وَمِنْ أَعْظَمِ الْعِلَاجِ لِلْحَسَدِ هُوَ أَنْ تَحْفَظَ مَا أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ النِّعَمِ بِأَنْ
تَعْمَلَ بِهَا بِمَا يَرْضَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنْ أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نِعْمَةَ الْبَصَرِ فَلَا
تَصْرِفْهَا فِيمَا يَغْضَبُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْفَظُهَا لَكَ وَإِنْ حَسَدَكَ مِنْ حَسَدِكَ
عَلَيْهَا، أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمْعَ لَا تَنْظُرْ بِهِ إِلَى مَا يَغْضَبُ اللَّهَ وَاحْفَظْهُ يَحْفَظْكَ
اللَّهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَمْسَكَ بِسُوءٍ وَلَا أَنْ يَحْسَدَكَ حَاسِدٌ بِإِذْنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى، وَإِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَالًا أَدِّ زَكَاتَهُ وَتَصَدَّقْ مِنْهُ يَحْفَظْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لَكَ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ نِعْمَةٍ.**

**وَمِنْ أَعْظَمِ الْعِلَاجِ لِلْحَسَدِ أَنْ يَتَوَكَّلَ الْعَبْدُ عَلَى رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَاللَّهُ الَّذِي
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَوْ تَوَكَّلَ النَّاسُ عَلَى رَبِّهِمْ مَا أَصَابَهُمْ مَكْرُوهٌ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ**

الله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝٢﴾ [سورة الطلاق: ٢-٣].
 قال الله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۚ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٦﴾ [سورة الزمر: ٣٦].

فما دام أن الله عز وجل معك فإنه سبحانه وتعالى ناصرٌ وكافٍ بإذن الله سبحانه وتعالى شر أولئك.

ومن أعظم علاج الحسد أن تؤمن بأنه ما نزل بك من ضرر فهو من الله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [سورة الأنعام: ١٧].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ۚ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝١٠٧﴾ [سورة يونس: ١٠٧].

ومن أعظم العلاج لهذا الداء الدفين ألا وهو الصبر، فيصبر الإنسان على حاسده حتى يتيقن الله عز وجل كيده وحسده بإذنه سبحانه وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ۝١٣٠﴾ [سورة طه: ١٣٠].

وقال سبحانه: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا الْأَعْرَابُ مِنَ الرُّسُلِ ۝٣٥﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥].

وكم صبر الرسل على أذى قومهم؟ وكم صبروا على حاسدهم؟ وكم صبروا على ما سوى ذلك؟ كل ذلك بإذن الله عز وجل تناله بالصبر.

ومن أعظم العلاج الذي بإذن الله عز وجل يذهب عنك كيد الحسد والحاسدين، لكنه ثقیل على النفوس، ولكن الناس قد لا يطيق ذلك، لكن الناس قد لا يرتضون هذا العلاج.

علاج عظیم لو عمله الإنسان ولجأ إليه بإذن الله سبحانه وتعالى أنه يزول هذا الحسد تمامًا؛ **ألا وهو الإحسان إلى من حسده.**

أما هذه ففتش على النفوس كثيرًا! كيف يحسدك إنسان؟ وأنت تحسن إليه؟ نعم هذا إن أردت بإذن الله عز وجل أن يخلصك الله عز وجل من كيد هذا الحاسد، أحسن إليه وأعطه مما أعطاه الله، يكفيك شره، قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سورة ٢٤] وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [سورة فصلت: ٣٤-٣٥].

قال ابن كثير رحمه الله: أي: من أساء إليك فادفعه عنك بالإحسان إليه، كما قال عمر رضي الله عنه ما عاقبت من عصي الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه.

وقوله: ﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: إذا أحسنت إلى من أساء إليك قادتته تلك الحسنة إليه إلى مصافاتك ومحبتك، والحنو عليك، حتى يصير كأنه ولي لك حميم أي: قريب إليك من الشفقة عليك والإحسان إليك.

ثم قال: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: وما يقبل هذه الوصية ويعمل بها إلا من صبر على ذلك، فإنه يشق على النفوس، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي: ذو نصيب وافر من السعادة في الدنيا والأخرى. انتهى كلامه

ادفع مثلاً هذه الأدواء وعالج السيئة بالحسنة فأحسن إلى من أساء إليه وأعطه وتصدق عليه واهدي إليه؛ بإذن الله سبحانه وتعالى ما تدري إلا وهذا الحسد يرجع محبة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم يذهب الله عز وجل بذلك كله، حتى يرجع بإذن الله سبحانه هذا الرجل أحب إليك من غيره بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل إحسانك على ذلك الحاسد لهذا قال الله عز وجل بعدها: ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ أي هذا الأمر ما يعمل به إلا من صبر من كان ذا حظٍ عظيم.

ومن أعظم العلاج للحسد والحاسدين إن تخفي النعم ولا تتبجح بكثرتها وتستعرض بها أمام الناس فيحسدونك عليها، فإنك كلما أظهرت هذه النعم زاد ذلك الحاسد حسداً لك، وزاد ذلك الحاقداً عليك، فإذا أخفيت بها بإذن الله سبحانه وتعالى خفَّ عليك الكيد والحسد، لهذا انظروا إلى يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى تلك الرؤيا ماذا قال له أبوه، قال الله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ قال يئس لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ [سورة يوسف: ٤-٥].

وقال الله سبحانه: ﴿وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَأَدْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَلْحَكُمُ إِلَّا اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ١٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ [سورة يوسف: ٦٧-٦٨].

يقول تعالى، إخبارا عن يعقوب، عليه السلام: إنه أمر بنبيه لما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر، ألا يدخلوا كلهم من باب واحد، وليدخلوا من أبواب متفرقة، فإنه كما قال ابن عباس، ومحمد بن كعب، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، والسُّدِّي: إنه خشي عليهم العين، وذلك أنهم كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، ومنظر وبهاء، فخشى عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم؛ فإن العين حق، تستنزل الفارس عن فرسه.

فبإخفائك لمثل هذه النعم بإذن الله سبحانه وتعالى يدفع عنك الله كيد الحاسدين، ثم مع صنعك لمثل هذه الأعمال التي تقيك من الحسد والحاسدين تنجو بإذن الله سبحانه وتعالى.

ومن أعظم العلاج للحسد أن تتوب إلى الله فما إدراك هذا الحاسد قد تسلط عليك بسبب ذنب أذنبته، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَصْبَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ٣٠﴾ [سورة الشورى: ٣٠].

ثم بعد ضرب هذه الأسباب وهذه العلاج التي تقيك من الحسد والحاسدين اعلم وفقني الله وإياك أن الحاسد بإذن الله **سبحانه وتعالى** وإن تمنى زوال النعمة عليك لا تزول عنك بإذن الله تعالى، فليس كل من تمنى زوال النعمة عليك زالت وإلا لزال ملك كثير من الناس، ولزال ملك الأنبياء، ولزالت نبوتهم، ولذهبت أموال كثير من الناس، وعلم كثير من العلماء، لكن ما كل حاسد يُذهب نعمة غيره، وإنما قد يبتلي الله من شاء الله **سبحانه وتعالى** من عباده فيصيبه بسبب ذلك الحاسد لأمر يعلمه الله، ولحكمة يريد بها الله، فلا يبتئس العبد المؤمن بذلك، فكل شيء في هذا الكون واقع بقدر الله **سبحانه وتعالى**.

فنسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مظاهر موت القلوب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس يقول ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٢٢].

أي أومن كان كافرًا ميت القلب، مغمورًا في ظلمة الجهل: فهديناه لرشده، ووقفناه للإيمان، وجعلنا قلبه حيا بعد موته، مشرقا مستنيرًا بعد ظلمته؟

فجعل الكافر لانصرافه عن طاعته، وجهله بمعرفته، وتوحيده وشرائع دينه، وترك الأخذ بنصيبه من رضاه، والعمل بما يؤديه إلى نجاته وسعادته: بمنزلة الميت الذي لا ينفع نفسه بنافعة، ولا يدفع عنها من مكروه، فهديناه للإسلام وأنعشنا به، فصار يعرف مضار نفسه ومنافعها، ويعمل في خلاصها من سخط الله تعالى وعقابه، فأبصر الحق بعد عماه عنه، وعرفه بعد جهله به، واتبعه بعد إعراضه عنه، وحصل له نور وضياء يستضيء به، فيمشى بنوره بين الناس، وهم في سدف الظلام.

المراد بالآية من كان ميت القلب بعدم روح العلم والهدى والإيمان فأحياه الرب تعالى بروح أخرى غير الروح التي أحيأها بدنه؛ وهي روح معرفته وتوحيده ومحبه وعبادته وحده لا شريك له إذ لا حياة للروح إلا بذلك، وإلا فهي في جملة الأموات ولهذا وصف الله تعالى من عدم ذلك بالموت فقال ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقُلُوبَ إِذَا وَلَوْ أَمْرًا﴾.

وسمى **سبحانه وتعالى** وحيه روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح فقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

فجعله روحا لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح ونورا لما يحصل به من الهدى والرشاد، فالوحي حياة الروح كما أن الروح حياة البدن، ولهذا من فقد هذه الروح فَقَدَ الحياة النافعة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فحياته حياة البهائم وله المعيشة الضنك، وأما في الآخرة فله جهنم لا يموت فيها ولا يحيا.

ولهذا وصف الله الكفار بأنهم أموات، فقال سبحانه وتعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [سورة النحل: ٢٠-٢١].

فحياة القلوب أمرٌ مطلوب، وموته أعظم مصيبة يصاب بها العبد. فإنَّ المصيبة العظمى والخسارة الكبرى لمن مات قلبه.

وهناك مظاهر كثيرة تدل على موت القلوب، فتعالوا بنا في هذه الدقائق نقف مع بعض مظاهر موت القلوب؛ حتى نحذرنا ونبتعد عنها بإذن الله تعالى.

من أعظم مظاهر موت القلوب هو فقد الفرقان بين الحق والباطل:

إذا ماتت قلوبنا فقدنا جوهر حياتنا، فقدنا الميزان الذي نعرف به مسيرنا، فقدنا النور الذي نبصر به طريقنا.

حياة القلب هو الفرقان، هو النور الذي يميز بين الحق والباطل، والذي نعرف به المنكر والباطل وإن كنا نجهل أدلته، وإن كنا لا نعرف أقوال العلماء فيه.

فلماذا لم يعد كثير من الناس يفرق بين الحق والباطل، ولم يعد يعرف المنكر من المعروف، لقد مات قلبه وتبدل إحساسه، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [سورة الأنفال: ٢٩].

قال ابن القيم في إعلام الموقعين: ومن الفرقان النور الذي يفرق به العبد بين الحق والباطل وكلما كان قلبه أقرب إلى الله كان فرقانه أتم. انتهى كلامه

انتبه إلى هذا الأمر الخطير الذي نفقده نفقد ميزان معرفة الخير من الشر:

وفي مسند الإمام أحمد عن وابصة بن معبد قال: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ لَا أَدَعَ شَيْئًا مِنَ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ إِلَّا سَأَلْتُهُ عَنْهُ وَإِذَا عِنْدَهُ جَمْعٌ فَذَهَبْتُ أَخْطِئُ النَّاسَ فَقَالُوا إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكَ يَا وَابِصَةُ فَقُلْتُ أَنَا وَابِصَةُ دَعُونِي أَذْنُو مِنْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ أَنْ أَذْنُو مِنْهُ فَقَالَ لِي أَذْنُ يَا وَابِصَةُ أَذْنُ يَا وَابِصَةُ فَذَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى مَسَّتْ رُكْبَتِي رُكْبَتَهُ فَقَالَ: «يَا وَابِصَةُ أَخْبِرْكَ مَا جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنْهُ أَوْ تَسْأَلُنِي؟» فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَخْبِرْنِي قَالَ "جِئْتَ تَسْأَلُنِي عَنِ الْبِرِّ وَالْإِثْمِ" قُلْتُ: نَعَمْ فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِهَا فِي صَدْرِي وَيَقُولُ: «يَا وَابِصَةُ اسْتَفْتِ نَفْسَكَ الْبِرُّ مَا أَطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي الْقَلْبِ وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ».

ضاع منا القلب الذي يُستفتى وهو القلب الذي يشع بنور الإيمان؛ لأنه فقد النور الذي به يبصر به، والميزان الذي يرجح به، وبهذا يكون قد فقد حساسية الإيمان، وفقد الشعور الذي يجعله يهرب من كل ذنب ويقبل على كل طاعة وينبعث إليها. أي قلب هذا الذي سوف نستفتيه اليوم؟! إننا نستفتيه اليوم فيكاد لا ينكر الكبائر المجمع على حرمتها، فكيف به في أمور من الصغائر؟! وكيف به في أمور من المشتبهات؟! وكيف به في سعة وزيادة من المباحات؟! إننا إن استفتيناه اليوم أفئتنا بجواز كل محرم.

فإلى الله المشتكى من قلوبنا التي ضعف نورها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

من مظاهر موت القلوب أن يصرف الله عبده عن تدبر كتاب الله ووعيه:

فقدنا أعظم شيء وهو تدبر كتاب الله، حُرْمنا هذا الخير، صُرْفنا عنه، أوليس
الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿سَاصْرِفْ عَنْ عَائِتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَإِنْ يَرَوْا كُلاًّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ
يَكُورُوا سَبِيلَ الْغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِعَائِتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾
[سورة الأعراف: ١٤٦].

أليست القلوب اليوم إلا ما رحم الله مصروفة عن آيات الله فلا تكاد تعيها ولا
تتدبرها؟ يقول سفيان الثوري رحمه الله في تعليقه على هذه الآية: إنها في المذنبين
المسرفين المتكبرين عن الحق يصرفهم الله فلا يتدبرون آياته.

ويقول الله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾.
إن لم تشعر بتدبر القرآن، وتأثر القلب به فاعلم أن الأقفال والأغلاق قد
أحكمت، فراجع نفسك، وانظر في حالك، وتفقد قلبك، فالله سبحانه وتعالى
يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ
الْأَمْثَلُ نُضْرٍ بِهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.
فإن لم تكن هناك خشية فإن القلوب أشد قسوة من الصخور الصماء في الجبال
الشاهقة: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كَلِمَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِّغَ لِّلَّهِ
الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِصِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾.

والتقدير: لكان هذا القرآن، فهذا القرآن من قوته وعظمته وشدة معانيه يسير الجبال، ويقطع الأرض، ويحيي الموتى، فما باله لا يلقي آذاناً مصغية، وقلوباً حية، ونفوساً متأثرة؟!

أفليس حقاً علينا أن نبكي على أنفسنا، ونقيم العزاء على قلوبنا.

من مظاهر موت القلوب الاغترار بكرم الله، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [سورة الانفطار: ٦].

قال ابن كثير رحمه الله: إِنَّ فِي الْآيَةِ تَهْدِيداً وَوَعِيداً لِمَنْ وَقَعَ فِي الْمَعَاصِي وَهُوَ يَعْلَمُ عَظَمَةَ رَبِّهِ، وَيَدْرِكُ كَذَلِكَ كَرَمَهُ فَيَقْبَحُ مِنْهُ ذَلِكَ الذَّنْبَ.

يقول ابن مسعود: (كفى بخشية الله علماً، وكفى بالاغترار بالله جهلاً).

أي: من كان في قلبه خشية لله، وحب لله، وبغض لمعصية الله، وتعلق بطاعة الله، فذلك هو العلم، فإنما العلم الخشية، وإذا كان ثمة غرور بالله عز وجل، وإسراف في المعاصي، ونقول لأنفسنا وهماً وزوراً: إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وستر الله دليل على رضاه، وصحتنا وعافيتنا ونعمنا تدل على أننا على غير ما قد نخشاه على أنفسنا، فنكون حينئذ كالجاهل الأحمق الذي يسعى إلى حبسه بنفسه.

من مظاهر موت القلوب عمى البصائر عن الحق:

لماذا اختلف الناس، لماذا تفرقوا جماعاتٍ وأحزاب؟

ماتت قلوبهم إلا ما رحم الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (سورة الحج: ٤٦).

واستمع إلى الوصف الذي ضرب صفة لأهل الكفر في أقصى درجاته: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة الجاثية: ٢٣).

أفليس يجدر بنا أن نقف وقفة مع أنفسنا، نعالج بها أدواءنا، ونعوض بها خسارتنا؟! أي خسارة أعظم من أن يموت قلبك، وأن تموت نفسك، وأن تظلم روحك، إنها مسألة خطيرة، وقضية عظيمة.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن
والاه أما بعد:

أيها الناس ينبغي علينا أن نسعى في حياة هذه القلوب، وأن نتدارك أوضاعنا،
وذلك لا يكون إلا بأمور:

وأعظم هذه الأمور هو طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ.

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٢٤)
فتمتنت هذه الآية أموراً: **أحدها:** أن الحياة النافعة إنما تحصل بالاستجابة لله
ورسوله، فمن لم تحصل له الاستجابة فلا حياة له، وإن كانت له حياة بهيمية مشتركة
بينه وبين أرذل الحيوانات، فالحياة الطيبة هي حياة من استجاب لله والرسول ظاهراً
وباطناً، فهو لاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم أموات وإن كانوا أحياء الأبدان،
ولهذا كان أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول، فإن كل ما دعا إليه
ففيه الحياة، فمن فاته جزء منه فاته جزء من الحياة، وفيه من الحياة بحسب ما
استجاب للرسول.

ومن أعظم الأمور التي تحيا بها القلوب هو اتباع كتاب الله وهدى رسوله ﷺ،

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا

الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ [سورة الشورى: ٥٢].

ومن أعظم الأمور التي تحيا بها القلوب هو بترك المعاصي والذنوب

قال سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٤]. وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة، عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سَقَلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة المطففين: ١٤]».

فالمعاصي التي تجعل في النفس همًا، وفي الحلق عُصَةً، وفي العين عبرة إذا تخلفت عن الطاعات، الذي يجعل المؤمن مشغولاً بنفسه، مصلحاً لعييها، خائفًا من ذنبها، مجتهداً في حملها على أمر ربها.

فيا أيها الناس علينا بالعناية بهذا القلب، فإنه بصلاحه تصلح أحوالنا، وبفساده تفسد أمورنا، وقد قال ﷺ كما في الصحيحين عن النعمان بن بشير: "أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ".

فنسأل الله أن يحيي قلوبنا بالإيمان وأن يرزقنا الهدى والسداد والحمد لله رب العالمين.

تنوير الجباه بعدم اليأس والقنوط من رحمة الله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله فقد بوب الإمام البخاري رحمه الله في صحيحة فقال: باب قول الله عز

وجل ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ لَكُمْئِنَّا لِمُرْسَلِينَ﴾ (١٧١) ثم ذكر عليه رحمة الله حديثا فقال حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: "لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي"

هذا الحديث العظيم وهذا التبويب من الإمام البخاري - رحمه الله - يبين فيه بيان عظيمًا للناس أنَّ رحمة الله - عز وجل - واسعة ما يقدرها أحدٌ، وأنَّ رحمة الله - سبحانه وتعالى - سبقت غضبه قال الله - عز وجل - : ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا

الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾﴾

بين الله - سبحانه وتعالى - أنه ما ينبغي للناس أن ييأسوا ولا أن يقنطوا، ولا كذلك للرسول أن ييأسوا ولا أن يقنطوا فإنَّ كلمة الله - سبحانه وتعالى - التي قد قضاهما قبل أن يخلق الخلق - سبحانه وتعالى - أنَّ نصره وأنَّ وعده سابق لعباده الصالحين، وأنَّ رحمته وسعت كل شيء.

ومن رحمة الله - عز وجل - التي امتن الله - عز وجل - بها عليك أن أخرجك - سبحانه وتعالى - من الظلمات النور كنت في عدم ما كنت موجودًا على ظهر هذه الأرض، فمن رحمة الله - سبحانه وتعالى - أنه أخرجك إلى ظهر هذه الأرض.

ثم من رحمة الله أن يسر لك - سبحانه وتعالى - ما تقتات به في رحم أمك، ثم من رحمة أن يسير لك بعد خروجك من بطنها ثديين تلتقم منهما اللبن الذي ينمو به عظمك ولحمك، ثم من رحمة الله - سبحانه وتعالى - حين كبرت أن يسر لك المعاش وما تنتفع به في حياتك.

لكننا في زمن أصاب الناس اليأس والقنوط، وظنوا أنَّ رحمة الله - سبحانه وتعالى - بعيدة عنهم لهذا كان لا بد لنا أن نقف وقفات مع تنوير الجباه بعدم اليأس والقنوط من رحمة الله.

اليأس يا عباد الله هو أن يترك الإنسان العمل والطمع في الخير، والقنوط أن يئأس من الحصول على الخير فيئأس من رحمة الله - سبحانه وتعالى -، وهذا أمر مشاهد في أوساط المسلمين.

فالمتتبع لأحوال الناس والناظر إلى ما يصيبهم يجد العجب العجيب من اليأس والقنوط عند كثير من الناس.

فلو نظرنا إلى ما يصيب الناس من الفقر ومن الأمراض ومن الشدة ومن الكروب نجد أن الناس قد يئسوا أن يرحمهم الله، وأن يفتح الله - عز وجل - عليهم أبواب فضله، قال الله سبحانه: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ [سورة الروم: ٣٦].

قال العلامة ابن كثير عند هذه الآية: هذا إنكار على الإنسان من حيث هو، إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ ووفقه؛ فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بَطَرٌ وجحد نعمة الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ كَفُورٌ﴾ [سورة هود: ٩-١١].

أي: يفرح في نفسه ويفخر على غيره، وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية. انتهى كلامه.

فإذا أصاب الإنسان مرض أو فقر ظن أنه لا يذهب عنه ولا يخرج منه أبداً، وهذا من اليأس من رحمة الله - سبحانه وتعالى - كم من المرضى الآن يئسوا من رحمة الله،

كَمْ من الفقراء يئسوا أن يبدل الله - عز وجل - عليهم فقرهم وأن يغنيهم الله -
سبحانه وتعالى -، ظنوا أن الله - **سبحانه وتعالى** - لا يعطهم ولا يمنحهم ولا
 يمدهم، كم يعيش المسلمون في هذه الأيام من فقر ومن شدة ومن كرب ثم يسيئون
 الظن بربهم

- **سبحانه وتعالى** - أن الله - عز وجل - يعطي الكفار ولا يعطيهم، فهذا يا أيها
 العبد ظن سوء بربك - **سبحانه وتعالى** -.

ومن مظاهر القنوط واليأس عند الناس أنك تجد الإنسان إذا ابتلاه الله - عز وجل -
 بعدم وجود الأولاد ولم يعطه الله - **سبحانه وتعالى** - الولد الذي يشتهيهِ
 والذي يتمناه قنط ويئس من رحمة الله - **سبحانه وتعالى** -، بل إذا أعطاه الله - عز وجل -
 البنات ولم يعطه الذكور قنط أيضا من رحمة الله، وظن أنه لا يأتيه الولد أبداً.
 انظروا إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين جاءته الملائكة تبشره بغلام عليم
 ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فِيمَ بُشِّرُونَ﴾ ٥٤ ﴿قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ
 مِنَ الْقَنِيطِينَ﴾ ٥٥ ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ ٥٦ ﴿

القوم الظالمون والقوم الكافرون هؤلاء هم الذين ييأسون ويقنطون من رحمة
 الله - **سبحانه وتعالى** - إنما كان قصد إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه، إنما استبعد
 ذلك الأمر لكبره ولكبر زوجته، لهذا ظن الملائكة أن إبراهيم قد وصل إلى القنوط
 فأبعد إبراهيم عن نفسه هذا الأمر العظيم ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
 الضَّالُّونَ﴾.

ومن مظاهر اليأس والقنوط عند الناس أنه إذا تأخرت الأمطار عليهم شيئاً قليلاً

قنطوا ويئسوا من رحمة الله - سبحانه وتعالى -، وهم يعلمون أنه - سبحانه وتعالى - هو الرزاق ذو القوة المتين هو الذي يعطيهم هو الذي يمنحهم هو الذي يرزقهم، ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨).

يا سبحان الله إن من أعظم نعم الله - سبحانه وتعالى - أن ينزل الغيث من بعد ما قنوط الناس، فإذا قنط الناس من رحمة الله أنزل - سبحانه وتعالى - الغيث وكأنه يقول لهم لا تقنطوا من رحمة الله لا تيأس يا عبد الله من روح الله سبحانه وتعالى.

ومن أعظم مظاهر القنوط عند الناس واليأس من رحمة الله - سبحانه وتعالى -

أنهم يدعون ربهم في كثير من أمور حياتهم وفي كثير من أمور دنياهم لكن قد تتأخر شيئاً يسيراً؛ فما تدري إلا وذلك الرجل ييأس من رحمة الله ويقنط من إجابة الله - عز وجل - لدعائه، قال سبحانه: ﴿لَا يَسْعَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ (سورة فصلت: ٤٩).

لا يسأم الإنسان من دعاء الخير يدعو بالولد يدعو بالصحة يدعو بالعافية يدعو بالسعادة يدعو بالهناء، لكن إذا مسه الشر؛ أصابه الفقر أصابه المرض أصابه غير ذلك ما لا يحبه فيؤوس قنوط، ييأس ويقنط رحمة الله - سبحانه وتعالى - وهذا كله مما لا يجوز.

ومن مظاهر القنوط من رحمة الله - عز وجل - واليأس من روح الله - سبحانه

وتعالى - أن كثيراً من العصاة كثيراً من المذنبين كثيراً ما يقنطون من رحمة الله،

ويظنون أن الله لن يغفر لهم، ولا يرون أن الله - **سبحانه وتعالى** - يتوب عليهم، فتجد بعضهم يترك العمل يترك الصلاة يترك العبادة يترك التوبة يترك الإنابة إلى ربه - **سبحانه وتعالى** - ما كل ذلك إلا لأنه أصابه اليأس، إلا لقنوطه، إلا لأنه يظن أن رحمة الله - **سبحانه وتعالى** - بعيدة عنه، وأن الله لن يرحمه ولن يتجاوز عن ذنوبه، فيحمله ذلك على أن يغرق في بحر الذنوب ويقول أنا هالك هالك، فما هناك فائدة للتوبة.

لهذا تجد في كتاب ربنا - **سبحانه وتعالى** - الشفاء من كل داء قال الله - **سبحانه**

وتعالى -: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الزمر: ٥٣].

فلا يقنط الإنسان من رحمة الله - **سبحانه وتعالى** -، إياك والقنوط أيها العبد المسلم سواء في أمور الدنيا التي تحبها من الغنى والخير ومن الصحة ومن الولد ومن العافية، أو في أمور الآخرة من المغفرة ومن التوبة ومن إدخالك الجنة ومن بعدك عن النار، لا تقنط من رحمة الله، مع العمل بأسباب التي يوصلك الله بها إلى ما تحب من مغفرة الذنوب وأسباب دخول الجنة والنجاة من النار، فإن اليأس يملكك على ترك العمل، وحسن الظن بالله يملكك على إحسان العمل ورجاء ما عند الله **سبحانه وتعالى**.

فالشيطان يريد أن يوصلك إلى منزلة تقنط فيها من رحمة الله فتترك العمل وتترك

عبادة ربك، فكم ترى من الناس الذين وصل بهم الحال إلى هذا؟

كلما قلت له يا أخي ما لك لا تصلي؟ قال وما يدريني؟ مع كثرة ذنوبي أن الله سبحانه وتعالى لا يغفر لي ويدخلني النار!!، فأكون عملت عملاً غير متقبل.

وهذا سوء ظن بربك - سبحانه وتعالى - هذا قنوط ويأس من رحمة الله، ما هكذا أمر العبد المسلم أن يكون عليه.

وقد أجمع العلماء على أن اليأس والقنوط من رحمة الله حرام بل هو من كبائر الذنوب، كما ثبت عن ابن مسعود عليه رضوان الله أنه قال: " الْكِبَائِرُ أَرْبَعٌ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَالْقَنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اللَّهِ ".

فلا يكون العبد المسلم على هذا الحال أبداً؛ بل عليه أن يكون واثقاً بربه، وقد قال عليه الصلاة والسلام كما مر معنا في الحديث السابق أن الله - سبحانه وتعالى - كتب على عرشه إن رحمتي سبقت غضبي، لماذا نخبرنا نبينا عليه الصلاة والسلام بهذا الأمر العظيم، كل ذلك حتى لا نصل إلى مرحلة اليأس ولا القنوط، لا نصل إلى هذا الأمر أبداً، فإذا علمت ذلك عملت بما يقربك من الله - سبحانه وتعالى - فنسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا طاعته.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده واشهد أن لا إله إلا الله
ربي وحده لا شريك له واشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم تسليم كثير أما بعد.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ
اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، مَا طَمَعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ
يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنَطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ».

انظر إلى هذا الحديث العظيم الذي يبين فيه النبي عليه الصلاة والسلام أن رحمة
الله واسعة حتى يرجو الكافر - وهو كافر لا تقبل عبادته ولا تقبل أعماله ولا تقبل
صدقاته ولا يغفر له أبداً إن مات على ذلك - لكنه حين يرى أن رحمة الله سبحانه
وتعالى واسعة عظيمة يطمع في جنة الله - سبحانه وتعالى -.

لهذا ينبغي على الإنسان أن يسلك السبل والوسائل التي تبعده عن القنوط وعن
اليأس من رحمة الله - سبحانه وتعالى - كلما بلغ بك يا عبد الله اليأس والقنوط منزلة
عظيمة ارجع إلى ربك - سبحانه وتعالى - وقف عند الوسائل التي تعينك على البعد
عن القنوط وعن اليأس من رحمة الله - سبحانه وتعالى -.

ومن أعظم هذه الوسائل التي تخلصك من القنوط واليأس من رحمة الله الإيمان
بأسماء الله - سبحانه وتعالى - أوليس من أسماء الله - عز وجل - الرزاق فلا تحش إذا
تأخر رزقك ولا تقلق إذا طال بك الفقر فإن الله هو الرزاق.

أوليس من أسماء الله - عز وجل - اللطيف؟ ما بالك إذا أصابك المرض؟ لا ترج
لطف الله - سبحانه وتعالى - وتعلم أن الله - عز وجل - بك لطيف.

أوليس من أسماء الله - عز وجل - الرحيم؟ ما بالك؟ إذا كثرت ذنوبك
وتراكمت عليك ما ترجوا رحمة الله وأن يرحمك ويتجاوز عن ذنوبك.

أوليس من أسماء الله - عز وجل - التواب؟ فما بالك إذا كثرت خطاياك لا ترجع
إلى ربك ولا تتوب إلى الله - عز وجل - وترجو أن يقبل الله - عز وجل - توبتك.

هذه كلها والله مما تجعلك بإذن الله تعالى تبتعد عن اليأس والقنوط.

من أعظم الوسائل التي تخلصك من يأسك ومن قنوطك ومن إحباطك حسن

الظن بالله - سبحانه وتعالى - ثبت عند الإمام مسلم في حديث عن أبي هريرة، قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلٍ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

ظن بربك ما شئت يا عبد الله إن ظننت خيرًا فخير، وإن ظننت شرًا فشر، إن

ظننت أن الله - عز وجل - يفرج عنك ما أنت فيه فرج الله - سبحانه وتعالى - عنك،

وإن ظننت بربك - سبحانه وتعالى - سوءًا فظنك وبال على نفسك.

من أعظم بإذن الله - عز وجل - الوسائل التي تخلصك من يأسك وقنوطك أن

تؤمن بقضاء الله - سبحانه وتعالى - وبقدره، قال الله سبحانه: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ

مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١﴾ [سورة التغابن: ١١].

إذا آمنت بأن هذا القضاء من الله - سبحانه وتعالى - يهدي قلبك، خلاص ما يبقى عندك وجل، ولا يبقى عندك ألم، ولا يبقى عندك هم، ولا يبقى عندك كربة، ولا يبقى عندك خوف أبدا.

بل تبقى على ذلك الأمر العظيم أنك مؤمن بقضاء الله - سبحانه وتعالى - وتعلم أن الله - عز وجل - يمن عليك بفضله - سبحانه وتعالى - وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك

تطمئن نفسك وتهدأ قلبك بقول الله عز وجل: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾ .

إذا علمت هذا علمت أنه بلاء من الله، وأن الله قد أراد بك خيرا، **فوجب عليك عندها أمر عظيم هو أيضا يخلصك من قنوطك ومن يأسك ألا وهو الصبر على البلاء** إذا نزل بك، فإذا صبر الإنسان على البلاء وصبر نفسه على البلاء صبرا عظيما، جعل الله عاقبته صبره خيرا، فإن الله - سبحانه وتعالى - يبتلي عباده بالسراء ويبتلي عباده بالضراء، وكلما صبر العباد على ما ابتلاهم الله - سبحانه وتعالى - عجل - سبحانه وتعالى - بفرجهم.

من أعظم مخلصه من اليأس والقنوط هو الدعاء لربك - سبحانه وتعالى - أن تدعو

الله ولا تكل ولا تمل كما ثبت في صحيح مسلم من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: يَقُولُ: «قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ».

إياك ثم إياك ثم إياك أن تستعجل أن ينزل بك فرج الله، فإن فرج الله - عز وجل - قريب لكن لا تستعجل نزوله أبداً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة يوسف: ١١٠].
وقد أحسن من قال:

ضاقَتْ فلما استحكمت حلقاتها فُرجت وكنت أظنها لا تُفْرَجُ
ولربِّ نازلة يضيق بها الفتى ذرعاً وعند الله منها المخرجُ

انظروا إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام حين ابتلاه الله - سبحانه وتعالى - بفقدانه لولده وسف عليه الصلاة والسلام ثم ابتلاه الله - سبحانه وتعالى - بفقدانه لولده الآخر وأخبروه بما كان، قال الله عنه: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفَىٰ عَلَىٰ يُونُسَفَ وَأَبْصَرَ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزَنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٨٤) قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذَكَّرُ يُونُسَفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ (٨٥) قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحْزَنِي إِلَى اللَّهِ

وَأَعْلَمُ مِنْ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ [سورة يوسف: ٨٤-٨٧].

بين لهم أنه لا يشكو إليهم ولا يلجأ إليهم أبداً، بل هو لا جئ إلى ربه ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٨٦﴾ يبين لهم أن هذا الحزن الذي أصابه وذهاب العين من الله - سبحانه وتعالى - لكنه ما شكوا ولا دعا أحداً من الناس، إنما دعا ربه - سبحانه وتعالى -.

وإن من أعظم ما يجنبك اليأس والقنوط أن تضرب الأسباب التي تقربك من رحمة الله، فلا تظن يا عبد الله أن السماء تمطر ذهباً ولا تمطر فضة، لا إلا أن يعمل الإنسان بأسباب الرحمة، وأن يأتي إليها انظروا إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو مثل عظيم يضربه الله - سبحانه وتعالى - في كتابه لما ابتلاه الله - عز وجل - بذهاب أولاده ما يأس ولا قنط ولا ترك العمل بالأسباب أبداً.

بل قال لأولاده: ﴿يَبْنِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ [سورة يوسف: ٨٧].

فنهاهم أن ييأسوا من روح الله - سبحانه وتعالى - وأن يعملوا بالأسباب التي توصلهم إلى رحمة الله،

يا أيها الأب يا من ألم بك المرض ارجع وخذ بالأسباب وتداوى فإن الله ما أنزل من داء إلا وأنزل له دواء، واجعل الأمر كله لله - سبحانه وتعالى - من قبل ومن بعد إن شاء - سبحانه وتعالى - شفاك وغن شاء ابتلاك لأمر عظيم لا تعلمه والله عز

وجل يعلمه، فالله - عز وجل - ما ينزل من شيء إلا له الحكمة البالغة، والله - سبحانه وتعالى - يعلم وأنتم لا تعلمون.

يا أيها العبد الذي كثرت ذنوبك وأحاطت بك سيئاتك ارجع إلى ربك وإلى بيوت الله - سبحانه وتعالى - وتعال إلى مغفرة الله - سبحانه وتعالى - قال الله - عز وجل - في الحديث القدسي: «وَلِإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْسِي أَتَيْتُهُ هَرَوْلَةً».

تعال فقط إلى ربك وإلى بيوت الله وإلى مساجد الله وارجع إلى الله - عز وجل - تجد الله - سبحانه وتعالى - غفورًا رحيمًا، الفقر من الله والصحة من الله والغنى من الله والمرض من الله، والبلاء من الله والعافية من الله، فاطلب كل شيء من ربك - سبحانه وتعالى - ولا تيأس من روح الله، مات النبي عليه الصلاة والسلام وهو لا يجد شيئًا في بيته مما يُتخذ في البيوت من المتاع والأثاث، وهو يعلم أن الفقر خيرًا له من الغنى.

فلا تظن أن كل بلاء ينزل بك يبعدك عن رحمة الله أبدًا، بل هذا مما يجعلك تسعى في الاقتراب من ربك والاقتراب من رحمة الله - عز وجل -.

وأعظم ما يبعدك عن اليأس والقنوط أن تكون في هذه الحياة الدنيا على الخوف والرجاء، لا تغلب جانب الخوف فتقع في اليأس والقنوط وتترك العمل، ولا تغلب جانب الرجاء فتترك العمل، فكل ذلك مذموم بل كن على الخوف والرجاء يصلح حالك وأحوالك، ويستمر بك العمل إلى أن تلقى الله سبحانه وتعالى.

فلا يغلب خوفك رجاءك فتقنط من رحمة الله، ولا يغلب رجاءك خوفك فتأمن من مكر الله.

فترى كثيراً من الناس الآن لا يصلون ولا يعبدون الله ولا يتقربون إلى الله ولا يذكرون الله وهو آمن من مكر الله؛ بل هو ضامن للجنة في حال نفسه وقرارة نفسه فيرى أنه محسن وأنه على خير، فهذا مذموم وهو من تسويل الشيطان لبعض العباد حتى يبعدهم عن العمل الصالح الذي ينتفعون به في الدنيا والآخرة.

تنبه يا عبد الله قال الله - عز وجل - عن أنبيائه عليهم الصلاة والسلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠].

فقرنوا بين الرغبة والرغبة، فكن أنت على هذا الحال بإذن الله - سبحانه وتعالى - تنجو من عذاب ربك، وتنجو بإذن - سبحانه وتعالى - من اليأس والقنوط من رحمة الله.

نسأل الله بمنه وكرمه أن يفرج على عباده ما هم فيه.

تبصير العينين بصفات ذي الوجهين

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ، وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ. أيها المسلمون عباد الله:

أخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم قال: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، في كل خير"

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضا قال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ طِيبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ."

فالله - **سبحانه وتعالى** - أمر عباده المؤمنين أن يكونوا على هدي واحد وعلى طريق واحد وعلى أصل واحد، لا يتغيرون. كما أمرهم أن يكونوا على إيمان قوي، فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف."

وكذلك أمر الله - **سبحانه وتعالى** - عباده المؤمنين أن يسيروا على طريق المرسلين، ولا يتغيرون عنه قدر أنملة، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين.

والمؤمن يا عباد الله هو الذي ظاهره وباطنه سواء، ويسير على نهج واحد لا يتغير، كما أمره الله - **سبحانه وتعالى** - أن يكونوا على هذا الحال، قال ربنا - **سبحانه**

وتعالى - لنبيه - عليه الصلاة والسلام -: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۖ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۚ ۝۱۱ مَنَاجٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۚ ۝۱۲ عُتُلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۚ﴾ [سورة القلم: ١٠-١٣].

فيقول له ربنا لا تكن من هذا الصنف، ولا تسر على هذا السير، بل كن على سير واحد.

وإن الناظر إلى أحوالنا في هذه الأيام يجد أن كثيراً من الناس - إلا ما رحم الله - يتقلبون تقلباً شديداً، ويسيرون على مخالفات عظيمة، قد حذر الله - عز وجل - عباده المؤمنين من هذه الأمور، وحذر منها نبينا - عليه الصلاة والسلام -.

وإننا أمام صفة ذميمة لا ينبغي للمؤمن أن يتصف بها، وهي أن يكون الإنسان ذا وجهين، كم تجد الآن في هذه الأيام من الناس من يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه، تجد له أكثر من وجه، يداهن هذا وهذا وهذا، كل ذلك من أجل الدنيا، من أجل المال، من أجل المصالح. تتقلب وجوههم ولا تستقر على سير واحد.

يتقلب وجوهه ولا يصير له وجه واحد، ولا يصير له سير واحدة ولا يصير له قلب واحد، يتقلب قلبه على حسب الظروف وعلى حسب المصالح. فتارة تجده مع الحزب الفلاني لأنَّ مصلحته معهم، ويسير على ما هم عليه ويتأقلم معهم ويقول بقولهم ويتبع هديهم، فإذا انتهت مصلحته معهم يتحول إلى الحزب الفلاني من أجل المصلحة ويتبع توجهاتهم، وإذا غلب الحزب الفلاني، ينتقل إليه من أجل المصلحة ويظل على هذا الحال، ويتغير بحسب تغير الأوضاع، هذا السلوك مذموم تمامًا.

بل الذي ينبغي على الإنسان أن يكون ثابتًا ولا يتغير وجهه وتوجهاته بحسب المصالح. فإنَّ النبي - ﷺ - قد قال: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهِ، وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهِ». رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكم هناك من أشخاص يتصفون بهذا السلوك، فبمجرد أن تلتقي بهم تجد طبعًا لطيفًا وقلبًا حنونًا تجاهك، ولسانًا يدعو لك وابتسامة عريضة، توحى لك بأنك في قلبه وأنه يحبك ويهتم بك، وأنه معك وأنه على هذا النهج الذي أنت عليه، فإذا ذهب من عندك والتقى بقوم آخرين، أبدى خلاف ذلك وأظهر ما في قلبه حقيقته، هؤلاء المتلونون هم أصحاب المصالح الذين يتقلبون بسبب مصالحهم من حال إلى آخر.

فانظر إلى مثل هذا الصنف، لما تولى عبد الملك بن مروان كان يُعجبه الشعر، فاقتلب هؤلاء المتلونون وصاروا شعراء، هذا يأتي بقصيدة؟ وهذا يأتي قصيدة؟ فلما مات عبد الملك ابن مروان، تولى الوليد بن عبد الملك، وكان يحب العمارة والبناء

فصار هؤلاء عمارًا وبنائين، وأنهم يحسنون العمارة والبناء وهكذا، فلما توفي وتولى
عُمَرُ بن عبد العزيز، وعُمَرُ بن عبد العزيز يحب الصلاة والصيام والقيام، صاروا
نساكًا عبادًا، صاروا يتكلمون عن الصلاة وكم صليت من الليل وكم قمت وكم
استغفرت وكم وكم.

فانظر إلى هؤلاء المتلونين، ما أكثرهم في هذا الزمان، هؤلاء خطرهم عظيم،
وهم شر الناس، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ، جاء في رواية عليه الصلاة والسلام.
«تَجِدُ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَا الْوَجْهَيْنِ الَّذِي يَأْتِي هَوْلًا بِوَجْهِ وَهَوْلًا بِوَجْهِ»، وهم
هنا بارزون، هم هنا مرفوعون، هم هنا قد يظهرون لأنهم متلونون، متقلبون، لكنهم
عند الله معروفون، يعرفهم الله - سبحانه وتعالى -، وهم شر الخلق عند الله.

وهؤلاء الآن يسمونها في هذا الزمان دبلوماسية، كن دبلوماسيًا مع السلفي
سلفي، مع الإخواني إخواني، ومع العلماني علماني، ومع الناصري ناصري،
دبلوماسية، هكذا الآن يسمونها على هذا الحال، وجوهم تتقلب يا إخوة.

فالكثير من الناس ما عاد له وجهان فقط، بل صارت عليهم وجوه متقلبة، وجوه
عديدة، ممكن يتلون في اليوم ألوانًا كثيرة، ممكن تجد له وجهين أو أكثر في اليوم
الواحد، يتقلب فيها، هذا كان عند الصحابة، عليهم رضوان الله، يعدونه نفاقًا.

ثبت عند أحمد من حديث عُمَرُ بن عبد الله أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَقِيَ نَاسًا خَرَجُوا
مِنْ عِنْدِ مَرْوَانَ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ جَاءَ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ الْأَمِيرِ مَرْوَانَ. قَالَ:
وَكُلُّ حَقٍّ رَأَيْتُمُوهُ تَكَلَّمْتُمْ بِهِ وَأَعْتَمْتُمْ عَلَيْهِ وَكُلُّ مُنْكَرٍ رَأَيْتُمُوهُ أَنْكَرْتُمُوهُ وَرَدَدْتُمُوهُ
عَلَيْهِ؟ قَالُوا لَا وَاللَّهِ بَلْ يَقُولُ مَا يُنْكَرُ فَنَقُولُ قَدْ أَصَبْتَ أَصْلَحَكَ اللَّهُ فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ

عِنْدِهِ قُلْنَا: قَاتَلَهُ اللَّهُ مَا أَظْلَمَهُ وَأَفْجَرَهُ!، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: كُنَّا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا لِمَنْ كَانَ هَكَذَا.

هذا -والعياذُ بالله- نفاق؛ أن تأتي على هذا الحالِ تتقلب وتكون على هذه الألوان، المؤمنُ على طريقٍ واحدٍ، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمُ الْكُفْرُوتَ ۖ لَا تَعْبُدُوا مَا تَعْبُدُونَ ۚ﴾ ١ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ﴾ ٢ ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ۚ﴾ ٤ ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۚ﴾ ٥ ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ ٦ ﴿

فالمؤمن له طريق واحد، ما يتقلب لهذا، فالذي يفعل مثل هذه الأمور لا ينبغي أن يكون أميناً ولا وحيهاً، ولا يؤتمن على مصالح البلاد والعباد، لأن هذا يخونك في أضيق المواضع ولهذا يقول النبي ﷺ: "ما ينبغي لذي الوجهين أن يكون أميناً"، أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ما ينبغي لهذا أن يكون أميناً، هو ما هو أمين عند الله، فكيف يؤتمن عند الناس؟ وهذا الصنف على خطر عظيم إذا لم يتب من هذه الحال التي هو عليها، ولهذا كان من عقاب هذا أنه يوم القيامة يكون عذابه عظيماً، ثبت عند أبي داود من حديث عمار بن ياسر، عليه رضوان الله. أن النبي ﷺ قال: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهَانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»، جزاءً وفاقاً؛ لأنه كان يعدد الألسن في الدنيا، كان يتكلم مع هؤلاء بلسان ويتكلم مع هؤلاء بلسان يوم القيامة يعاقب بهذه العقوبة، تجده على تلك الصفة المقيتة؛ معه لسانان تظهر هذه الألسنة ولكنها يوم القيامة هذه الألسنة تكون من نار وهذا عذاب عظيم.

فلا تداهن في دينك ولا تتقلب مع المصالح ومع الظروف ساعة مع هؤلاء
وساعة مع هؤلاء، تتغير في أمور دينك من حال إلى حال، كل هذا مذموم عند الله.
نسأل الله أن يصلح حال العباد.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما

بعد:

إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ ليجد من هذه الأصناف الجَمَّ الغفير، وقد يعرفهم أحياناً،
وأحياناً أخرى يُظهر أنه مغترّ بهم، مع كشفه لوجوههم الحقيقية، والنبى ﷺ يقول:
«الْمُؤْمِنُ غُرٌّ كَرِيمٌ وَالْفَاجِرُ خَبٌّ لَيْيَمٌ». رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه

فالمؤمن المحمود من طبعه الغِرَارَةُ وَقَلَّةُ الْفِطْنَةِ لِلشَّرِّ وترك البحث عنه وليس
ذلك فيه جهلاً، ولكنه كرم وحسن خلق، والفاجر من عادته البحث لا على أنه عقل
منه، بل خبث ولؤم، فإظهار الانخداع مع التفطن للحيلة إذا كانت غير مُضِرَّةٍ فَذَلِكَ
مِنَ الْكَرَمِ وَالْحِلْمِ قَالَ الْفَرَزْدَقُ:

اسْتَمْطَرُوا مِن قُرَيْشٍ كُلَّ مُنْخَلِّعٍ
إِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا خَادَعْتُهُ انْخَدَعَا
فالمؤمن قد يغتر بمثل هؤلاء، لا جهلاً منه لحاله، ولكن تغافلاً عنه لكرمه، قد
يأتيه بعض هؤلاء المتقلبين بهذا اللسان فيصدقه ويأخذ منه ظاهر كلامه، هذا لأنّه
مؤمن، فالمؤمن حاله جميل فهو لا يُظهر الشر ولا يتوقعه، وهو يعلم أنه كاذب، لكنّه
يتغافل عنه، ولا يغتر بكلامه فالمؤمن فطن ولا يخدعه مثل هؤلاء.

والتجارب، يا إخوة، تعلمكم عن الناس يوماً بعد يوم، ولذلك فإن المتأمل في
وجوه هؤلاء الناس يعرف صفاتهم، فصفاتهم لا تخفى على عبد عاقل ولا على عبد

مؤمن مسلم، فذو الوجهين، صفاته معلومة، وحركاته مفضوحة، وضحكاته مصطنعة، حتى أن الله في كتابه ذكر صفات كثيرة بها تعرف ذا الوجهين.

فكثيرٌ من الناس قد يقولون: وكيف نعرف هؤلاء الناس؟ كيف نعرف صفاتهم حتى لا نكون منهم؟

الجواب: جاء في كتاب الله، من صفاتهم، انظر إلى أعظم صفات ذكرها الله في

مثل هؤلاء المتلونين المداهين المخادعين، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿هَآأَنُتُمْ أَؤَلَاءُ مُجِبُونَهُمْ وَلَا يُحِبُونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَيْكُمْ أَنَا مَلَمِنَ الْغِيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغِيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩].

هذه من أعظم صفاتهم، أنهم لا يحبونكم أصلاً، وإن أحببتموهم أنتم فهم لا يحبونكم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨].

فهم يخفون ما لا يبدو لك، يبدو لك أشياء تسركم، لكنهم يخفون في قلوبهم غيضا عليكم، تحبونهم ولا يحبونكم، وأنتم تؤمنون بالكتاب كله وهم لا يؤمنون به، المتقلب ذو الوجهين لا يؤمن بالكتاب كله، يأخذ منه ما شاء ويترك ما لم يردده، ما لا يناسب قلبه يتركه، ما لم يكن في مصلحته يتركه ويرده لا يقبله، وأمامك يظهر لك أنه يحبك وأنه يلين جانبه لك، وإذا ابتعدت عنه عَصَّ عليك الأنامل من الغيظ، هذه صفة من صفاتهم ذكرها الله في كتابه، وهو العليم الخبير بأحوالهم.

ومن صفاتهم، ما أخبر الله عنهم، أنهم إذا أصابكم الخير يحزنون وإذا أصابكم الشر يفرحون، يحبون أن يصيبكم الشر ويستأثرون إذا أصابكم الخير، قال الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ وَإِنْ تَصَبَّكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ (١٣٠).**

كم تجد من مثل هؤلاء الذين يتقلبون في وجوههم أمام المؤمنين، فإذا أصابك الخير إذا أصابتك النعم، تحزن قلوبهم، فيقولون: لماذا هؤلاء بالذات مرتاحون؟ ولماذا فتح الله - عز وجل - عليهم؟ لماذا تيسر أمورهم؟ وتسير أحوالهم على أحسن حال؟

وعندما يصيبك الشر، يفرحون بشكل عظيم في قلوبهم، فيقولون: هم يستحقون ذلك، دعهم يذوقون ما صنعه أيديهم، فلا إله إلا الله على صفة ذميمة لا ينبغي للإنسان أن يكون عليها.

ومن صفاتهم أنهم، عندما تأتي الدنيا إلى المؤمنين، يكونون معهم ويريدون من الدنيا ما يتركونها للمؤمنين والصالحين، يقولون "لا خلاص نحن معكم، ما نحن حول هؤلاء، ويرغبون في الدنيا التي يرونها تتقلب في أيديكم.

وإن فتح الله أمور الدنيا على غيركم، وكانت مع غيركم، يذهبون إلى غيركم ويقولون لهم: ما نحن معهم أبداً ولن نكون معهم على هذا الطريق، فهم مع الدنيا أينما وجدت الدنيا، وقد بين ربنا - سبحانه وتعالى - هذا في كتابه، قال سبحانه:

﴿الَّذِينَ يَرَبُّونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ

نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ [سورة النساء: ١٤١].

قال العلامة السعدي عند تفسير هذه الآية: ذكر تحقيق موالاته المنافقين للكافرين ومعاداتهم للمؤمنين فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ﴾ أي: ينتظرون الحالة التي تصيرون عليها، وتنتهون إليها من خير أو شر، قد أعدوا لكل حالة جوابا بحسب نفاقهم. ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ فيظهرون أنهم مع المؤمنين ظاهرا وباطنا ليسلموا من القدح والطعن عليهم، وليشركوهم في الغنيمة والفىء وليتصروا بهم، ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ﴾ ولم يقل فتح؛ لأنه لا يحصل لهم فتح، يكون مبدأ لنصرتهم المستمرة، بل غاية ما يكون أن يكون لهم نصيب غير مستقر، حكمة من الله. فإذا كان ذلك ﴿قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ﴾ أي: نستولي عليكم ﴿وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: يتصنعون عندهم بكف أيديهم عنهم مع القدرة، ومنعهم من المؤمنين بجميع وجوه المنع في تفنيدهم وترهيدهم في القتال، ومظاهرة الأعداء عليهم، وغير ذلك مما هو معروف منهم، ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فيجازي المؤمنين ظاهرا وباطنا بالجنة، ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات. انتهى كلامه

فإن كان الفتح من الله للمؤمنين، يقولون "ألسنا معكم؟ ألم نكن معكم؟" وإن كان للكافرين نصيب، يقولون "أليس قد منعناكم من المؤمنين؟" يذهبون إلى الكافرين وأعداء الله ويتجهون لخلاف الطريق الصحيح والهدي القويم، يقولون

للكافرين "نحن معكم"، كنا نخدعهم من الداخل، نحن كنا كذا وكذا، ما كنا معهم أبداً، حتى وإن كنا في وسطهم". ومع ذلك، نخدعهم ونمنعهم عن الطريق المستقيم.

من صفاتهم أنك تعرف مثل هؤلاء من كلامهم إذا سمعتهم، قال الله سبحانه:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۚ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٤].

أي: إذا تكلم راق كلامه للسامع، وإذا نطق، ظننته يتكلم بكلام نافع، ويؤكد ما يقول بأنه ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ بأن يخبر أن الله يعلم، أن ما في قلبه موافق لما نطق به، وهو كاذب في ذلك، لأنه يخالف قوله فعله.

فلو كان صادقا، لتوافق القول والفعل، كحال المؤمن غير المنافق، فلهذا قال:

﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ أي: إذا خاصمته، وجدت فيه من اللدد والصعوبة والتعصب، وما يترتب على ذلك، ما هو من مقابح الصفات، ليس كأخلاق المؤمنين، الذين جعلوا السهولة مركبهم، والانقياد للحق وظيفتهم، والسماحة سجيتهم.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥].

﴿وَإِذَا تَوَلَّى﴾ هذا الذي يعجبك قوله إذا حضر عندك ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ

فيها﴾ أي: يجتهد على أعمال المعاصي، التي هي إفساد في الأرض ﴿وَيُهْلِكَ﴾

بسبب ذلك ﴿الْحَرْتُ وَالنَّسْلُ﴾ فالزروع والثمار والمواشي، تتلف وتنقص، وتقل بركتها، بسبب العمل في المعاصي ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾ وإذا كان لا يحب الفساد، فهو يبغض العبد المفسد في الأرض، غاية البغض، وإن قال بلسانه قولاً حسناً. فهم أشرار في كلامهم، أينما كانوا، لا تصدقوا كلامهم يا أيها المؤمن يا أيها السني يا أيها السلفي، فإنهم إذا لقوك يقولون "أنت كذا وكذا وأنت على رأسنا وعلى عيوننا، نحن نحبك ونسمع دروسك وكلامك، ونحن نفخر بك وندعو لك، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ (٢٠٤)، هذا الخصم الأكثر شراً لك.

وألد عدو لك هذا الذي يُظهر لك شيئاً ويبطن شيئاً آخر، أما الذي يعاديك ظاهراً، فهو عدوك، وتعرفه أنه يعاديك ظاهراً وباطناً، لكن هذا الشخص الذي يتقلب ويتلون عليك هذا الخطر المحقق بك قال رب العالمين سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يُحْسِبُونَ كُلَّ صَيِّحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُوا﴾ [سورة المنافقون: ٤].

تأمل قوله سبحانه بعد أن ذكر صفات هؤلاء المتلوتين ثم قال: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ فَنَلَّهْمُ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّقُوا﴾ (٤) فإن فيه ما يشعر بحصر العداوة في المنافقين مع وجودها في المشركين واليهود، ولكن إظهار المشركين شركهم، وإعلان اليهود كفرهم مدعاة للحذر ولا شك.

أما هؤلاء فادعائهم الإيثار وحلفهم عليه، قد يوحى بالركون إليهم ولو رغبة في تأليفهم؛ فكانوا أولى بالتحذير منهم لشدة عداوتهم ولقوة مداخلتهم مع المسلمين، مما يمكنهم من الاطلاع على جميع شؤونهم.

وقد جاء في آخر السورة كله كاشفاً لحقيقتهم ومبيناً شدة عداوتهم سواء في قولهم ﴿لَا تُفِيقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ أو في تأمرهم على المسلمين في قولهم: ﴿لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، كل هذا يجعلك تحذر غاية الحذر ممن هكذا صفته.

هذه الخصلة والصفة الذميمة التقلب والتلون موجودة في كثير من الناس، إلا من رحم الله سبحانه وتعالى، ولهذا تجد بعض هؤلاء المتلونين إذا وجدك يتكلم معك وكأنه ناصح لك، فيقول لك: أنا أنصحك وأنا أقول لك كذا لأنني أنصحك وأحبك وأحب لك الخير، قال الله عن إبليس عليه لعائن الله: ﴿وَقَسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِمَنِ النَّصِيحُ﴾ [سورة الأعراف: ٢١]، الشيطان يأتي لأينا آدم ولأنا حواء ويُقسم لهما إنه من الناصحين، ويحلف بالله سبحانه وتعالى، فلا تصدق ذا الوجهين إذا حلف لك أنه يحبه، ولا تصدقه إن قال لك أنه ناصح، ولا تركز إليه إذا نقل لك عن أحدهم شيئاً، فإنما هو بنقله ذاك الكلام لك يريد أن يجعل قلبك يتغيظ، يجعل قلبك يمتلئ همًا وغمًا، أراد أن يحزنك، بسبب ما ينقله إليك من الأعداء وما يكون منهم تجاهك.

فتنبه يا عبد الله، تنبه لهذه الصفة الذميمة المقيتة، فإنَّ ذا الوجهين يوم القيامة هو بنفسه يتبرأ حتى ممن كان يدخل بينهما العداوة والبغضاء، كما يفعل الشيطان في الدنيا يقسم بالله أنه من الناصحين ويوم القيامة يتبرأ من أتباعه ويقول إني أخاف الله رب العالمين.

فلتكن فطنا يا أيها المؤمن، لا تنخدع بمثل هؤلاء، بل ولا تكن ممن يحمل هذه الصفة الذميمة فتكون ممقوتاً عند الله، وعند عباده الصالحين، فليكن لك وجه واحد تلقى به الناس أجمعين.

فدينك لا تفرط فيه، لا تبع دينك لأجل الدنيا فتلقى هؤلاء بوجه لأجل مصلحة وتسميها دبلوماسية هذا ما يصلح، بل هذا من التدرج الذي قد يدخل صاحبه في النفاق شيئاً فشيئاً، وهو لا يشعر.

فنسأل الله عز وجل أن يجنب المسلمين هذه الصفة الذميمة، والحمد لله.

السعي في نيل رضا الله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل

عمران: ١٠٢].

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله إنَّه ما من عبد في هذه الحياة الدنيا إلا وهو يسعى في طريق يلتمسه ويرجو أن يناله، فمنهم من همه الدنيا وأن ينالها، ومنهم من همه الآخرة، فمنهم من يضل سعيه في الحياة الدنيا ويضل يلهث بعد الدنيا، ومنهم من يوفق إلى الصراط المستقيم، وإلى الطريق القويم ويهديه الله - سبحانه وتعالى - إلى ما يحبه - عز وجل - ويرضاه، ومنهم من يضل الطريق فلا يجد الشيء الذي يحبه الله - سبحانه وتعالى -

ولا يسعى في أشياء أحبها الله وكتبها الله - عز وجل - على عباده وأمر الله - سبحانه وتعالى - أوليائه بالسعي لنيلها.

واعلموا يا عباد الله أن أعظم أمرٍ وجب على الناس أن يسعوا إلى تحصيله وأن يسعوا إلى نيله ألا وهو رضا الله - عز وجل -، فمن أَرْضَى الله - سبحانه وتعالى - فقد نال الخير كله ونال الثواب من الله - عز وجل - العظيم ونال الجزاء من الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** الذي يعطيه الله - عز وجل - لكل من رضي عنه **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**.

ولهذا كان هناك فرق بين من سعى في هذه في الدنيا ليعمل الأعمال الصالحة التي يرضى الله - عز وجل - عنه بها، ومن يسعى في سخط الله - عز وجل - ليل نهار والعياذ بالله، فكان لا بد لنا أن نسير على نهج الأولين الصادقين الذين عملوا على إرضاء الله جل جلاله قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٢].

أي ما يستوي هذا وذاك، ما يستوي من سعى بعد إرضاء الله وعمل الأعمال التي تقربه من الله، وسعى في أن يفوز برضوان الله - عز وجل -؛ ليس هذا كمن باء بسخط من الله.

لا يستوي من أَرْضَى الله - عز وجل - ومن أسخطه، ألا ولتعلموا وفقني الله وإياكم أن من حلَّ عليه رضوان الله فلا يسخط عليه الله بعد ذلك أبدًا.

قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [سورة البينة: ٧-٨].

هكذا يقول ربنا جل وعلا على أولئك الذين تقربوا إلى الله - عز وجل - بالأعمال الصالحة؛ أن الله - سبحانه وتعالى - قد رضي عنهم سبحانه وتعالى، ويرضون عنه حين يعطيهم من الثواب العظيم في جنة الرحمن التي أعدها الله - عز وجل - لمن رضي عنهم.

وفي الصحيحين، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم كان يقول: "وَأَقْدُرُ لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ".

انظر كيف يعلمهم أن يكونوا راضين عن الله - سبحانه وتعالى -، كيف يكونون متقربين إلى الله - سبحانه وتعالى - حتى إذا نزل عليهم البلاء رضوا عن الله - سبحانه وتعالى -، وعن أقداره وعلموا أنه ما كتب الله لهم ذلك إلا لأنه أراد بهم خيراً.

وجاء من حديث أنس عند الترمذي أن النبي صلَّى الله عليه وآله وسلم قال: «إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ»، من رضي فله الرضا أي أن الله - عز وجل - سيرضى عنه بفضلته وامتنانه، ومع رضا الله - عز وجل - عنه سيجعل الله - سبحانه وتعالى - عباده يرضون عليه،

وسيفتح عليه الأبواب التي ينال بها الرضا من ربه، فإنه لا يكون ذلك إلا بتوفيق الله عز وجل لعبده.

ولهذا قال: **فله الرضا؟** فمن رضي فله الرضا، أي رضا من الله، ورضا يحل عليه، ورضا منه بربه جل وعلا، ورضا منه بما يكتبه الله - **سبحانه وتعالى** - عليه.

ولقد ضرب أصحاب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في المبادرة إلى نيل رضوان الله **سبحانه وتعالى**، فعملوا الأعمال التي تقرهم من الله - **سبحانه وتعالى** -.

وسارعوا لكي ينالوا رضا الله ولو فاتهم الدنيا بأسرها، قال الله - عز وجل -:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)﴾

قال العلامة ابن كثير عليه رحمة الله: قال ابن عباس، وأنس، وسعيد بن المسيب، وأبو عثمان النهدي، وعكرمة، وجماعة: نزلت في صهيب بن سنان الرومي. انتهى

عن سعيد بن المسيب قال: أقبل صهيب مهاجرًا نحو النبي ﷺ فاتبعه نفر من قريش، فنزل عن راحلته، وانتحل ما في كنانته. ثم قال يا معشر قريش، قد علمتم أنني

من أركم رجلا وأنتم والله لا تصلون إلي حتى أرمي كل سهم في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم، وإن شئتم دللتكم على

مالي وقنيتي بمكة وخليتم سبيلي؟ قالوا: نعم. فلما قدم على النبي ﷺ قال: "ربح البيع، ربح البيع". قال: ونزلت: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ

مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)﴾ إنه هاجر يبحث عن رضا الله عز وجل، ما هي عن الأموال، ما هي عن الدنيا، فهم انطلقوا إلى المال، وهو انطلق مهاجرًا إلى

رسول الله ﷺ، فما وصل إلا وقد نزلت هذه الآية على رسوله الكريم ﷺ:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (٢٠٧)

فلما رآه النبي ﷺ تبسم وقال: "ريح البيع يا أبا يحيى، ربح البيع يا أبا يحيى، ربح البيع يا أبا يحيى".

ريح البيع بماذا؟ على أنه ترك ماله، على أنه ضيَّعه، كما هو لسان حال كثير من

الناس، ربح البيع أنه باع نفسه من الله، على أن الله سبحانه وتعالى قد رضي عنه،

وذكره جل وعلا في كتابه، فو الله إنَّ هذا هو الفوز العظيم.

أقول: ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وأشهد أن لا إله إلا الله ربي وحده، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

عباد الله، اعلّموا أنّ الأعمال التي تقربكم من رضوان الله **سبحانه وتعالى** كثيرة، والتي ينبغي على الملمين أن يعملوا بها، وأن يسارعوا إليها، وأن يسيروا كما سار أولئك الصحابة رضوان الله عليهم الذين قال الله عز وجل عنهم: ﴿وَالسَّيْقُوتَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾. فلم يختص الله عز وجل بهذا الفضل العظيم وبرضوانه الصحابة فقط، ولا الذين هاجروا إلى الله ورسوله **ﷺ**، ولا الذين سبقوا في الهجرة والجهاد، بل فتح الله من فضله وإحسانه الباب لكل من سار على دربهم بإحسان، وهم الذين اتبعوهم بإحسان.

فليس الأمر مقصوراً على هؤلاء الصحابة، وإن كان الصحابة هم أول من فازوا بهذا لمناصرتهم النبي **ﷺ** وصحبته والإيمان به، ولكنه يشمل جميع من سار على نهجهم واتبع دربهم واتبع هذا النهج العظيم، وسارع لنيل رضوان الله **سبحانه وتعالى** في كل زمان ومكان فهو مع أولئك السابقين المسارعين الأولين.

وإنَّ من أعظم الأعمال التي يتقرب بها الإنسان إلى رضوان الله عز وجل أن يعبد الله سبحانه وتعالى ويوحده ولا يشرك به، وأن يعتصم بحبل الله جل وعلا المتين، ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةُ الْمَالِ** "

انظر على مراضي الله التي ما سعى فيها عبداً إلا رضي الله عنه بها، فأعظم هذه الأعمال هو توحيد الله، فإنَّ الله قد رضي لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا.

ومن الأعمال التي تقربك إلى الله سبحانه وتعالى وإلى مرضاة الله عز وجل، الإيمان المقترن بالأعمال الصالحة. لذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝٨﴾. ما يكون هذا الفضل وهذا الرضا إلا لمن خشي ربه، ولمن بحث عن رضوان الله سبحانه وتعالى لينال هذا الفضل العظيم.

ومن الأعمال العظيمة التي تقربك من رضوان الله سبحانه وتعالى، الصدق يا عبد الله والبعد عن الكذب وعن الفجور لذلك يقول ربنا جل وعلا في سورة المائدة عن ذلك العبد الصالح عيسى عليه الصلاة والسلام.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المائدة: ١١٦-١١٧].

ثم قال الله عز وجل بعد أن ألهم عيسى حجته: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة المائدة: ١١٩].

الفوز العظيم يا عبد الله، أن تصدق مع الله في عملك وفي عبادتك، وأن تصدق مع الناس في معاملتك، وأن تصدق مع نفسك في طاعتك، في قربك إلى الله، يرضى الله عز وجل عنك ويرضيك في ذلك اليوم العظيم.

ومن الأعمال التي تقربك من رضوان الله عز وجل: إرضاء الوالدين، فقد ثبت عند الترمذي، من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «رَضِيَ الرَّبُّ فِي رِضَى الْوَالِدِ، وَسَخَطَ الرَّبُّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ».

أين نحن في أي زمان نحن يا عباد الله، لم نعد نفكر في هذه الأمور ولا في كيفية الأعمال التي نسعى بها إلى رضوان الله، هجرناها، ولم نسع فيما أمر الله عز وجل، ولا ما أمر به رسوله ﷺ إلا ما رحم الله.

أشغلنا الدنيا عن السعي في محاب الله، وعن البحث عما يرضى به ربنا علينا.

ومن الأعمال التي تقربك من رضوان الله عز وجل أن تحمد الله عز وجل على

النعم التي أنعم بها عليك وأن تشكره على ما تفضل من منته ورحمته عليك.

ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا».

ما يريد الله عز وجل منك إلا أن تكون شاكرًا لأنعمه، حامدًا لما تفضل به

عليك، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا

فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

وانظروا لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) في قصة أولئك

الثلاثة، الذين ابتلاهم الله؛ الأبرص والأقرع والأعمى، فالأبرص والأقرع لم

يشكرا نعمة الله عليهما، ولم يؤديا حق الله في ما آتاهم ربهم سبحانه وتعالى من المال،

وشكر ذلك الأعمى ربه وفعل ما وفقه الله سبحانه وتعالى لفعله وقوله، فقال له

ذلك الملك الذي نزل بصورة رجل: "أَمْسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمُ، فَقَدْ رَضِيَ عَنْكَ

وَسُخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ". فعلينا يا عباد الله، أن نكون ممن يسعى في مرضاة الله وفي

نيل رضوان الله وفي القرب من الله سبحانه وتعالى؟ وعلينا أن نعمل الأعمال التي

تقربنا من رضوان الله، حتى يكتب الله لنا الخير في الدنيا والآخرة.

فنسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا إلى مرضاته. وآخر دعوانا أن الحمد لله.

محاسن الاستغفار

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد عباد الله فيقول ربنا جل وعلا في محكم كتابه: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) [سورة الروم: ٤١].

يبين الله - سبحانه وتعالى - أن الإنسان في هذه الحياة الدنيا ما يزال في بلاء وما يزال في اختبار، وما يزال يقع في أشياء يبتليه بها الله - سبحانه وتعالى -؛ وغالب ذلك ما هو إلا بسبب هذه الذنوب التي يقتربها العبد في هذه الحياة الدنيا، والله - سبحانه وتعالى - قد بين أن عباده ليسوا معصومين من الذنوب، بل يقعون في الكبيرة

والصغيرة إلا من عصمه الله من الأنبياء والمرسلين، جاء عند ابن ماجه عن أنس، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ، وَاللَّهُ -عز وجل- يقول: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٣١).

فالإنسان مهما حرص على طاعة الله، ومهما حرص على أن يبتعد عن المعاصي والذنوب، لا بد من أن يقع فيها، روى الإمام مسلم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».

لو لم تذنوبوا لذهب الله بكم، ولأتى بقوم آخرين لم؟ ليس معنى هذا أن الله -عز وجل- يحب أن يرى من عبده الذنوب، ولا لأنه -سبحانه وتعالى- يحب أن يعصيه عبده، لكن الله -سبحانه وتعالى- قد ركب الله عز وجل الخلق على الضعف وعلى أنهم يخطئون ويذنبون، وفتح لهم أبواباً للخروج من هذه الذنوب ومنها.

أنهم يعودون إلى ربهم وأنهم يستغفرون من ذنوبهم وأنهم يرجعون من سيئاتهم إلى الله فيغفر الله -عز وجل- لهم، وهو -سبحانه وتعالى- الغفار، وهو -سبحانه وتعالى- التواب يحب أن يرى أثر أسمائه على عباده، فلهذا لزم علينا في هذه الدقائق المعدودة، أن نبين للناس، محاسن الاستغفار وأن العبد مهما أذنب ومهما أوبقته نفسه في المعاصي والذنوب، ومهما ارتكب الفواحش والمنكرات لا بد أن يعلم أن له ربا قريبا يغفر الذنوب ويتجاوز عن السيئات سبحانه وتعالى.

وانظر إلى أنبياء الله وهم خيرة خلق الله كيف كانوا رجّاعين إلى الله - **سبحانه وتعالى** - الأنبياء أوابين إلى ربهم، مستغفرين لربهم - **سبحانه وتعالى** - يرجعون إلى الله في كل أحوالهم، ويتوبون إليه **سبحانه وتعالى** من كل ما يصدر منهم.

هذا آدم عليه الصلاة والسلام حين أذنب ذلك الذنب أكلا من تلك الشجرة، رجع إلى **سبحانه وتعالى** وتاب واستغفر، قال **سبحانه**: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأعراف: ٢٢-٢٣].

تاب إلى الله - عز وجل - فتاب الله عليه.

وهذا نوح عليه الصلاة والسلام لما دعا لولده الذي كان كافراً نهاه الله **سبحانه وتعالى** أن يدعو له، فاستغفر ربه عن هذا الأمر الذي صدر منه، قال ربنا **سبحانه وتعالى**: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ۖ ﴿٤٥﴾ قَالَ يُسُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۖ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۖ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة هود: ٤٥-٤٧].

استجاب له ربه، وغفر له ذنبه **سبحانه وتعالى**، لأنه غفار الذنوب.

وهذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام يدعو ربه **سبحانه وتعالى** أن يجعله من المغفور لهم يوم القيامة، قال الله **سبحانه وتعالى** أنه كان يقول في دعائه ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ۖ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ۖ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۖ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي

يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ [سورة الشعراء: ٧٨-٨٢].

وهذا يونس عليه الصلاة والسلام، وهو في بطن الحوت ينادي ربه ويستغفر ربه ﴿وَذَا التُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ [سورة الأنبياء: ٨٧-٨٩].

أي أنا ظالم لنفسي بما اقترفته يداي فاغفر لي يا رب، فغفر الله - عز وجل - له. وهذا موسى عليه الصلاة والسلام كليم الله، الذي كلمه الله عز وجل تكليمًا ينادي ربه - سبحانه وتعالى - ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿١٦﴾ [سورة القصص: ١٦].

هذا داود عليه الصلاة والسلام، حين تسور أولئك النفر المحراب وحكم بينهم داود عليه الصلاة والسلام، علم أنه ابتلاء من ربه، فقال بعدها عنه ربنا سبحانه في كتابه ﴿وَلَمَّا دَاوُدُ أُنْمِئَتْ فَنَنَّهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٥﴾ [سورة ص: ٢٤-٢٥].

وهذا سليمان عليه الصلاة والسلام على تلك الحال، معاشر الأنبياء يرجعون إلى ربهم، ويستغفرون الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ [سورة ص: ٣٤-٣٦].

هؤلاء هم معاصر أنبياء الله ورسله، الذين هم من أبعد الناس عن المعاصي وعن الذنوب، الذين هم أرفع الناس عن الخطايا وعن السيئات، الذين خيرة خلق الله وصفوة أوليائه ومع ذلك كانوا يرجعون إلى الله ويستغفرون ربهم **سبحانه وتعالى**، ولا يستنكفون عن الاستغفار مما قد يقع من أحدهم ولو كان يسيراً، وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام كان على هذا الحال أيضاً، ثبت عند الإمام مسلم عن الأغر المزني، وَكَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ».

قال النووي عليه رحمة الله في شرح مسلم: قال أهل اللغة الغين والغيم بمعنى واحد، والمراد هنا ما يتغشى القلب، قال القاضي: قيل المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شأنه الدوام عليه فاذا فتر عنه أو غفل عد ذلك ذنباً واستغفر منه، وقيل سببه اشتغاله بالنظر في مصالح أمته وأمورهم ومحاربة العدو ومداراته وتأليف المؤلفة ونحو ذلك فيشتغل بذلك من عظيم مقامه فيراه ذنباً بالنسبة إلى عظيم منزلته وإن كانت هذه الأمور من أعظم الطاعات وأفضل الأعمال فهي نزول عن عالي درجته ورفيع مقامه من حضوره مع الله تعالى ومشاهدته ومراقبته وفراغه مما سواه فيستغفر لذلك. انتهى كلامه رحمه الله

فإذا كان هذا حال أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام فما بالنا معاصر المؤمنين إذا نزلت بنا الهموم والكروب، وإذا نزل بنا العذاب، وإذا حلت بنا الكروب، وحلت بنا الأمور العظيمة ما بالنا لا نرجع إلى ربنا **سبحانه وتعالى**؟

وانظروا لما ثبت عند مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الشَّرْكِ قَتَلُوا فَأَكْثَرُوا، وَزَنَوْا فَأَكْثَرُوا، ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو لِحَسَنٍ، وَلَوْ تُخْبِرُنَا أَنَّ لِمَا عَمَلْنَا كَفَّارَةً، فنَزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ٦٨.

وَنَزَلَ ﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٥٣].
 أنزل الله - سبحانه وتعالى - هذه الآيات حاثًا لهم، على أنهم مهما عظمت الذنوب والسيئات أنهم يرجعون إلى ربهم سبحانه وتعالى الرحيم فيستغفرونه، فيغفر الله عز وجل لهم، مهما كبرت هذه الذنوب مهما تعاظمت، فإن الله أكبر وأجل وأعظم سبحانه وتعالى وهو الغفور الرحيم، فينبغي علينا معاصر المسلمين أن نتوب إلى ربنا سبحانه وتعالى ونستغفره، فإذا نزل بك العذاب يا عبد الله وأحذق بك ذنبك فاعلم أن لك أمانا عند الله - عز وجل - ما دمت عاملا به فإن الله سبحانه وتعالى يرفع عنك العذاب والابتلاء.

قال ابن جرير رحمه الله عند قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِمُعَذِّبِهِمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ثُبً﴾ [سورة الأنفال: ٣٣].

قال رحمه الله: وكان بعض أهل العلم يقول: هما أمانان أنزلهما الله: فأما أحدهما فمضى، نبي الله. وأما الآخر فأبقاه الله رحمة بين أظهركم، الاستغفار والتوبة.

هذا أمان للناس، إذا كان النبي - صلى الله عليه وسلم - فيهم لا يعذبهم ولا ينزل عليهم العذاب وهم كفار مشركون، ولا يهلكهم جميعًا سبحانه وتعالى، فذهب هذا الأمان الأول

بموت رسول الله - ﷺ -، وبقي الأمان الثاني إلى أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها، فإذا أردت يا عبد الله أن يرفع الله عز وجل عنا العذاب، وأن يرفع الله عز وجل عنا البلاء وأن يرفع الله سبحانه وتعالى ما حل بنا، عليك بالاستغفار ولازمه، ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانُ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ نَبَأٌ﴾ [سورة الأنفال: ٣٣].

لا يعذبك الله وأنت تستغفر بإذنه - سبحانه وتعالى -.

فإذا خارت قواك وضعفت حواسك وضعف السمع والبصر وكلت جوارحك عليك بالاستغفار فإنه لك قوة يعطيك ربك - سبحانه وتعالى -، قال الله عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [سورة هود: ٥٢].

ما بالنا الآن؟ ما نستغفر الله؟ حتى يحفظ الله - عز وجل - علينا سمعنا وأبصارنا وقواتنا وكل ما فينا.

إذا شحت عليك الأمطار وجفت الآبار وانقطعت الأنهار، ولم يأتك الأولاد، عليك بالاستغفار، فإن الله - سبحانه وتعالى - يجري ذلك كله عليك، إذا كنت صادقاً مع الله في استغفارك له سبحانه، قال الله عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [سورة نوح: ١٠-١٦].

أي مالكم لا توحدون الله وتعبدون الله وتنبئون إلى الله وترجعون إليه فإنه
سبحانه وتعالى يفتح عليكم ذلك كله.

إذا كثرت سيئاتك وعظمت خطيئاتك وعلمت أنه لا ملجأ من الله إلا إليه،
عليك بالاستغفار فإن الله - عز وجل - يغفرها لك، ثبت عند الترمذي من حديث
أنس رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ
إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ
ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي
بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً "

إنما عليك أن تستغفر الله عز وجل، والاستغفار يا عبد الله، هو طلب المغفرة
من الله، وطلب الغفران من الله لجميع الذنوب، والغفران هو ستر قبيح، والتجاوز
عن السيئات والذنوب، فيسترها الله وجل عليك هنا ويغفرها لك - سبحانه
وتعالى - في الآخرة، ثبت في الصحيحين من حديث عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّ رَجُلًا
سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ، كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: " يَذْنُو أَحَدُكُمْ
مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَفَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ:
عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقْرَأُ، ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا
أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ " .

يقرره الله - عز وجل - بهذه الذنوب، التي كان - سبحانه وتعالى - يسترها له في
الدنيا، حتى يظن العبد أنه هلك، فيقول الله - عز وجل - له سترتها عليك في الدنيا

وأنا أغفرها اليوم لك، فهكذا يفعل ربنا بمن كان رجّاعاً إليه، وهكذا يفعل الاستغفار بأهله الملازمين له.

وهذا الاستغفار يا عباد الله لا يكون إلا لمن صحة نيته، وتاب إلى الله - عز وجل - ورجع وأتاب وندم، قال ربنا **سبحانه وتعالى**: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٣٥].

هذه أمور لا بد من أن تعمل بها عند توبتك، ترجع إلى الله بندم مع حسن نية وإقلاع عن الذنوب حتى يغفر الله - عز وجل - لك، فلا يصير العبد على ذنبه بل يرجع إلى ربه - **سبحانه وتعالى** - وينيب، ويستغفر الله وتوب ويندم، حتى لو رجع مرة أخرى يرجع ويتوب ويندم ويعزم على أن لا يرجع، هذا كله من الاستغفار، ومن لوازم الاستغفار ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أشهد أن لا إله إلا الله
ربي وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم تسليم كثيراً أما بعد:

وإن من أعظم محاسن الاستغفار، أن الملائكة تستغفر لك يا أيها المستغفر، أنت
المذنب المقصر، أنت ذاك العاصي أنت ذاك الكثير الذنوب؟ الملائكة الذين لا
يعصون الله - عز وجل - ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، الملائكة الذين يعبدون الله
سبحانه وتعالى الليل والنهار لا يفترون، يستغفرون لك يا أيها المذنب، قال الله -
عز وجل -: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ
وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [سورة غافر: ٧].

ملائكة الله تستغفر لك، لو لم يكن من محاسن الاستغفار إلا هذه لكفتك أيها
العبد، أن الله - **سبحانه وتعالى** - يوكل بك هؤلاء الملائكة تستغفر لذنبك.
لكن اعلم أن هذه الملائكة لا تستغفر لكل واحدٍ من الناس، وإنما لمن كان على
هدى وعلى رجوع إلى الله وعلى الطاعات والقربات.

ومن هؤلاء الذين تستغفر لهم الملائكة الذين يعلمون الناس الخير، فإن الله - عز
وجل - يوكل بهم ملائكة يستغفرون لهم، ثبت عند الإمام أحمد والترمذي من

حديث أبي أمامة الباهلي: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةُ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلَّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ».

وعند ابن ماجه من حديث أبي الدرداء، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالَمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحَيَاتَانِ فِي الْبَحْرِ».

فهذه فوائد عظيمة في الاستغفار، وفي التوبة وفي هذه الأمور العظام أَنَّ هؤلاء الملائكة يستغفرون لك.

وينبغي على العبد أن يحرص على المواطن التي كان النبي عليه الصلاة والسلام يأمر الناس بالاستغفار فيها أو يكثر هو من الاستغفار فيها.

ومن أعظم هذه المواطن ألا وهي بعد الصلوات، فَإِنَّ النبي عليه الصلاة والسلام كان إذا سلم من الصلاة قال استغفر الله استغفر الله استغفر الله.

روى مسلمٌ في صحيحه عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ»، فَيَعْلَمُنَا النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الذِّكْرَ الْعَظِيمَ لِأَنَّ عِنْدَنَا مَا عِنْدَنَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي تَعْتَرِي صَلَاتَنَا فَيَحْصِلُ الْخُللُ فِيهَا، فَعَلِمْنَا كَيْفَ نَسْتَغْفِرُ لِنَجْبِرَ ذَلِكَ الْخُللَ.

فكانت الحكمة من الاستغفار بعد الصلاة، أن الإنسان لا يخلو من تقصير في صلاته؛ فلهذا شرع له أن يستغفر ثلاثاً ثم يقول: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذات الجلال والإكرام"، ثم يأتي بالأذكار الواردة عن النبي ﷺ.

ومن أعظم المواطن التي أمر الله - عز وجل - وأمر بها رسوله أن يلزمها الإنسان

في الاستغفار، ألا وهي في الثلث الأخير من الليل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كَانُوا

قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِلَاسَحَارِهِمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة الذاريات: ١٧-١٨].

قال العلامة العثيمين: الأسحار: جمع سحر، وهو آخر الليل، ﴿هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾،

يعني يسألون الله المغفرة، وهذا من حسن عملهم وعدم إعجابهم بأنفسهم، وكونهم

يشعرون بأنهم وإن اجتهدوا فهم مقصرون، فيستغفرون الله بعد فعل الطاعة جبراً

لما حصل فيها من خلل، ويشرع في نهاية العبادات أن يستغفر الإنسان ربه مما قد

يكون فيها من خلل، فهم يسألون المغفرة بعد تهجدهم وقيامهم وسهرهم في طاعة

الله، خوفاً من أن يكون هناك تقصير، وهذا مما يدل على معرفتهم بأنفسهم، وأنهم

يرون أنفسهم مقصرين. انتهى كلامه.

ومن أعظم المواطن التي ينبغي على العبد الاستغفار فيها هو بعد إتمام حجه قال

الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِّنْ حَيْثُ أَفَاضَ التَّكَاثُفُ وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ

عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ [سورة البقرة: ١٩٩].

ومن أعظم المواطن التي ينبغي على العبد الإكثار من الاستغفار فيها، ألا وهي إذا

طال عمره، وقرب أجله، وعلم أنه راحل إلى ربه سبحانه وتعالى، ينبغي عليه أن

يكثر من الاستغفار، ثبت في الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها

روى الإمام مسلم في صحيحه عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ مِنْ

قَوْلٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ» قَالَتْ: فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ،

أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلٍ: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ؟» فَقَالَ: «خَبَّرَنِي رَبِّي أَنِّي سَأَرَى عَلَامَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلٍ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فَتُح مَكَّةَ، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا».

وعند البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أَنَّهُ قَالَ عَلَى هَذِهِ السُّورَةِ: «هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللَّهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ فَتُح مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةٌ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا». قَالَ عُمَرُ: «مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ»، فَيُخْبِرُهُ اللَّهُ **سبحانه وتعالى**، إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ أَقْبَلُوا عَلَى دِينِ اللَّهِ وَأَسْلَمُوا، فَلَا زَمَ الْإِسْتِغْفَارِ، حَتَّى يَخْتِمَ لَكَ بِهَذَا الْعَمَلِ الْجَلِيلِ.

لهذا ينبغي على العبد أن يحرص على لزوم الاستغفار، حتى يختم الله - عز وجل - له بخير.

ومن أعظم المواطن التي ينبغي على الإنسان أن يلزم الاستغفار فيها، في كل مجلس، وفي كل دعاء وفي كل مكان يقوم منه وفي كل عمل خير يعمله، ينبغي عليه أن يختمه بهذا الدعاء، ثبت عند النسائي من حديث عائشة قالت: مَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا قَطُّ، وَلَا تَلَا قُرْآنًا، وَلَا صَلَّى صَلَاةً إِلَّا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَاكَ مَا تَجْلِسُ مَجْلِسًا، وَلَا تَتْلُو قُرْآنًا، وَلَا تُصَلِّي صَلَاةً إِلَّا خَتَمْتَ بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: "نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْرًا خَتَمَ لَهُ طَائِعٌ عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ،

وَمَنْ قَالَ شَرًّا كُنَّ لَهُ كَفَّارَةً: سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ".

فإذا جلست مجلساً مع الناس أو مع أهلك فقلت خيراً أو كثر لغطك وعظمت غفلتك فقل هذا الدعاء قبل أن تقوم من هذا المجلس.

فكثيراً ما يحدث في المجالس كلام ليس له كبير فائدة أو نفع، بل يكون لغواً، وربما يكون فيه إثم ومعصية، فإذا قال قبل أن يغادر مجلسه ذلك هذا الدعاء والذكر: "سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ"، أي: أنزهك تنزيهاً عن كل نقص وعيب، ويكون مقروناً بحمدك كما أمرت، "أشهد أن لا إله إلا أنت"، أي: أقرباً أنك أنت الله الواحد الأحد المستحق للعبادة، "أستغفرُكَ"، أي: أطلبُ منك مغفرة ذنبي وأتوبُ إليك ممّا وقع مني في مجلسي هذا من معصية وذنب؛ فإنه إذا قال هذا الدعاء بصدق وإخلاص، إلا عفا الله عنه ومحا ما كان في مجلسه ذلك من الذنوب من غير مظالم العباد.

وهكذا إذا دعوت الله أو صليت أو قرأت قرآناً أو فعلت غير ذلك الزم هذا الدعاء يجعل الله لك خيراً في ختام عملك.

فنسأل الله أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يجعلنا من الملازمين للاستغفار. سبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ اسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ.

الشوق للقاء الله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله، خرج الإمام مسلم في صحيحه، فقال: حدثنا يحيى بن يحيى، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت البناني عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ أَنَسُ: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) تَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لِأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى».

في هذا الحديث العظيم، يبين فيه النبي -عليه الصلاة والسلام- أن هذا المطر الذي جعل النبي -عليه الصلاة والسلام- يصيب ثوبه منه، هو حديث تكوين من عند الله -سبحانه وتعالى-، وأن النبي -عليه الصلاة والسلام- يحب الله ويحب ما نزل من عند الله -عز وجل- حديثاً، ويجب ما أتاه من ربه -سبحانه وتعالى-، فخرج -ﷺ- ليصبيه ذلك المطر الذي أنزله الله عز وجل، وقال: إنه حديث عهد بربه.

وهذا يبين لك أيها العبد الصالح أن النبي -عليه الصلاة والسلام- يحب لقاء الله -عز وجل- كثيراً، ويجب ما جاءه من عند الله -سبحانه وتعالى-، فلما سئل النبي ﷺ لم فعل ذلك؟ قال: إنه حديث عهد بربه، مازال مكوناً من عند الله، وإني أحبه ما كان آتياً من عند الله -عز وجل- حديثاً.

لهذا أحببنا في هذه الدقائق المعدودة أن نقف وقفات يسيرة مع "هفة المشتاقين إلى لقاء رب العالمين".

فإنه إذا كان النبي ﷺ يخرج مشتاقاً إلى ربه -سبحانه وتعالى- ويصبيه ذلك المطر حباً للقاء الله وشوقاً للقاء الله، فكيف لا يكون هذا حالنا ونبينا ﷺ هو أسوتنا وقدوتنا، قال سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

وقد كان نبينا ﷺ يسأل ربه الشوق إلى لقائه، روى النسائي من حديث عمار بن ياسر -رضي الله عنه-، أن النبي ﷺ كان يقول: "وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُّضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُّضِلَّةٍ".

قال ابن رجب الحنبلي: وَإِنَّمَا قَالَ من غير ضراء مضرّة وَلَا فِتْنَةٍ مضلة لِأَن الشوق إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ يَسْتَلْزِمُ مَحَبَّةَ الْمَوْتِ وَالْمَوْتُ يَقَعُ تَمَنِيهِ كَثِيرًا مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا بِوُقُوعِ الضَّرَاءِ الْمُضَرَّةِ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مِنْهَا عَنْهُ فِي الشَّرْعِ وَيَقَعُ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ تَمَنِيهِ لَخَشْيَةِ الْوُقُوعِ فِي الْفِتَنِ الْمَضِلَّةِ

فَسَأَلَ تَمَنِي الْمَوْتِ خَالِيًا مِنْ هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ وَأَنْ يَكُونَ نَاشِئًا عَنْ مَحْضِ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ. انتهى كلامه رحمه الله

لهذا قال سهل بن عبد الله الدستري: لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت، ورجل يفر من أقدار الله عليه، والثالث: رجل محب مشتاق للقاء الله عز وجل. اهـ

فلا يتمنى الموت إلا واحدًا من هؤلاء الثلاثة، فهناك من خلق الله عز وجل ممن يتمنى الموت لمرض نزل به، ومصدق ذلك ما رواه الإمام أحمد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فيَقُولُ يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ مَا بِهِ حُبُّ لِقَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ"، أي لا تظن أنه يجب لقاء الله فيتمنى الموت لا، إنما بسبب الضر الذي نزل به وبسبب الفتن التي حصلت له تمنى الموت.

لهذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام بهذا حتى لا يقع في نفوس الناس أنه يجب لقاء الله؛ فقال "وما به حب لقاء الله"، معناه أنه لو تمنى العبد لقاء الله واشتاق للقاء الله لكان أمرًا عظيمًا، لكن ليس هذا حاله هكذا.

فأين المشتاقون للقاء ربهم **سبحانه وتعالى**، أين الطالبون لهذا الأمر العظيم، أين الساعون لنيل هذا المطلب العظيم الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام يسأله النبي ﷺ من ربه تبارك وتعالى.

وهذا موسى عليه الصلاة والسلام حين جاء لميقات ربه قال ربنا **سبحانه وتعالى**:

﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءَ عَلَيَّ أَتْرَى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ ﴾ [سورة طه: ٨٣-٨٤].

فلما جاء موسى لميقات ربه وكلمه ربه اشتاق موسى للقاء الله ورؤيته، قال الله **سبحانه**:

قال الله جل جلاله: ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي فَلَمَّا بَلَغَ رَبُّهُ لَ الْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ بُتُّ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ١٤٣].

انظر إلى الشوق من موسى عليه الصلاة والسلام لربه **سبحانه وتعالى**، للرب عز وجل حتى تمنى لقاء الله، وتمنى رؤية ربه **سبحانه وتعالى**.

وهذا يوسف عليه الصلاة والسلام، لما أتم الله عز وجل عليه النعم كلها، قال:

﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [سورة يوسف: ١٠١].

قال قتادة عليه رحمة الله: لم يتمن الموت أحد، نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام، حين تكاملت عليه النعم وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل. وقال جمهور أهل العلم: إنما تمنى يوسف الوفاة على الإسلام، أي إذا جاء أجلي توفني مسلماً.

وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام، أعظم المشتاقين للقاء ربه سبحانه وتعالى، كيف لا، وقد مرَّ بنا في الحديث أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام كان يسأل الشوق إلى لقاء الله عز وجل وثبت عند ابن حبان بسند حسن عن أبي سعيد الخدري، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَطَبَ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَيَبْنَ لِقَائِهِ، فَاخْتَارَ لِقَاءَ رَبِّهِ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: بَلْ نَفْدِيكَ بِآبَائِنَا وَأَبْنَائِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ» ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنَ النَّاسِ لَا تَخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أَخُوَّةَ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتَهُ، أَلَا لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ خَوْحَةٌ إِلَّا سُدَّتْ إِلَّا خَوْحَةُ أَبِي بَكْرٍ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ، فَقُلْتُ: «الْعَجَبُ يُخْبِرُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللَّهُ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَهَذَا يَبْكِي، وَإِذَا الْمُخَيَّرُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِذَا الْبَاكِي أَبُو بَكْرٍ، وَإِذَا أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ».

وعند البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها وأرضاها، قالت: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ صَاحِحٌ: «إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ» فَلَمَّا نَزَلَ بِهِ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَشْخَصَ بَصَرَهُ إِلَى سَقْفِ الْبَيْتِ،

ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى». فَقُلْتُ: إِذَا لَا يَخْتَارُنَا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَدِيثُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ، قَالَتْ: فَكَانَتْ آخِرَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمُ بِهَا: «اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى». عِلْمْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ لَا يَخْتَارُهُمْ، وَلَا يَرْغَبُ فِي الْبَقَاءِ بَيْنَهُمْ لِأَنَّهُ مُشْتَاقٌ لِلْقَاءِ اللَّهِ، فَخِيَرَهُ اللَّهُ، فَقَالَ بَلِ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى، اخْتَارَ لِقَاءَ اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ اللَّهُ، وَاخْتَارَ أَنْ يَشْتَاقَ لِلْقَاءِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنْ يَقِفَ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَنْ يَلْقَى رَبَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمَا مِنْ عَبْدٍ صَالِحٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، مَا مِنْ عَبْدٍ مُؤْمِنٍ، مَا مِنْ عَالِمٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، مَا مِنْ عَارِفٍ بِاللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ، إِلَّا وَهُوَ يَشْتَاقُ وَيَتْلَهَفُ لِلْقَاءِ اللَّهِ تَعَالَى. فَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُشْتَاقُونَ لِرَبِّهِمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَالْمُشْتَاقُونَ لِلْقَاءِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ. أَسْأَلُ اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكَ مِنْهُمْ.

الخطبة الثانية

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،
وأشهد أن لا إله إلا الله، ربي وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. أما بعد:

أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: حَدَّثَنِي
فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ.
وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ" قَالَ: فَأَكْبَ الْقَوْمُ يَكُونُ، فَقَالَ: "مَا يُبْكِيكُمْ؟"
فَقَالُوا: إِنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: "لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ إِذَا حَضَرَ: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ
الْمُقَرَّبِينَ، فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ﴾ [سورة: الواقعة، آية رقم: ٨٩] فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ
أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لِلْقَائِهِ أَحَبُّ ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ، فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾
[سورة: الواقعة، آية رقم: ٩٢] فَإِذَا، بُشِّرَ بِذَلِكَ يَكْرَهُ لِقَاءَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لِلْقَائِهِ أَكْرَهُ "

ما الذي جعل ذلك العبد يحب لقاء الله؟ إنها الأعمال التي قربته من الله سبحانه
وتعالى، فلما حضره الموت بُشِّرَ بروح وريحان، وربٍّ راضٍ غير غضبان، بشر بنعيم
من الله، بوعده الله، بشر بمحبة الله، فأحب لقاء الله، والله للقاءه أحب.

فلهفة المشتاقين للقاء رب العالمين، تتجسد في أمور إذا فعلها العبد كان في ذلك
دليلٌ على محبته لله، وعلى شوقه للقاء الله سبحانه وتعالى.

ومن تلك الأمور التي تدل على شوقك للقاء الله؛ هي إجابة داعي الله إذا دعاك،

هل أنت من يجيب داعي الله إذا دعاك؟

فالله يدعوك إلى الاستجابة إليه وإلى رسوله فهل أنت من المسارعين إلى ذلك، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ ﴿٢٤﴾. وقال سبحانه: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّלَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ ﴿٤٧﴾ [سورة الشورى: ٤٧].

فإن كنت من المستجيبين لله ولرسوله ﷺ، من المستجيبين لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فأنت من المشتاقين للقاء الله، وذلك لأن المشتاق للقاء ربه يسارع إلى إجابة داعي ربه في كل ما يدعوه.

ومن ذلك إجابة داعي الله إذا دعاه إلى الصلاة، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُا رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ﴿٤٦﴾ [سورة البقرة: ٤٥-٤٦].

فهذا الذي يعتقد ويتيقن أنه ملاق الله سبحانه وتعالى، تجده مسارعاً لرضوان الله، مسارعاً لإجابة داعي الله.

الآن داعي الله ينادي وكثير من المسلمين في غفلة إلا من رحم، الصلوات تقام والناس إما في سمرات أو في تخازين أو في مجالس القيل والقال أو في نوم وسبات، أين الشوق للقاء الله؟

داعي الله ينادي وغالب المسلمين أمام الشاشات والتلفز، والمسلسلات والمباريات، فأين الشوق إلى لقاء الله.

داعي الله ينادي وشباب المسلمين مع الجوالات ومواقع التواصل والمراسلات، وأمام الصور العارية والأفلام الخليعة إلا ما رحم ربُّ العالمين وهم قليل، فأين الشوق إلى لقاء الله.

داعي الله ينادي ونساء المسلمين أمام المسلسلات التركية والهندية، وفي متابعة المؤضات والقصص، والملابس العارية ومجاراة نساء الغرب، فأين الشوق إلى لقاء الله.

والله لمن كان محباً للقاء الله فإنه يجيب كل دعوة من ربه **سبحانه وتعالى** في الدنيا، أوليس بيوت الله فيها دعوة إلى الله، فيها الصلاة التي يحبها الله، فيها الأعمال التي تقربكم من الله؟ فما بالكم يا معاشر المسلمين لا تسارعون لهذه المراضى التي يرفعكم الله بها ويوجب لكم محبته؟

النداء بعد النداء والصلاة بعد الصلاة، والناس في غفلة إلا من رحمه الله، ثم تجد منهم من يدعي محبة الله، وأنه يشواق للقاء الله!

والله لو اشتقنا للقاء الله ما هجرنا بيوت الله التي يحبها الله ويحب أهلها، فها هنا تتجلى لهفة المشتاق لربه **سبحانه وتعالى**.

تتجلى لهفة المشتاقين إلى لقاء ربِّ العالمين في إخلاص الأعمال لله عز وجل، فإذا أخلصت أيها العبد عملك لله - **سبحانه وتعالى** - أحبك الله وأحبَّ لقاءك كما أحببت لقاءه

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (سورة الكهف: ١١٠).
 هنا يتجلى الاشتياق لربكم، تتجلى محبة الله إن كنتم فعلاً تحبونه. فأخلصوا في أعمالكم الصالحة له سبحانه وتعالى، وتقربوا إلى الله بما يرضيه سبحانه وتعالى.

لهفة المشتاقين لله تتجلى في إيمانكم بالله سبحانه وتعالى، وفي زهدكم في المال والدنيا، وفي الصبر على المحن؛ لأنكم تعلمون أن الله عز وجل يحب ذلك.
 روى ابن حبان في صحيحه عن فضالة بن عبيد، أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهُمَّ مَنْ آمَنَ بِكَ، وَشَهِدَ أَنِّي رَسُولُكَ، فَحَبَّبَ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ، وَسَهَّلَ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ، وَأَقْلَلَ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَمَنْ لَمْ يُؤْمَرْ بِكَ وَلَمْ يَشْهَدْ أَنِّي رَسُولُكَ، فَلَا تُحِبِّبْ إِلَيْهِ لِقَاءَكَ، وَلَا تُسَهِّلْ عَلَيْهِ قَضَاءَكَ، وَأَكْثِرْ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا».

هكذا يدعو له النبي ﷺ لأنه يعلقه بربه سبحانه وتعالى، وبالشوق إلى لقاء الله.
 قال المُنَاوِي رحمه الله: قوله: (فحبب إليه لقاءك) أي الموت ليلقاك (وسهل عليه قضاءك) فيتلقاه بقلب سليم وصدر منشرح (وأقلل له من الدنيا) أي من زهرتها وزينتها ليتجافى عن دار الغرور ويميل إلى دار الخلود. انتهى كلامه رحمه الله.
 فأياها الناس، عباد الله، إذا بسط الله عز وجل عليكم الدنيا، أحبوا لقاء الله، ولا ترغبوا في الدنيا ولا تركوا إليها، فإنما يحب لقاء الله من كان قليل المتاع؛ وأما من تكثر من هذه الدنيا وتعلق بها وركن إليه كيف يشاق للقاء الله عز وجل؟

فالركون إلى الدنيا والرضا بها ليس من شأن المؤمن إنما هو من شأن الكافر الذي قال عنه ربنا **سبحانه وتعالى**: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايِنِنَا غَفْلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة يونس: ٧-٨].

ألا ولتعلموا وفقني الله وإياكم أن أعظم الناس خسراناً هو الذي يكذب بلقاء الله عز وجل، قال الله **سبحانه وتعالى**: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرُنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ؕ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الأنعام: ٣١].

وقال **سبحانه**: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة يونس: ٤٥].

ليس من الضروري أن تكون مكذباً بلساناً المقال، بل قد تكون مكذباً بلسان الحال، كثير من الناس يكذبون بلقاء الله بتركهم لعبادة الله، وبعدهم عن العمل بما يرضي الله، وبمحاربة الدين ومعادة أولياء الله الصادقين من أهل السنة والدعاة إلى الله عز وجل، فهذا تكذيب بلسان الحال.

فإنك لترى من ابتعد عن الله عز وجل ولم يعمل الصالحات، ويظن أن الله يحبه وأنه سينجو من عذاب الله حتى ولو كان على غير ما أمره الله، وهذا إنما هو من تسويل الشيطان، فإنه يعد أولياءه بأنهم ناجون من غضب الله ومن سخطه ولو لم

يعمل الصالحات ولو كان عاصياً لربه، قال سبحانه عن مكر إبليس وكيدِه بكثيرٍ من الخلق: ﴿يَعِدُّهُمْ وَيُمَتِّعُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة النساء: ١٢٠]. وقال سبحانه: ﴿وَأَسْتَفْزِرُ مِنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الإسراء: ٦٤].

إنَّما يشْتَاق العبد للقاء الله سبحانه إذا كان عاملاً بالطاعات والقربات، ومسارعاً للخيرات، جاء عند البخاري من حديث أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ".

هذا هو العبد الصالح، هذا المشتاق للقاء الله سبحانه وتعالى، أعماله تدفع به للقاء الله وللشوق للقاء الله، وذاك المفسد وذاك المسرف على نفسه بالمعاصي، ذاك المبتعد عن رضوان الله وعن الطاعات وعن القربات، كيف يحب لقاء الله ولا أعمال له؟ لا قربات له! ولا طاعات يلقي بها الله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه:

﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت: ٥٣-٥٤].

فالذي هو في شكٍّ من لقاء الله لا يجب ولا يشْتَاق للقاء الله سبحانه وتعالى، وإنَّما المشتاق هو من أحبَّ الله وأحبه الله، فإنَّه يكون مشتاقاً لله ولللقاء الله وينتظر الموت

الذي يحل به عليه لأنّه قد استعد بالأعمال الصالحة التي يفرح بها حين يلقي ربه عز وجلّ.

فيا معاشر المسلمين عليكم بالعمل بما أمركم الله سبحانه وتعالى به، ولا تتركوا الفرائض ولا تتركوا الصلاة، ولا تهجروا بيوت الله، واعملوا الأعمال الصالحة التي تقربكم من الله سبحانه وتعالى، وابتعدوا عما يغضب الله سبحانه وتعالى يجب لكم لقاءه ويجعل في قلوبكم الشوق للقاءه سبحانه وتعالى، حتى إذا جاءك الموت وأنت على تلك الحال أحبيت بلقاء ربك، فيحبّ الله عز وجل لقاءك.

أسأل الله بمرضه وكرمه أن يوفقنا إلى طاعته، ونسأله لذة النظر إلى وجهه الكريم والشوق إلى لقاءه في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، والحمد لله ربّ العالمين.

من هدي القرآن للتي هي أقوم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد عباد الله فيقول ربنا جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [سورة الإسراء: ٩].

في هذه الآية العظيمة يمدح تعالى كتابه العزيز الذي أنزله على رسوله محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو القرآن، بأنه يهدي لأقوم الطرق، وأوضح السبل، وللطريق التي هي أعدل والتي يكون فيها النور، والتي تنير للناس طريقهم وسيرهم إلى ربهم سُبْحَانَهُ وتعالى.

ولو تتبع العبد المسلم في كتاب ربنا **سبحانه وتعالى**، وفي هذا القرآن العظيم وما جعله الله **سبحانه وتعالى** لهذه الأمة ولهُؤَلاءِ الناس من الأمور التي تهدي للتي هي أقوم لاحتاج أن يكون ذلك في مجلدٍ كبير، ولا يتسع هذا المقام لذكر غالبها وإنما أردنا ثلاثة أمورٍ مما هدى به القرآن للتي هي أقوم، وهي من المشاكل والمعضلات التي تعترض أمة الإسلام.

فهذا القرآن قد حل مشاكل كثيرة سواء كانت هذه المشاكل على مستوى الفرد، أو على مستوى الأسرة أو على مستوى الجار بجاره، أو على مستوى القرية، بل وعلى مستوى الأمة الإسلامية، وعلى مستوى العالم أجمع، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾، فمشاكل الناس وما يصادفهم في الحياة الدنيا من الأزمات يجدون حلّها في كتاب ربنا، تارةً بذكرها أو الإشارة إليها أو بالدلالة إلى اتباع ما يخرجهم منها.

وإنّ من أعظم المشاكل التي يقف الناس عندها مدهوشين، مذهولين حائرين لا يجدون لها حلاً في حدّ زعمهم، هو ما يصيب هذه الأمة الإسلامية، من الضعف العظيم ومن هذا الخور الذي أصاب المسلمين، فيقف الناس أمامها حائرين، يرونها مشكلةً عظيمةً لا يجدون حلاً لها.

ولو رجع المسلمون إلى كتاب ربهم **سبحانه وتعالى**، لعلموا أن الله **سبحانه وتعالى** قد ذكر في كتابه المشكلة، وذكر **سبحانه وتعالى** الحل لها، كل هذا لتعلموا هدي القرآن للتي هي أقوم، ولتعلموا يا معاشر المسلمين أنّ هذه المشاكل التي تمر

بها الأمة الإسلامية، إنها رأسها ثلاثة مشاكل، إذا علمها الناس وعرفوا حلها خرجوا بإذن الله - عز وجل - من هذه المشاكل المتكاثرة التي تعصف بالأمة الإسلامية.

أول هذه المشاكل التي يستعظمها الناس، ألا وهي ضعف المسلمين، ما الذي جعل المسلمين ضعافاً؟ ما الذي جعلهم خائرين؟ لا يقدرّون على عدوهم، ولا يقدرّون أن يردوا كيد أعدائهم ولا أن يقفوا ضد أعدائهم من اليهود والنصارى والمجوس والمشرّكين.

وقد توهّم كثير من المسلمين أن الضعف الحاصل إنما هو بسبب قلة عِدّة المسلمين، وفي قلة عتادهم عددهم، وفي قوة إمكانيات الأعداء وما عندهم من العدة والعتاد التي لا طاقة للمسلمين بمثلها.

هذا واقعٌ في كثير من الناس، فكلما أخبرته عن واقع الناس وعن واقع الأمة الإسلامية، قال عددنا قليل وعتادنا قليل وليس لنا تلك العدة، التي تُنصر بها.

وهذا مفهوم خاطئ، فإننا لو نظرنا في واقع المسلمين لوجدنا عددهم كثير، وليست المشكلة في كثرة ولا قلة، فقد مرّت بالمسلمين أزمنة كانوا أقلّ من عددنا اليوم وكانوا في عزّة وكان الأعداء يهابونهم ويخافونهم على قلتهم، قال الله سبحانه

وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَانْتُمُ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١١٣)

قال العلامة ابن كثير عليه رحمة الله: أي: يوم بدر، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك وخرب محله، هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً فيهم فرسان وسبعون بعيراً، والباقيون مُشاة، ليس معهم من العدّد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ ما بين

التسعمائة إلى الألف في سوابغ الحديد والبيض، والعدة الكاملة والخيول المسومة والجلي الزائد، فأعز الله رسوله، وأظهر وحيه وتنزيله، وبَيَّضَ وَجْهَ النبي وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله ولهذا قال تعالى -مُتَمِّنًا عَلَى عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَحِزْبِهِ الْمُتَقِينَ:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليل عددكم؛ ليعلموا أن النصر إنما هو من عند الله، لا بكثرة العدد والعدد؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾. انتهى كلامه وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّكَ اللَّهُ

مُتَّبِعِيكُمْ بِهَكَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا اللَّهَ كَمِ مِّنْ فَتَكَةٍ فَلَئِلَىٰ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٢٤٩].

فليس الأمر بالعدد كما يظن الناس، ولا هو بالعدة، لأن الله - سبحانه وتعالى - أمر عباده بأن يعدوا لعدوهم ما استطاعوا، لا أن تكون عدتهم وعتادهم يوافق ما عند الكفار، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

فقال: ما استطعتم من قوة، فأمر الله - عز وجل - أن يفعل المسلمون جهدهم وطاقاتهم في تجهيز العتاد ولو قلَّ عما عند الكفار، سواء من الآليات أو من الدبابات أو مما سوى ذلك مما يستطيع المسلمون الحصول عليه، يأخذونه ثم ليعلموا أن النصر ليس بما عندهم من العدة والعتاد والرجال، فبأي شيء إذا؟

اسمع إلى قول ربنا في كتابه الذي يوضح هذا ويبينه ويهدي فيه للتي هي أقوم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [سورة التوبة: ٢٥].

وإنما أعجب من أعجب من المسلمين بكثرتهم لأنهم كانوا اثني عشر ألفاً. وقيل: أحد عشر ألفاً، وقيل: ستة عشر ألفاً. فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فوكلوا إلى هذه الكلمة، فلم تغن الكثرة شيئاً عنهم، بل انهزموا وثبت رسول الله ﷺ، وثبت معه طائفة يسيرة، منهم: عمه العباس وأبو سفيان بن الحارث، ثم تراجع المسلمون، فكان النصر والظفر.

قال ابن جرير في تفسيره: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ الآية: سببها أن رجلاً من أصحاب رسول الله - ﷺ - يوم حنين قال: يا رسول الله، لن نغلب اليوم من قلة! وأعجبته كثرة الناس، وكانوا اثني عشر ألفاً، فسار رسول الله - ﷺ -، فوكلوا إلى كلمة الرجل، فانهزموا عن رسول الله، غير العباس، وأبي سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، قتل يومئذ بين يديه. فنادى

رسول الله ﷺ: أين الأنصار؟ أين الذين بايعوا تحت الشجرة؟ فتراجع الناس،
فأنزل الله الملائكة بالنصر، فهزموا المشركين يومئذٍ، وذلك قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ
سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ ٢٦. انتهى كلامه

إذا هذه مشكلة عظيمة، وهي الضعف! لكن أين حلها؟

**ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه، ولناخذ أمثلة في علاج هذا الضعف الذي
يصيب المسلمين.**

ومنه ما أصاب الناس يوماً اجتمع فيه المشركون بقضهم وقضيضهم، من
الأحزاب والإعراب والقبائل الشديدة، وحاصروا المدينة حصاراً شديداً وأطبقوا
عليها حصاراً غاشماً، وأعدوا لهم عتاداً عظيماً، وكانوا يريدون أن يستأصلوا رسول
الله - ﷺ - وأصحابه عليهم رضوان الله من المدينة أجمعين ثم عاونهم المنافقون
من الداخل واليهود كذلك من الداخل، فيا - سبحانه الله - على هذا الحشد العظيم
وعلى هذا التحزب العظيم الذي جمعه رسول الله ﷺ، هل ضعف النبي - ﷺ -
؟ هل ضعف أصحاب رسول الله عليهم رضوان الله؟

أبداً والله، بل عاجلوا هذا الضعف، بما هداهم الله سبحانه وتعالى إليه في كتابه،
اسمع لهذه الأدلة العظيمة التي بينها الله في كتابه فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ٩١. إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصارُ

وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ [سورة الأحزاب: ٩-١٥].

قال ابن كثير في تفسيره: قال الحسن في قوله: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾: ظنون مختلفة، ظن المنافقون أنَّ محمدًا وأصحابه يستأصلون، وأيقن المؤمنون أنَّ ما وعد الله ورسوله حق، وأنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون. انتهى كلامه فانظروا كيف عالج هؤلاء المؤمنون هذا الأمر العظيم وهذا النقص الحاصل في العدد والعتاد، قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

هذا علاج هذه المشكلة، ألا وهي مشكلة القلة في العدد والعتاد، يكون بالإيمان بالله والتسليم لوعده الله، والثقة بنصر الله، والتوكل على الله.

هذا من أعظم ما يدفع به المسلمون ضعفهم، فإنه لما رأى المؤمنون الأحزاب ما خاروا، ولا ضعفوا ولا استكانوا، وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا، قال الله - عز وجل - : ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣].

فإذا كانت نتيجة هذا التسليم؟ ونتيجة هذا الإيمان ونتيجة هذه الثقة بالله عز وجل، ونتيجة هذا التوكل على الله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه: ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾.

النصر يا عباد الله ما هو بالعدد ولا بالعتاد، وما النصر إلا من عند الله وحده

قال ربنا **سبحانه وتعالى** عن إمداد المسلمين بالملائكة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ

وَلِنُظْمِيقِ قُلُوبِكُمْ بِهِ ۖ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦].

وقال **سبحانه**: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ١٠].

فإذا علم الله صدقنا وتوكلنا عليه وثقتنا به واستقامتنا على جينه نصرنا ربنا

سبحانه وتعالى فإن هذه من أعظم عوامل نزول النصر من عند الله.

فلما علم الله - **سبحانه وتعالى** - صدق المؤمنين في غزوة الأحزاب جعل لهم من

الأمور العظيمة التي امتن بها عليهم فقال **سبحانه**: ﴿إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ

رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فهذه المنّة الأولى التي امتن بها عليهم والنعمة التي أنعم بها

عليهم، وقال **سبحانه**: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ

الْقِتَالَ وَكَاتَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ وهذه الثانية، ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ

الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ وهذه الثالثة ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ وهذه الرابعة

﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ وهذه الخامسة ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ

وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطْعُوهَا وَكَاتَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ وهذه السادسة، ثم قال

﴿وَكَاتَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ [٢٧]

فيا سبحان الله كيف تفعل الاستقامة على دين الله بأهلها وكيف تجلب لهم النصر من عند الله سبحانه.

وانظروا إلى مشهد آخر ألا وهو يوم الحديبية فقد خرج الصحابة يوم الحديبية مع النبي عليه الصلاة والسلام وهم ألف وأربعمائة، فأرسل النبي عليه الصلاة والسلام عثمان بن عفان عليه رضوان الله إلى أهل مكة يفاوضهم على الدخول إليها، على أنهم يعتمرون في تلك السنة، فأخّره المشركون أيّامًا يتفاوضون معه فأشيع الخبر أن عثمان عليه رضوان الله قد قتل، فجمع النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه، تحت الشجرة وبايعوه عليهم رضوان الله على الموت وبايعوه عليهم رضوان الله على عدم الفرار وعلي الثبات علم الله - عز وجل - صدقهم إيمانهم توكلهم ثقتهم بالله - عز وجل - فأنزل الله - سبحانه وتعالى -: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ١٨].

فأنزل الله سبحانه وتعالى السكينة عليهم وبشرهم الله - عز وجل - بمغانم كثيرة وما فتحوا ولا دخلوا ولا قاتلوا لكن بمجرد أن سلموا وآمنوا بشرهم الله - عز وجل - بذلك كله قال سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٠-٢٢].

وعدهم الله مغنم كثيرة يأخذونها فعجل هذه لهم، يا- سبحان الله-! ثم قال بعدها ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾، يعني بذلك خير، ما كان الصحابة يفكرون فيها ولا كانوا يفكرون في فتحها ولا كانوا سيقدرون عليها لكن لما كانوا مؤمنين واثقين متوكلين على الله سبحانه وتعالى وفقهم لها فقال سبحانه ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ مكنهم الله- عز وجل - منها.

فالثقة بالله والتوكل على الله والإيمان به سبحانه وتعالى يحل مشكلة الضعف، الذي أصاب المسلمين.

ولنا مشهد ثالث، في يوم القادسية، إذ يبعث عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، سعد بن أبي وقاص، على جيش قوامه، أربعون ألف، أربعون ألفا للقاء الفرس وكان عددهم مائة وعشرين ألفاً، يا سبحان الله، الفرس أعدادهم أضعافا مضاعفة من المسلمين ومن المؤمنين، حتى إذا نزل سعد بن أبي وقاص في القادسية أرسل إليه عمر بن الخطاب عليه رضوان الله أن ابعث لنا من خبرك وما حصل، فبعث إليه سعد وكتب له بكتاب وقال له فيه، وأنا والله لنأزلي في هذا المكان ننتظر وعد ربنا سبحانه وتعالى، إذ قد أخبرنا الله- عز وجل - في كتابه أن ملاقي أعداء الله: ﴿سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ يَقْتُلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، وإنا والله لمنتظرون وعد ربنا.

ينتظرون الوعد من الله بلقاء الأعداء، وهم بمئات الآلاف ما خافوا ولا فزعوا ولا رهبوا، فأرسل إليهم بن الخطاب عليه رضوان الله أن قد جاءني كتابك فأرسل لي من على رأسهم ومن يقودهم فأرسل إليه سعد بن أبي وقاص بكتاب وقال له فيه

لقد حشد هؤلاء حشداً وجاء على رأسهم عظيم من عظمائهم يقال له رستم وقد أخذ معه العدة والخيول والفيول والعتاد والقوة فيما يرى الناس، أي هذا في ظاهر الناس لا كما هو الواقع هذه ليست القوة، فيما يرى الناس ولا حول ولا قوة إلا بالله، انظر إلى تمسك بالله عز وجل، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فأرسل إليه عمر عليه رضوان الله: إنه قد جاءني كتابكم تَسْتَمِدُّونَنِي وإني أدلكم على من هو أعز نصراً، وأحصن جنداً: الله عز وجل، فاستنصروه، فإن محمداً ﷺ قد نُصر يوم بدر في أقل من عدتكم، فإذا جاءكم كتابي فقاتلوهم ولا تراجعوني، فقاتلهم سعد عليه رضوان الله بمن معه من المسلمين فهزموهم بإذن الله وفتح الله عز وجل عليهم فتحاً عظيماً.

الثقة بوعده الله يا عباد الله تحل هذه المشكلة العظيمة التي أصابت المسلمين وهي أعظم مشكلة، نعاني منها كثيراً الآن الناس تجمعوا علينا، كفار يتجمعون علينا من اليهود والنصارى، ومن عباد الصليب ومن عباد النيران ومن غيرهم، ومن الداخل يعاضدهم ويعاونهم أولئك المنافقون من الروافض ومن والاهم، فما لنا إلا أن نثق بوعده الله، إياك أن يصيبك الخور إياك أن تضعف، وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله ربي وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثير أما بعد:

المشكلة الثانية التي دائما ما تحز في نفوس المسلمين ودائما ما تجدها في مجالس الناس، وفي مجتمعاتهم يقولون أولسنا مسلمين؟ أولسنا مؤمنين؟ فلماذا تكون الدولة للكفار علينا؟ لماذا ينتصر أعداء الله عز وجل علينا؟ لماذا يستيحيون ييظتنا، وكيف يقدرون علينا؟ أولسنا على الحق؟ أوليسوا على الباطل؟ أولسنا مؤمنين؟ أوليسوا كافرين؟

كل هذه الأسئلة قد أوردها الله سبحانه وتعالى في كتابه، وذكر السبب في ذلك والهداية للخروج مما يصيب المسلمين من تسلط الكافرين عليهم.

وانظروا المشهد العظيم وهو يوم أحد، يوم أن خرج النبي عليه الصلاة والسلام للقاء المشركين ثبت من حديث البراء عند البخاري عن البراء رضي الله عنه، قال: لَقِينَا الْمُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنَ الرُّمَّةِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ عَبْدُ اللَّهِ، وَقَالَ: «لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الْجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سَوْقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلَاخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الْغَنِيمَةُ الْغَنِيمَةُ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهْدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأَصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا.

وفي رواية النسائي قال البراء: «اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الرِّمَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا وَقَالَ لَهُمْ: «كُونُوا مَكَانَكُمْ لَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمْ الطَّيْرَ تَخْطِفُنَا» قَالَ الْبَرَاءُ: «أَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ بِأَدْيَاتٍ خَلَاخِيلَهُنَّ قَدْ اسْتَرَحَتْ ثِيَابَهُنَّ يَصْعَدْنَ الْجَبَلَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا كَانَ مَضَوْا» فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ أَمِيرُهُمْ: «كَيْفَ تَصْنَعُونَ؟ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَمَضَوْا، فَكَانَ الَّذِي كَانَ». فوعدهم الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** أنه سينصرهم، وأنه - **سبحانه وتعالى** - سيثبتهم، وأن الله - عز وجل - سينزل عليهم الملائكة تقاتل معهم: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾.

فلما حصل ما حصل من الرماة حصل الغلبة للمشركين بعد أن كان المسلمون قد ظفروا بهم، فابتلاهم الله بما ابتلاهم به فقتل عم رسول الله ﷺ وابن عمته، ومثل بهما، وقتل غيرهما من المهاجرين، وقتل سبعون رجلاً من الأنصار، وجرح **صلى الله عليه وسلم**، وشقت شفته، وكسرت ربايعيته.

استشكل المسلمون ذلك وقالوا: كيف يدال منا المشركون؟ ونحن على الحق وهم على الباطل؟ فأنزل الله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَبْتُمْ مُصِيبَةً قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَهَا قُلْنِ أَيْ هَذَا أَقْلٌ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٥﴾﴾.

فهذا الذي يقوله كثير من المسلمين هذه الأيام، ما بال الكفار غلبونا؟ ولماذا حصلت هذه المصائب فينا؟ أكل هذا يصيبنا؟ ونحن على الحق، أكل هذا ينزل بنا ونحن مؤمنون ونحن مسلمون، لماذا هذا؟

الجواب: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾

وقد بين ربنا سبحانه وتعالى هذا السبب الذي هو من عند أنفسنا، فقال سبحانه مصوراً مشاهد النصر يوم أحد ثم ما حصل من أولئك الرماة: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ مِنَ الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أَمَرَكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَكُونُ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَبِكُمْ فَأَتْبَبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلًا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٥٠-١٥٥].

أولم يكن قد أراهم ربنا سبحانه وتعالى لكن لما عصى أولئك الرماة رسول الله

ﷺ، وخالفوا أمر رسول الله ﷺ، وتنازعوا حصل ما حصل بعد ذلك.

ألا فلتعلموا يا عباد الله أن التنازع يؤدي إلى الفشل، فلا تدري إلا وقد تسلط علينا الكفار بسبب ذنوبنا، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٦].

قال العلامة الشنقيطي في أضواء البيان: قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ

رِيحُكُمْ﴾ الآية، نهى الله جل وعلا المؤمنين في هذه الآية الكريمة عن التنازع، مبيناً أنه سبب الفشل، وذهاب القوة، ونهى عن الفرقة أيضاً في مواضع أخرى، كقوله:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ونحوها من الآيات، وقوله في هذه الآية:

﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: قوتكم. انتهى كلامه

وكم تنازع المسلمون في أيامنا هذه، وكم تفرقوا أحزابًا وطوائف، وتفرقت قلوبهم، فتحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى إلا ما رحم الله سبحانه وتعالى، كل ذلك بم؟ كل ذلك بسبب الاختلاف والتنازع في الأمر ومعصية رسول الله ﷺ.

فإن كانت معصية واحدة لأمر النبي ﷺ يوم أحد حصل ما حصل بسببها لأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام؛ وانظر على أمورٍ عظيمة حصلت لجيش المسلمين، يُقتل عم رسول الله وابن عم رسول الله وسبعون من الصحابة، وتكسر رباعية رسول ﷺ، ويُشجُّ رأسه كل ذلك بمخالفة واحدة.

تعالوا وانظروا يا معاشر المسلمين ما أكثر المخالفات التي كثير من المسلمين واقعون فيها، وكم من أمرٍ لرسوله ﷺ عصوه، ثم نقول ما للكفار يتسلطون علينا، ما للكفار يذلوننا، ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، هذا والله حل لمشكلة تسلط الكفار علينا، فإذا أردنا أن يذهب هذا الذل الذي أصاب المسلمين، وأن يخافنا العدو ويرهبنا علينا أن نعتصم بالسنة، وأن نتمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ على فهم السلف الصالح الذين هم خير القرون، قال الله سبحانه: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ بهذا أمرنا ربنا - سبحانه وتعالى - أن نتمسك بكتابه وبحبله لا نتفرق جماعات وطوائف، وأن لا نتنازع حتى لا يصيبنا الفشل.

فإنَّ أعداءنا من اليهود والنصارى ما أدخلوا الحزبية إلى بلاد المسلمين إلا لتفريق المسلمين عن الطريق القويم، ولكي تذهب ريحهم، وتشتت جهودهم وليحصل التنازع بينهم فيقودهم إلى التناحر فيما بينهم، وقد حصل لهم ما أرادوا، إلا أهل السنة فإنهم صابرون على هذا الطريق متمسكون بالكتاب والسنة ويقتدون أثر سلفهم الصالح ولو خالفهم من خالفهم فكانوا في عزة وإن قُلُوا.

فما يؤتى المسلمون إلا من قبل أنفسهم، أما الله - سبحانه وتعالى - فوعده حق، ولقاؤه حق، وإذا وعد - سبحانه وتعالى - لا يخلف الميعاد سبحانه وتعالى، فقد قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٧].

وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ [سورة الحج: ٤٠]. ومن أعظم المشاكل التي يتعجب منها المسلمون ويتعجبون منها، ألا وهي اختلاف القلوب.

فيقول كثير من الناس: ما بال قلوبنا اختلفت؟ لماذا هذا الاختلاف بالقلوب؟ ونحن مسلمون ربنا واحد وكتابنا واحد ونبينا واحد، فلم الاختلاف؟

كل ذلك يا عباد الله، بسبب أننا لا نعقل، والعقل هو الفهم الصحيح والذي يقود إليه هو العلم الشرعي من كتاب الله ومن سنة نبيه ﷺ، هذا الذي يجعل الله به لنا فرقاً نفرّق به بين الحق والباطل، فلما ابتعد كثير من الناس عن العلم؛ لم يتبصروا بأمر دينهم، قال الله سبحانه وتعالى عن معاشر اليهود: ﴿جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ ما السبب في ذلك قال الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [١٤]، فعدم العقل

يجعلك لا ترى الحقائق فلا تعرف الحق من الباطل ولا المحق من المبطل ولا الظلام من النور ولا الصحيح من الفاسد ولا ما يضرك مما ينفعك.

ولهذا قال الله سبحانه عن معاشر الكفار بعد دخولهم النار ماذا يقولون، قال

سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (سورة الملك: ١٠).

قال العلامة ابن كثير عند تفسير هذه الآية: أي: لو كانت لنا عقول نتفهم بها أو

نسمع ما أنزله الله من الحق، لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به،

ولكن لم يكن لنا فهم نعي به ما جاءت به الرسل، ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى

اتباعهم، قال الله تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١١). انتهى كلامه

وهدي القرآن إلى علاج هذا الداء هو في قول ربنا **سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا**

إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَنُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ

مِّنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (سورة الشورى: ٥٢).

يا عباد الله ليس من كان على نور وعلى بصيرة في قلبه، وعلى ثقة بوعده، كمن

هو أعمى، قال الله سبحانه: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَن هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَنْذَرُكَ

أَوَّلُوا إِلَّا بَلْبٌ﴾ (سورة الرعد: ١٩).

ما يستوي هذا وذاك والله، هذا على نور وعلي هدى وذاك على عمى يتخبط في

الظلمات، ما يدري أين يسير، فعلينا بهذا النور الذي من استنار به اتضحت له

الحقائق، كتاب ربنا، وسنة نبينا عليه والسلام الذي، أمرنا الله - عز وجل -

بالتمسك بها، ﴿وَمَآءِ انْتُمْ الرُّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾

هذه وقفة مع هذه المعضلات التي يعاني منها المسلمون؛ والتي علاجها في كتاب ربنا سبحانه وتعالى، لتعلموا هدي القرآن للتي هي أقوم.

العلاج من أمراض الأمة في كتاب ربنا وفي سنة نبينا ﷺ اللذين لا يختلفان، بل شأنهما واحد، كتاب وسنة على فهم سلف الأمة، فلا نذهب نبحت حل لمشاكلنا لا عند الأمم المتحدة ولا عند الدولة الفلانية، ولا عند الكونجرس ولا من أمريكا ولا من روسيا ولا من أعداء الله.

علاجنا في كتاب ربنا، فإن عاجلنا مشاكلنا ورجعنا إلى الله تعالى نصرنا
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ (٧).

وإن أعرضنا أتى الله بقوم آخرين ولن يكونوا أمثالنا، قال ربنا سبحانه وتعالى:

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ﴾ (٣٨) [سورة محمد: ٣٨].

اسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا لطاعته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

بعض الأمور التي توقع العداوة والبغضاء بين الناس

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَالِ الْأَرْحَامِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد عباد الله، اعلموا وفقني الله وإياكم أن حياة الناس لا تستقيم إلا بطاعة الله - سبحانه وتعالى - ولا يفلح العبد إلا إذا أطاع ربه جل وعلا، وإنَّ مما يزيد الناس استقامةً على طاعة الله عز وجل هو الائتلاف والاجتماع على رضا الله - سبحانه وتعالى -، وعلى ما يحبه الله جل وعلا ويرضاه، ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى عباده بالاجتماع ونهاهم عن الفرقة والضياع، كل ذلك من أجل أن تستقيم أحوالهم في الحياة الدنيا، ومن أجل أن تستقيم أمورهم في هذه الدنيا، لهذا يقول الله عز وجل

في كتابه الكريم: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

ولهذا أمتن الله عز وجل على أصحاب رسول الله ﷺ، بعد أن كانت بينهم العداوة والبغضاء، ألَّف الله عز وجل بين قلوبهم، هذا من نعمة الله ومِثَّتِه **سبحانه وتعالى** عليهم، وعلى نبيه عليه الصلاة والسلام، وقد أخبر الله **سبحانه وتعالى** أن هذا الائتلاف وهذا الاجتماع لو أنفق النبي -عليه الصلاة والسلام- ما في الأرض جميعاً ما ألَّف بين قلوبهم ولكن الله **سبحانه وتعالى** ألَّف بينهم، كل ذلك من رحمة الله عز وجل بالناس، ولهذا يقول ربنا جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) **إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** [سورة هود: ١١٨-١١٩].

قال العلامة السعدي رحمه الله: يخبر تعالى أنه لو شاء لجعل الناس كلهم أمة واحدة على الدين الإسلامي، فإنَّ مشيئته غير قاصرة، ولا يمتنع عليه شيء، ولكنه اقتضت حكمته، أن لا يزالوا مختلفين، مخالفين للصراط المستقيم، متبعين للسبل الموصلة إلى النار، كل يرى الحق، فيما قاله، والضلال في قول غيره.

﴿إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ﴾ فهداهم إلى العلم بالحق والعمل به، والاتفاق عليه، فهو لاء سبقت لهم، سابقة السعادة، وتداركتهم العناية الربانية والتوفيق الإلهي. وأما من عداهم، فهم مخذولون موكولون إلى أنفسهم.

وقوله: ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي: اقتضت حكمته، أنه خلقهم، ليكون منهم السعداء والأشقياء، والمتفوقون والمختلفون، والفريق الذين هدى الله، والفريق الذين حقت عليهم الضلالة، ليتبين للعباد، عدله وحكمته، وليظهر ما كمن في الطباع البشرية من الخير والشر، ولتقوم سوق الجهاد والعبادات التي لا تتم ولا تستقيم إلا بالامتحان والابتلاء. انتهى كلامه

فلا يزال الاختلاف حاصلاً في الناس إلا الذين رحمهم الله سبحانه وتعالى لا يختلفون، ولا يتباغضون ولا يتعادون، ولا يتشاحنون، بل يتآلفون ويتعاطفون ويتراحمون، كل هذا من نعمة الله سبحانه وتعالى على عباده، ولهذا ما عكّر صفو هذه الدنيا ولا صفو الناس إلا أنهم تشاحنوا وتباغضوا وتعادوا فيما بينهم، هذا كله مما زاد هذه الدنيا نقمة عليهم، ومما جعلهم يعيشون في هذه الحياة الدنيا لا يستريحون فيها، ولا يطمئنون بها، وما ذاك إلا بسبب هذه الأمور التي استوطنت قلوبهم فعكّرت صفو معاشهم وجعلتهم في ضنك من العيش.

لهذا كان لا بد لنا أن نقف مع بعض الأمور التي توقع العداوة والبغضاء بين الناس، لا بد من ذلك حتى يحذرها الناس وحتى يتجنبها الناس، ويتعدوا عن هذه الأمور التي توقع بينهم العداوة والبغضاء.

ومن أعظم هذه الأمور التي توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتزداد به الشحنة ألا وهو الشرك بالله عز وجل، والابتعاد عن توحيد الله سبحانه وتعالى، لأنَّ الشرك يفرق الناس، الشرك يا عباد الله يفرق الناس، والتوحيد يجمع الناس

ويجعلهم على قلب رجل واحد، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ [سورة الممتحنة: ٤].

قال العلامة ابن كثير: يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: وأتباعه الذين آمنوا معه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ﴾ أي: تبرأنا منكم ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي: بدينكم وطريقكم، ﴿وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا﴾ يعني: وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم، ما دمتم على كفركم فنحن أبداً نتبرأ منكم ونبغضكم ﴿حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ أي: إلى أن توحّدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له، وتخلعوا ما تعبدون معه من الأنداد والأوثان. اهـ

لا يجوز لإنسان يؤمن بالله عز وجل واليوم الآخر أن يولي وأن يحب ذلك المشرك بالله عز وجل، لا يجوز له أن يحبه، ولا يجوز له أن يجالسه، ولا يجوز له أن يسير على ما يسير عليه من مخالفة لدين الله وشرك بالله عز وجل، حتى يتركوا ما عليه من الكفر والشرك.

فإذا آمنوا بالله عز وجل، اجتمعت القلوب وتآلفت الأرواح على طاعة الله سبحانه وتعالى، وابتعدت الشحناء وابتعدت البغضاء، وابتعدت العداوة، لأن الشيطان يزرع تلك العداوة بالشرك بالله، فلهذا ترى أكثر الناس عداوة للمؤمنين

أكثرهم شركاً بالله وكفرًا بالله عز وجل، قال ربنا **سبحانه وتعالى**: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ
النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصٌ وَرَهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (سورة المائدة: ٨٢).

وهكذا ينبغي أن تكون عداوة المؤمنين لهؤلاء الكفار ييغضونهم لله ولأجل الله
عز وجل، قال ربنا **سبحانه**: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ
حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ
كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة المجادلة: ٢٢).

فلا يجوز لمن كان يؤمن بالله الآخر أن يكون في قلبه مثقال ذرة من حب، مثل
هؤلاء المشركين، قال **سبحانه وتعالى**: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى
أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥١)
فإذا أراد الناس أن يبتعدوا عن العداوة والبغضاء لا بد لهم أن يتركوا الشرك بالله
عز وجل، كبيره وصغيره، عظيمه وحقيقه، فالقلوب لا تأتلف إلا على توحيد رب
العالمين، فالمؤمنون يحبُّ بعضهم بعضًا ويوالي بعضهم بعضًا، قال الله **سبحانه**
وتعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [سورة التوبة: ٧١].

وما يوقع بين الناس العداوة والبغضاء ألا وهو عدم العمل بأوامر الله عز وجل
وعدم الانتهاء عما نهى الله سبحانه وتعالى عنه، والانغماس في المعاصي وارتكاب الذنوب.

فكل ذلك مما يوقع بين الناس العداوة والبغضاء، قال الله عز وجل عن معاشر الكفار: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيْكَ أَخَذْنَا مِنْهُمُ مِّثْقَهُمْ فَتَنَّاوْا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [سورة المائدة: ١٤].

نسوا ما أمر الله، نسوا أوامر الله، اقتحموا ما نهى الله عز وجل عنه، فأغرى الله عز وجل وأوقع الله سبحانه وتعالى بينهم العداوة والبغضاء، كل ذلك لأنهم لم يعملوا بما أمرهم الله سبحانه وتعالى، ولم ينتهوا عن نواهي الله عز وجل.

الذنوب يا عباد الله سبب لوقوع البغضاء بين الناس، وأعظمها الأهواء والمخالفات لدين الله والحزبيات التي طغت على مجتمعات المسلمين فقل أن تجدهم يجتمعون على كلمة بل هم مختلفون فيما بينهم اختلافاً كبيراً.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى: فَمَنْ دَفَعَ نُصُوصًا يَحْتَجُّ بِهَا غَيْرُهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِهَا بَلْ آمَنَ بِمَا يَحْتَجُّ صَارَ مَنْ يُؤْمِنُ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَيَكْفُرُ بِبَعْضٍ. وَهَذَا حَالُ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ هُمْ مُخْتَلِفُونَ فِي الْكِتَابِ مُخَالِفُونَ لِلْكِتَابِ مُتَّفِقُونَ عَلَى مُخَالَفَةِ الْكِتَابِ وَقَدْ

تَرَكُوا كُلَّهُمْ بَعْضُ النُّصُوصِ وَهُوَ مَا يَجْمَعُ تِلْكَ الْأَقْوَالَ فَصَارُوا كَمَا قَالَ عَنْ أَهْلِ
 الْكِتَابِ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَتْنِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا
 ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾. فَإِذَا تَرَكَ النَّاسُ
 بَعْضَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَقَعَتْ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ إِذْ لَمْ يَبْقَ هُنَا حَقٌّ جَامِعٌ يَشْتَرِكُونَ
 فِيهِ؛ بَلْ ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. انتهى كلامه
 رحمه الله.

بل إنك تجد من عصى الله - سبحانه وتعالى - فإن الله يجعل في قلوب الناس بغضًا
 له على قدر معصيته، روى الإمام مسلم في صحيحه عن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ
 اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ:
 فَيَحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيَحِبُّهُ أَهْلُ
 السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقُبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي
 أَبْغَضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا
 فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ"

قال المناوي في فيض القدير: أي فيبغضه أهل الأرض جميعا فلا تميل إليه قلوبهم
 بل تميل عنه وينظرون إليه بعين النقص والإزراء وتسقط مهابته من النفوس وإعزازه
 من الصدور من غير صدور إيذاء منه لهم ولا جنائية عليهم. انتهى كلامه رحمه الله.
 وكل ذلك إنما سببه الوحشة التي وقعت بين العاصي وبين ربه، وبسبب الذنوب
 ترداد وحشته من الناس، ولا سيما أهل الخير منهم؛ فإنه يجد وحشة بينه وبينهم،

وكلّما قويت تلك الوحشة بُعد منهم ومن مجالستهم، وحُرم بركة الانتفاع بهم، وقرب من حزب الشيطان، بقدر ما بُعد من حزب الرحمن، وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه، وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشاً بنفسه، **قال بعض السلف: (إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي).**

وسرّ المسألة أن الطاعة توجب القرب من الربّ سبحانه، فكلّما قوي القرب قوي الأُنس، والمعصية توجب البعد من الربّ، وكلما ازداد البعد قويت الوحشة، والوحشة سببها الحجاب، وكلما غلظ الحجاب زادت الوحشة، فالغفلة تُوجب الوحشة، وأشدّ منها وحشة المعصية، وأشدّ منها وحشة الشرك والكفر، ولا تجد أحداً ملابساً شيئاً من ذلك إلا ويعلوه من الوحشة بحسب ما لابس منه، فتعلو الوحشة وجهه، وقلبه، فيستوحش، ويُستوحش منه.

فإذا ارتكب العبد الذنب، يجد أن دابته تعاديه وتنفر منه، ويجد أن زوجته تعاديه وتبغضه وتنفر منه، ويجد أولاده وأقاربه وجيرانه، كل ذلك بسبب الذنوب التي ارتكبها ذلك العبد، كل ذلك بالمعاصي التي اقترفها هذا العبد.

فإذا كنت لا ترغب في هذا العداوة ولا ترغب في هذه البغضاء، انتهِ عما نهى الله، واعمل بما أمرك الله **سبحانه وتعالى**، فهذا يبعد عنكم العداوة والبغضاء، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْهَوْنَ﴾ [سورة المائدة: ٩١].

هل أنتم منتهون عن نواهي الله؟ هل أنتم منتهون؟ عما نهاكم الله عز وجل عنه،
عن كل ما نهى الله سبحانه وتعالى من المعاصي والذنوب، حتى تبتعد هذه البغضاء
عن قلوبكم.

فالشيطان الذي يريد أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء، وإلا فإن الله سبحانه
وتعالى يحب أن يأتلف عباده على طاعته، ويجب أن يعتصم عباده بحبله المتين الذي
من اعتصم به نجا.

ومن أعظم ما يوقع العداوة والبغضاء بين الناس، هي هذه الحزبية التي أتتنا من
قبل أعداء الله، والتي فرقت المجتمعات الإسلامية، وأغرت بينهم العداوة
والبغضاء، فأصبح الحزبيون يعادون لأجلها ويوالون لأجلها، وكلما كثرت
الأحزاب كثرت العداوة والبغضاء.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا
مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ
فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ [سورة الروم: ٣١-٣٢].

انظر إلى هذه الآية العظيمة، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ
الْمُشْرِكِينَ﴾ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا ﴿٣٢﴾، تجد هذا الحزب يحذر
من هذا ويدعو إلى حزبه، والآخر على ذلك الحال، وهكذا سائر الأحزاب على هذه
الفرقة والاختلاف، وبينهم من العداوة والبغضاء ما الله به عليم، فهذا الحزب يکید
لهذا، وذاك يکید لهذا، إلا من شاء الله سبحانه وتعالى من العباد.

ولهذا ثبت في الإبانة لابن بطة عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً مَا أَنَا عَلَيْهَا الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي».

الذي يسير على نهج النبي عليه الصلاة والسلام لا يضل ولا يزل ولا يختلف ولا يُبغض ولا يُعادى، والذي يخالف سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ويتبع هواه ما تدري إلا أنه يذل ويضل، والشيطان يحث الناس على الافتراق، ويسعى في بث الفرقة والاختلاف بين المسلمين عن طريق التعصب لهذه الأحزاب. وأعداء المسلمين يحثون على التفرق وعلى التشردم، وهذا كله أوقع المسلمين في العذاب.

وقد روى أحمد عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ".

فنسأل الله بمنه وكرمه أن يبعدنا عن العداوة والبغضاء.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

اعلم أيها العبد المسلم أن مما يوقع العداوة والبغضاء بين الناس هو التحريش بينهم. فإياكم وهذه السنة الإبليسية، فإنها سنة إبليسية، من سعى في التحريش بين الناس بالقليل والقال، والنميمة وغير ذلك من الأمور التي يقع فيها كثير من أهل الإسلام، وهم لا يعلمون أنهم بذلك واقعون في عملٍ هو من أشد ما يسعى به إبليس بين المسلمين.

فقد روى مسلمٌ عن جابرٍ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيْسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ».

يسعى الشيطان في التحريش بين الناس ومعنى ذلك أنه أيس أن يعبدته الناس كافة وإلا فالشركيات حاصلة عند طوائف ممن ينتسب للإسلام، لكن لا يجتمع الناس بإذن الله عز وجل على الشرك قاطبة، ولا يجتمع الناس على الكفر قاطبة أبداً، فهناك من يعبدون الله سبحانه وتعالى على بصيرة ويوحدون الله عز وجل، ولكن ما يزال الشيطان يحرص على التحريش بينهم.

وثبت أيضاً في صحيح مسلم من حديث جابرٍ، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ إِبْلِيسَ يَضْعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَذْنَاهُمْ مِنْهُ مَنَزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَحْيِيءُ أَحَدَهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئاً، قَالَ ثُمَّ يَحْيِيءُ

أَحَدُهُمْ يَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نَعَمْ أَنْتَ فَيَلْتَزِمُهُ». أي يضمه إلى نفسه ويعانقه. فانظر كيف يفرح الشيطان فيمن كان من جنوده ممن يفرق بين الزوج وزوجه ويحرش بينهم فإنه يفرح بذلك المحرّش أشد من غيره؛ كل ذلك لأنه يحرّش بين الزوجة وزوجها، فهذه سنة إبليسية يسعى الشيطان فيها سعيًا حثيثًا.

فإياك أيها العبد المسلم أن تكون جنّدًا من جنود إبليس، تسعى في الإفساد بين الرجل وزوجته وبين الجار وجاره. وبين القريب قريبه وبين الأخ وأخيه وبين الأب وولده، فكل هذا مما لا يجوز، أن يسعى الناس في مثل هذا التحريش الذي يقود إلى التباغض والتفرق والتباعد بين المسلمين، بل يجب عليهم والله أن يسعوا في الإصلاح بينهم، هذا الواجب علينا معاشر المسلمين، روى أبو داود في سننه عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصَّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ». قَالُوا بَلَى. قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ الْحَالِقَةُ».

وهذا التحريش والإفساد داخل في النميمة، التي أخبر النبي ﷺ أنها من كبائر الذنوب، ثبت في الصحيحين من حديث عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»، يَنْتَمُ مِنْ هَذَا لِهَذَا وَيَنْتَقِلُ الْحَدِيثُ مِنْ هَذَا لِهَذَا، كل هذا مما يفسد بين الناس ولو كانت نيته حسنة كما يقول بعض من يفعل ذلك، فصاحب

هذه الكيرة يُعَذَّب في قبره، بسبب هذا العمل الذي عمله وبسبب إفساده بين المسلمين.

جاء في صحيح مسلم من حديث هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ، قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، فَكُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَسْجِدِ فَقَالَ: الْقَوْمُ هَذَا مِمَّنْ يَنْقُلُ الْحَدِيثَ إِلَى الْأَمِيرِ، قَالَ: فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْنَا فَقَالَ حُذَيْفَةُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ».

والفرق بين النمام والقتات؛ أَنَّ النمام الذي يكون مع جماعة يتحدثون حديثاً فينم عليهم. والقتات: الذي يتسمع كلامهم وهم لا يعلمون ثم ينم، وكلُّه من الإفساد بين الناس، ومما يزرع العداوة والبغضاء بينهم.

فإياك أيها المسلم أن تسلك على هذا النهج المفسد وأن تحرش بين الناس، فإنه من أشد ما يوقع العداوة والبغضاء، فكم تجد الآن هذا يبغض والده؟ وهذا يبغض قريبه وهذا يعادي أخاه، وهذا يعادي أباه وهذا يعادي أمه، بَمَ هذا؟ كلُّه بسبب التحريش بين الناس.

وكل هذا مما لا يجوز يا عباد الله، ولا يجوز للمسلم أن يسعى في ذلك أبداً، بل الواجب على المسلم أن يسعى في الإصلاح بين الناس، فإذا حصل بين الرجل وبين أخيه شيء يجب علي العقلاء أن يسعوا في الإصلاح بينهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، فلا تصلح الأمور إلا بهذا، ولا تصلح الدنيا إلا بهذا، ومن وفقه الله سبحانه وتعالى كان من مفاتيح الخير الذين يسعون في إصلاح ذات البين.

ومما يوقع العداوة والبغضاء بين الناس أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يبيع

على بيع أخيه، انظروا إلى ساحة هذا الدين كيف نهى الله سبحانه وتعالى عن أن يبيع الرجل على بيع أخيه وأن يخطب الرجل على خطبة أخيه؟ كل ذلك لأنه يوقع بينهم العداوة والبغضاء، ثبت في صحيح مسلم عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: «لَا يَبِيعُ الرَّجُلُ عَلَى بَيْعِ أَخِيهِ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَى خِطْبَةِ أَخِيهِ، إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ لَهُ».

كل هذا احتراماً لحقوق المسلمين بعضهم على بعض، فلا يحل للإنسان أن يعتدي على حق إخوانه؛ لا بيع ولا شراء، ولا إجارة ولا سؤم، ولا نكاح، ولا غير ذلك من الحقوق، فإن ديننا الإسلامي يحرص على لم الشمل، والبعد عن العداوة والبغضاء.

ومما يوقع الناس في العداوة والبغضاء، إلا وهو التنافس على الدنيا، فإذا تنافس

الناس على الدنيا حسد بعضهم بعضاً، فأصبح هذا يكيد لهذا وهذا يكيد لهذا، كل هذا من أجل دنيا حقيرة، والله عز وجل يقول: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.

فإن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقسم رحمته بين عباده، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَهُمْ

يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ سُلْحَةً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وروى الإمام أحمد من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَخْلَاقَكُمْ، كَمَا قَسَمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إِلَّا لِمَنْ أَحَبَّ".

فَاللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَسَمَ بَيْنَ النَّاسِ أَرْزَاقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ، فَلَوْ رَشِيَ النَّاسُ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ لَسَعَدُوا، وَلَحُلَّ بَيْنَهُمُ التَّرَاحُمُ وَالتَّعَاطُفُ، وَلَكِنْ تَنَافَسُوا عَلَى الدُّنْيَا فَاتَّعَبَتْهُمْ وَأَدْخَلَتْ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ.

وَفِي الصَّحِيحِينَ عَنْ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِهَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الْأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَوَافَتْ صَلَاةَ الصُّبْحِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا صَلَّى بِهِمُ الْفَجْرَ انْصَرَفَ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ رَأَوْهُمْ، وَقَالَ: «أَظُنُّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدْ جَاءَ بِشَيْءٍ؟»، قَالُوا: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَأَبْشِرُوا وَأَمْلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ».

هَذَا الَّذِي يَقُودُ لِلْهَلَاكِ، أَنْ يَتَنَافَسَ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا، فَيَقْعَ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ. انْظُرُوا وَفَقَّكُمْ اللَّهُ وَبَصَّرَكُمْ فِي دِينِكُمْ إِلَى أَمْرِ تَهَاوَنَ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَهُوَ فِي غَايَةِ الْأَهْمِيَّةِ، وَعَدَمُ الْعَنَايَةِ بِهِ إِلَى اخْتِلَافِ الْقُلُوبِ، أَلَا وَهُوَ عَدَمُ تَسْوِيَةِ الصُّفُوفِ، ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَتَسُوَنَّ صُفُوفُكُمْ، أَوْ لِيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

وفي رواية عند أبي داود: «وَاللَّهِ لَتُقِيمَنَّ صُفُوفُكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ». إذا خالف الله - عز وجل - بين القلوب تجد هذا يسير شمالاً وهذا يسير يميناً، لا يجتمعون على شيء أبداً، مادام وقد اختلفت قلوبهم، ما الأمر العظيم الذي أوصلهم إلى هذا الحال عدم العناية بتسوية الصفوف في الصلاة، فكيف بمن ترك الصلاة وبغيرها من أمور الطاعات.

أيها المسلمون إذا أردتم - وفقني الله وإياكم - أن تنتهي بينكم العداوة والبغضاء، فالتزموا بأوامر الله عز وجل، وانتهوا عما نهى الله - سبحانه وتعالى - عنه، فإنه حريٌّ إذا عملنا بطاعته سبحانه؛ أن يبعد عنا ربنا جل وعلا العداوة والبغضاء.

فالتزم بما أمر الله ولنتتهي عما نهى الله، ولنعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرق، ولنكن على التوحيد ولنبتعد عن الشرك، وليسع الواحد منّا بما ينال به رضوان الله، وسنجد خيراً في الدنيا والآخرة.

أسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحب ويرضى، والحمد لله رب العالمين.

اتقوا الله وكونوا مع الصادقين

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد، أيها المؤمنون عباد الله، أخرج الإمام البخاري في كتابه "الأدب المفرد"، وكذلك الحاكم في "مستدركه"، عن حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -

ﷺ - قال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمَّ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ».

فهذه البعثة النبوية التي بُعث بها النبي ﷺ، كانت بعد فساد الأخلاق وانتشار الجهل والرذائل، والتي لا يجها الله بل يبغضها، فُبِعِثَ النبي ﷺ في قوم كان شرهم شديداً، وعندهم ما عندهم من البوائق والمنكرات، ثبت في الصحيحين من حديث

حُذِيفَةَ بْنِ الْيَمَانِ يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ".

فحذيفة يقول للنبي ﷺ: "إنا كنا في جاهلية وشر" أي من كفر وقتل ونهب وإتيان فواحش، "فجاءنا الله بهذا الخير" أي ببعثك وتشديد مباني الإسلام وهدم قواعد الكفر والضلال.

فالشر كان مستطيراً قبل بعثة رسول الله ﷺ فجاء هذا النبي، وهذه الرحمة المهداة لتتميم مكارم الأخلاق، وصالح الأخلاق بعد أن ساءت أخلاق أهل الجاهلية.

وإنَّ من أعظم الأخلاق التي جاء بها النبي ﷺ وأمر الله تعالى بها هو خلق الصدق، ولهذا نعيش بإذن الله في هذه الدقائق المعدودة مع هذه الفضيلة العظيمة ومع هذا الخلق الجميل ومع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩].

فإنَّ العبد لا تتم له التقوى إلا إذا كان صادقاً وسار في ركاب الصالحين، إلا إذا سار على هذا النهج العظيم، إلا إذا سار مع هذه الرفقة الجميلة، وفي خضم الصالحين ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

هؤلاء الصادقون هم النبي ﷺ وأصحابه وكل من سار على دربه، فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده أن يسيروا على هذا النهج العظيم، واسمع إلى قوله سبحانه وتعالى:

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ (٢١)﴾ [سورة محمد: ٢٠-٢١].
 لو صدق الإنسان مع ربِّه لكان والذي لا إله إلا هو خيراً له، بين يدي الله سبحانه وتعالى وفي الدنيا والآخرة، ولهذا قال بعدها سبحانه: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢)﴾ [سورة محمد: ٢٢].

قال العلامة السعدي: أي: فهما أمران، إما التزام لطاعة الله، وامتنثال لأوامره، فثم الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك، وتولٍ عن طاعة الله، فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي وقطيعة الأرحام. انتهى كلامه
 فإما أن تكون مع الصادقين المؤمنين وإلا فإنك ستكون في ركاب المفسدين في الأرض، ولا طريق غير هذين الطريقين، فكن يا عبد الله في ركاب الصادقين المؤمنين المصلحين في الأرض.

فإنَّ الصَّدَقَ يا عِبَادَ اللَّهِ عَوَاقِبُهُ جَمِيلَةٌ حَسَنَةٌ، فَهُوَ يَأْخُذُ بِبَيْدِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى جَنَّةِ الرَّحْمَنِ، كما ثَبَتَ في صحيح مسلم مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَيْهِ رِضْوَانُ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّدَقِ، فَإِنَّ الصَّدَقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصَّدَقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدْقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ

الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا».

فانظر كيف حال الصادق وأين ماله، وكيف حال الكافر وأين ماله.

وتخيل يا عبد الله أن الله سبحانه وتعالى يجعلك من الصديقين، أن سبحانه وتعالى يكتبك مع الصادقين، أولئك أعظم منزلة عند الله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصَّدِيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [سورة النساء: ٦٩].

أي: من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقاً للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانياتهم.

فعليكم أيها المسلمون بالصدق، فإنَّ الصدق يهدي إلى كل ما يحبه الله عز وجل من أعمال الخير وأعمال البر، فإذا كنت ملازماً للصدق فسيقودك صدقك إلى كثير من أبواب الخير والهدى التي يفتحها الله لك لصدقك.

ولا يزال الرجل يتحرى الصدق ويأمر به ويعمل به حتى يكتب عند الله صديقاً، فإذا اختصك الله سبحانه وتعالى بمنزلة الصديقين فلقد رفعتك إلى الدرجات العالية في جنته سبحانه وتعالى.

الصدق أيها العباد تطمئن به النفوس وتركوا به الأرواح وتستريح به الأبدان، كل ذلك بالصدق، أما الكذب فهو مدموم وتظل النفس مضطربة وقلقة وفي وحشة إذا كذبت، ثبت عند الترمذي من حديث أبي الحوراء السَّعْدِيّ، قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ، فَإِنَّ الصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكَذِبَ رِيْبَةٌ».

الذي يصدق تجد قلبه مطمئناً، تجد نفسه مرتاحة، تجده هادئ البال، مطمئن النفس، منشرح الصدر، لا يبالي ولا يخاف ولا يخشى ولا يكل ولا يمل ولا يتعب، كل ذلك لأنه صادق مع الله ثم مع نفسه.

وأما ذلك الكاذب فلا يزال في ريبة وقلق، وفجور واضطراب، يخرج من هم إلى آخر ومن غم إلى آخر.

وقد حثَّ الله عباده على الخير والصدق وأمرهم به ورغبهم فيه، وبين سبحانه أنه من أساس التقوى، قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣].

قال العلامة ابن كثير: قال ليث بن أبي سليم عن مجاهد: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ﴾ قال: أصحاب القرآن المؤمنون يحيئون يوم القيامة، فيقولون: هذا ما أعطيتمونا، فعملنا فيه بما أمرتونا.

وهذا القول عن مجاهد يشمل كل المؤمنين، فإنَّ المؤمن يقول الحق ويعمل به.

روى البخاري عن قتادة، أَنَّ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه، حَدَّثَهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَعِدَ أَحَدًا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ، فَقَالَ: «اثْبُتْ أَحَدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ».

فالصديق هو أبو بكر رضي الله عنه، وهو خيرة الصديقين بعد الأنبياء والمرسلين، فإنه كان من أوائل المصدقين برسول الله، وكان من أوائل المسارعين إلى التصديق بما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، كان مصدقاً بربه سبحانه تعالى، وبنبيّه، عليه الصلاة والسلام وبكتاب ربه، بآيات ربه، فجوزي بهذا الأمر العظيم أن لقّبه النبي صلى الله عليه وسلم بالصديق عليه رضوان الله، وسبب هذه التسمية ما رواه الحاكم بسند صحيح من حديث عائشة، قَالَتْ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِذَلِكَ فَارْتَدَّ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ آمَنَ بِهِ وَصَدَّقَهُ وَفَتَنُوا بِذَلِكَ عَنْ دِينِهِمْ، وَسَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ؟ فَقَالَ: أَوْ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَيْنَ كَانَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: وَتُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ فِي لَيْلَةٍ، وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَا أُصَدِّقُهُ بِمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ؛ أَصَدَّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوَاحَةٍ؛ فَلِذَلِكَ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقَ".

الصدق يا عباد الله ينفعكم في ذلك اليوم العظيم، الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون

إلا من أتى الله بقلب سليم، قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ

لِي يَحَقِّقَ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ، تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ [سورة المائدة: ١١٦].

إلى أن قال الله سبحانه: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [سورة المائدة: ١١٩]
 فاعمل أيها العبد الصالح لذلك اليوم العظيم وكُنْ مع الصادقين، حتى ينفعك صدقك في ذلك اليوم العظيم، وينجيك ربُّكَ سبحانه وتعالى بِصِدْقِكَ، وينجيك سبحانه وتعالى بِإِخْلَاصِكَ، وبأعمالِكَ التي تعملها لله سبحانه وتعالى.
 فنسأله بمنه وكرمه أن يجعلنا من الصديقين.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله ربي وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. أما بعد:

عباد الله ينبغي علينا أن نعلم أن الصدق المقصود به ليس فقط أن تصدق مع الناس، فالصدق أنواعه كثيرة وأبوابه كثيرة.

فمن أعظم أبواب الصدق ومن أعظم أنواع الصدق أن يصدق الإنسان مع ربه جل وعلا، يصدق في عبادته لربه وفي أعماله لله عز وجل، في إخلاصه له سبحانه وتعالى، في كل ما يفعله العبد من أجل مرضاة الله سبحانه وتعالى؛ ينبغي أن يتحرى العبد الصدق في كل أعماله التي يعملها من أعمال البر والطاعة.

لهذا ثبت عند النسائي من حديث شداد بن الهاد عليه رضوان الله أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمن به وأتبعه ثم قال أهاجر معك فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبياً فقسّم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم فلما جاء دفعوه إليه فقال ما هذا قالوا قسم قسمه لك النبي ﷺ فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال ما هذا قال قسمته لك قال ما على هذا أتبعتك ولكنني أتبعتك على أن أرمى إلى هاهنا وأشار إلى حلقه بسهم فأموت فأدخل الجنة فقال إن تصدق الله يصدقك فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو فأتى به النبي ﷺ فحمل قذ أصابه سهم حيث أشار فقال النبي ﷺ أهو هو

قَالُوا نَعَمْ قَالَ صَدَقَ اللَّهُ فَصَدَقَهُ ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جَبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ قَدَّمَهُ
فَصَلَّى عَلَيْهِ فَكَانَ فِيهَا ظَهَرَ مِنْ صَلَاتِهِ اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ
شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ

شهد له النبي عليه الصلاة والسلام بهذا الأمر، صدق الله فصَدَقَهُ الله سبحانه

وتعالى.

كم من الناس لا يصدقون مع الله، لا في صلاتهم ولا في صيامهم ولا في قيامهم
ولا في أعمالهم ولا في صدقاتهم ولا فيما سوى ذلك من الأعمال إلا ما رحم الله
سبحانه وتعالى.

وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لَا يَتَّبِعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ
يَبْنِي بَيْتًا؟ وَلَمَّا بَيْنَ بَيْتِهَا، وَلَا أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلَا أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ
خِلْفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وَلَادَهَا، فَغَزَا فَدَنَا مِنَ الْقَرْيَةِ صَلَاةَ الْعَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ،
فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا، فَحُبِسَتْ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ
عَلَيْهِ "

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وكونوا مع الصادقين، كونوا مع هؤلاء الذين
صدقوا مع الله عز وجل، أمسك الله سبحانه وتعالى له الشمس عن الجريان لصدقه
في جهاده، حتى ينتهي من جهاد الأعداء، وهكذا ليكن المسلم في عباداته كلها على
الصدق مع الله سبحانه وتعالى.

ثبت عند البخاري، من حديث ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "بَيْنَمَا ثَلَاثَةٌ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ، إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوُوا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ، لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصَّدُقُ، فَلِيدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرْقٍ مِنْ أَرْزٍ، فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرْقِ فَرَزَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقْرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ فَسُقْهَا، فَقَالَ لِي: إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرْقٌ مِنْ أَرْزٍ، فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقْرِ، فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرْقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ آتِيَهُمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي، فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً، فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغُونَ مِنَ الْجُوعِ، فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا، وَكَرِهْتُ أَنْ أَدْعَهُمَا، فَيَسْتَكِنَّا لِشَرِبَتِيهِمَا، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمْ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةٌ عَمٌّ، مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ، إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ، فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا، فَأَمَكَّتَنِي مِنْ نَفْسِهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رَجُلَيْهَا، فَقَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفْضُ الْحَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَحَرَجُوا "

انظر كيف نجاهم الله لأنهم كانوا صادقين في أعمالهم لله سبحانه.

فالصدق مع الله أجل أنواع الصدق، ويكون المسلم صادقاً مع ربّه تعالى إذا حقق الصدق في جوانب ثلاثة: الإيمان والاعتقاد الحسن، والطاعات، والأخلاق، فليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، والصادق فيه هو من حققه على الوجه الذي أَرادَه منه ربه تعالى، ومنه الصدق في اليقين، والصدق في النية، والصدق في الخوف منه تعالى، وليس كل من عمل طاعة يكون صادقاً حتى يكون ظاهره وباطنه على الوجه الذي يحبه الله تعالى.

وقد بينَّ الله تعالى الصادقين في آية واحدة، وهي قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ﴾ فانظر إلى قوله **سبحانه وتعالى** بعد ذكره هذه الأوصاف كلها قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾، فالذي يكون على هذه الأوصاف التي ذكرها ربنا **سبحانه وتعالى** فهو الصادق حقاً.

قال العلامة العثيمين رحمه الله عند هذه الآية: ومن فوائد الآية: أن ما ذكر هو حقيقة الصدق مع الله، ومع الخلق؛ لقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾؛ فصِدْقُهُمْ مع الله: حيث قاموا بهذه الاعتقادات النافعة: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبين، وأنهم أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وبذلوا المحبوب

في هذه الجهات، وأما صدقهم مع الخلق: يدخل في قوله تعالى: (والموفون بعهدهم إذا عاهدوا)، وهذا من علامات الصدق، ولهذا قال تعالى: (أولئك الذين صدقوا) فصدقوا في اعتقاداتهم، وفي معاملاتهم مع الله، ومع الخلق. انتهى كلامه.

ومن أنواع الصدق أن يصدق الإنسان في تعامله مع الناس، فإنَّ تعاملات الناس الآن أصبحت بعيدة عن الصدق إلا ما رحم الله سبحانه وتعالى، هذا يغش، هذا يخدع، هذا يفجر لهذا. ما هذا يا عباد الله؟ أين الصدق في المعاملات؟

أين العمل بقوله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩].

ثبت في الصحيحين من حديث أبي خالد حكيم بن حزام عليه رضوان الله أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "البَّيْعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيْنَا بُورِكَ لُهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا"

فإن صدق كل واحد منهما؛ البائع والمشتري بما يتعلق به البيع من الثمن ووصف المبيع ونحو ذلك (وبينا) ما يحتاج إليه بيانه من عيب ونحوه في السلعة والثمن (بورك لهما في بيعهما) أي كثر نفع المبيع والثمن (وإن كتما) أي كتم البائع عيب السلعة والمشتري عيب الثمن (وكذبا) في وصف السلعة والثمن (محقت بركة بيعهما) أي ذهبت زيادته ونماؤه فإن فعله أحدهما دون الآخر محقت بركة بيعه وحده.

الناس الآن، إلا من رحم الله، بالذات في التجارة والمعاملات لا يصدقون، فإنَّا لله وإنا إليه راجعون من بعد كثير من الناس عن الصدق.

ومن أنواع الصدق أن يصدق الإنسان في الحديث، فيكون كلامه كله يصدق في

حديثه وفي كلامه، لذلك، ثبت عند أحمد من حديث كعب بن مالك عليه رضوان الله في قصة توبته، قال: "فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ يومئذ ألا أكون كذبتُه فأهلك كما هلك الذين كذبوه حين كذبوه".

أصبح الصدق في هذه الأيام معدومًا، والصادقون قلّة في هذا الزمان، ولكثرة من يكذب في هذا الزمن، في معاملاته، في تجارته، في كلامه، في حديثه، في كل شيء يعملُه تجد أن كثيرًا من أهل الزمان أصبح لا يصدق بعضهم بعضًا إلا ما رحم الله، وصدق رسول الله ﷺ، إذ قال: «إِنَّهَا سَتَأْتِي عَلَى النَّاسِ سِنُونَ خَدَاعَةٌ يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ قِيلَ وَمَا الرُّوَيْبِضَةُ قَالَ السَّفِيهَةُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ». رواه أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه.

كثيرٌ من الناس يكذبون، لا يصدقون حتى على مستوى الرؤى، يكذبون ولا يصدقون. ويكذب الرجل في حديثه يكذب على زوجته، على أهله، على جاره، على أخيه، على ولده حتى يكذب على نفسه، فيكون عاملاً بما يغضب الله مبتعدًا عن فرائض الله وهو يعد نفسه بالنجاة ويؤملها بالفوز بالدرجات العالية في الجنة، وهذا من كذب العبد على نفسه.

فما لنا أيها الناس إلا أن نذكر أنفسنا بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩].

حتى نلقى الله سبحانه وتعالى ونحن على خير، حتى يحشرنا الله سبحانه وتعالى مع النبيين والصدّيقين، إذا أراد المسلم أن يُعزّه الله عز وجل، فينبغي عليه أن يلازم الصدق في كل ما يأتي ويذر.

ولا يترك العبد المسلم الصدق، لا في جد ولا في هزل، ولا يكذب، لا في جد ولا في هزل.

أسأل الله بمنتّه وكرمه أن يوفقنا لما يحب ويرضى وأن يجعلنا من عباده الذين يحبهم، وأن يتوفانا على خير ما يحب، وأن يتوفانا على الإسلام والسنة. والحمد لله.

وبشر الصابرين

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤)

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد عباد الله فإنه كلما ابتعد الناس عن زمن النبوة زادت عليهم الشدائد، وزاد عليهم الابتلاء، وكثرت عندهم الفتن، وذلك مصداقا لحديث رسول الله الله عليه وسلم كما جاء عند البخاري من حديث الزُّبَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ، قَالَ: أَتَيْنَا أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، فَشَكَّوْنَا إِلَيْهِ مَا نَلْقَى مِنَ الْحَجَّاجِ، فَقَالَ: «اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرُّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقُوا رَبَّكُمْ». سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ.

فلا يأتي زمان على الناس إلا وتزيد البلايا عليهم ويزيد الابتلاءات عليهم وتزيد المحن وتزيد الفتن، ويبتلى العبد بلاء عظيمًا، والعبد في هذه الدنيا لا يخلو من الابتلاء والاختبار فهي سنة كونية قضاها الله سبحانه وتعالى على عباده، قال الله - عز وجل -: ﴿الْعَمَّ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ۝﴾ [سورة العنكبوت: ١-٣].

فibtلى الله سبحانه وتعالى عبادة بما شاء وكيف شاء فهم عبيده وهو أعلم بما يصلح لهم، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّادِقِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ۝﴾ [سورة محمد: ٣١].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ۝﴾ [سورة البقرة: ٢١٤].

وقال عز من قائل: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّادِقِينَ ۝﴾ [سورة آل عمران: ١٤٢].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةً ۖ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [سورة التوبة: ١٦].

فلا يظن العبد أنه سيعيش في هذه الدنيا دون أن يتلي الله سبحانه وتعالى، فالمصائب تنزل على العباد جميعاً؛ مسلمهم وكافرهم برّهم وفاجرهم غنيهم وفقيرهم، إلا أن الله سبحانه وتعالى يتلي عبده المؤمن بما لا يتلي به غيره، وذلك من حكمة الله سبحانه وتعالى، ويكون الابتلاء للمؤمن على قدر إيمانه وعلى قدر تمسكه بدينه، قال الله - عز وجل - : ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ۚ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ۝٢﴾.

يتلي الله سبحانه وتعالى عباده بما شاء، فيتلي هذا بالغنى، وذاك بالفقر، وهذا بالصحة وذاك بالمرض، وكل هذه ابتلاءات من الله عز وجل، يتلي الله سبحانه وتعالى عباده بما شاء وكيف شاء، قال سبحانه : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلٍ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٢٢﴾. وقال سبحانه : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِمٌ ۝١١﴾ [سورة التغابن: ١١].

والحكمة في هذه الابتلاءات ظاهرة جلية، فيختبر الله عباده ليظهر الصادق من الكاذب، والشاكر من الكافر، والصابر من المتسخط، وليُجازي الناس على ذلك، وإلا فالله أعلم بهم وبأعمالهم ونياتهم ولو لم يختبرهم، لكن ليظهر هذا للخلق، وليحاسب العباد على أعمالهم.

فما الواجب علينا - معاشر المؤمنين - في كل ما يتلينا الله سبحانه وتعالى به؟

الجواب: ما ذكره ربنا في هذه الآية العظيمة حيث قال ربنا **سبحانه وتعالى:**

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧].

إذا لا بد لنا يا عباد الله أننا إذا إصابتنا مصائب ونزلت علينا الهموم واشتدت بنا الكروب، ونحن فيما نحن فيه في هذه الأيام من بلاء، ومن شدة ومن مصائب تنزل بنا؛ حري بالعبد أن يكون صابراً، متصفاً بهذا الخلق العظيم، وأن يتخلق بهذا الخلق الكريم، فلا يكون الإنسان على خير في أمر دينه ودنياه إلا إذا صبر على ما ينزل به من المصائب والابتلاءات، وإذا شكر على ما ينزل به من سراء وأمور خير يجبها، فإن الله - **سبحانه وتعالى** - يبتلي بالسراء وبالخير، ويبتلي بالضراء وبالشر، وكل ذلك من عند الله **سبحانه وتعالى:** ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ لَآتٍ لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾

وكثيراً ما تنزل الابتلاءات بسبب ذنوبنا ومخالفاتنا، قال الله **سبحانه وتعالى:**

﴿أَوَلَمَّا أَصَابَكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٦٥].

فكثير ما ينزل البلاء علينا بسبب ما تجنيه أيدينا، وبسبب ذنوبنا.

فينبغي علينا وفقني الله وإياكم أن الإنسان إذا ابتلي بأمر عظيم أن يصبر، وأن يوكل أمره إلى الله عز وجل، ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾.

ما الذي يجازي الله به هؤلاء الصابرين؟ قال ربنا سبحانه: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ (١٥٧) [سورة البقرة: ١٥٧].

قال العلامة السعدي رحمه الله عند هذه الآية: {أُولَئِكَ} الموصوفون بالصبر المذكور {عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ} أي: ثناء وتنويه بحالهم {وَرَحْمَةٌ} عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله، وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم، فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار، فما أعظم الفرق بين الفريقين وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين، فقد اشتملت هاتان الآيتان على توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت، وبيان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر، وبيان ما يعين على الصبر، وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر.

وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنة الله التي قد خلت، ولن تجد لسنة الله تبديلاً وبيان أنواع المصائب. انتهى كلامه رحمه الله

الصبر يا معاشر المسلمين فلاح، فإذا صبر الإنسان على أقدار الله وعلى ما ينزل به من البلاء، فإن الله سبحانه يجعله من المفلحين في الدنيا والآخرة، قال ربنا **سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [سورة آل عمران: ٢٠٠].

حض المؤمنين على ما يوصلهم إلى الفلاح - وهو: الفوز والسعادة والنجاح، وأن الطريق الموصل إلى ذلك لزوم الصبر، الذي هو حبس النفس على ما تكرهه، من ترك المعاصي، ومن الصبر على المصائب، وعلى الأوامر الثقيلة على النفوس، فأمرهم بالصبر على جميع ذلك.

فعلم من هذا أنه لا سبيل إلى الفلاح بدون الصبر والمصابرة والمرابطة المذكورات، فلم يفلح من أفلح إلا بها، ولم يفت أحدًا الفلاح إلا بالإخلال بها أو ببعضها.

والصبر يا معاشر المسلمين ضياء يجعله الله سبحانه وتعالى لعباده، لهذا ثبت عند الإمام مسلم، من حديث عن أبي مالك الأشعرى قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمَلُّانِ - أَوْ تَمَلُّ - مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايَعُ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوْبِقُهَا».

فالصبر ضياء، ضياء للإنسان في قلبه، وضياء له في طريقه ومنهاجه وعلمه؛ ولأنه كلما سار إلى الله - عز وجل - على طريق الصبر؛ فإن الله - تعالى - يزيده

هدى وضياء في قلبه ويبصره بما ينفعه، كُلُّ هذا لما صبر، قال ربنا **سبحانه وتعالى**:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (٢٤).

فلهذا يشتد على الإنسان الصبر، لأنَّ فيه ضياءً وحرارة؛ ولكن متى ما صبر العبد، وجد برد ذلك على قلبه، ووجد خيراً عظيماً إذا قدم على ربه.

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري قال جاء ناس من الأنصار إلى النبي ﷺ فسألوه فأعطاهم قال فجعل لا يسأله أحد منهم إلا أعطاه حتى نفذ ما عنده فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنيه الله ومن يتصبر يصبره الله وما أعطى الله أحداً من عطاءٍ أوسع من الصبر».

قال المُنَاوي في فيض القدير: فالصبر إكليل للإيمان، وأوفر المؤمنين حظاً من الصبر أوفرهم حظاً من القرب من الرب، والصبر رزق من الله لا يستبد العبد بكسبه وما يضاف إلى كسب العبد هو التصبر فإذا حمل على نفسه التصبر أمدته الله بكمال الصبر وفي الخبر من يتصبر يصبره الله فإذا رزقه الصبر كان أوسع من كل نعمة واسعة لأنه يسهل بالصبر جميع الخيرات وترك المنكرات وتحمل المكروهات المقدرات والرزق المشار إليه رزق الدين والإيمان. انتهى كلامه

إذا أعطاك الله - عز وجل - الصبر فقد أعطاك شيئاً عظيماً، انظروا إلى يعقوب عليه الصلاة والسلام، حين علم بما حصل من إخوة يوسف وما حصل من كيد ليوسف عليه الصلاة والسلام وجاء أولاده يعتذرون إليه: قال الله سبحانه واصفاً

حالمهم: ﴿وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ (١٦) قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِ وَيُتْرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ [سورة يوسف: ١٦-١٨].

فماذا كان جواب يعقوب عليه السلام؟ ماذا قال يعقوب عليه الصلاة والسلام؟
﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (١٨).
ما زاد على أن قال فصبر جميل، والصبر الجميل هو الذي لا تسخط معه ولا تضجر، إنما صبر لله سبحانه وتعالى، وكذلك حين أتاه الخبر عن ولده الآخر كذلك كان صابرا عليه الصلاة والسلام صبر صبرا عظيما، وانظروا إلى أيوب عليه الصلاة والسلام، الذي ابتلاه الله - عز وجل - بمرض شديد ومع ذلك صبر صبرا عظيما على ما ابتلاه الله به حتى قال الله - عز وجل - عنه: ﴿وَحَدَّ يَدَيْكَ ضَغْعًا فَأُصْرِبَ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٤٤) [سورة ص: ٤٤].

وإذا صبر العبد على ما ابتلي به جعل الله سبحانه وتعالى تلك الابتلاءات تكفيرا لسيئاته ولخطاياها.

ثبت عند الإمام مسلم من حديث صهيب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».

فالمؤمن هو الذي يصبر نفسه على ما ابتلاه الله به، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن.

وفي صحيح مسلم من حديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهما سَمِعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ وَصَبٍ، وَلَا نَصَبٍ، وَلَا سَقَمٍ، وَلَا حَزَنِ حَتَّى أَهْمُ يَهْمُهُ، إِلَّا كُفِّرَ بِهِ مِنْ سَيِّئَاتِهِ».

لكن لا بد من الصبر، لا بد من أن يكون صابرا على ما يبتليه الله به ليكون مكفرا له من خطاياه.

ومن ابتلاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَقَدْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا، ثبت عند البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ». وعند أحمد من حديث مُحَمَّدِ بْنِ لَيْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: "إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ فَمَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ وَمَنْ جَزَعَ فَلَهُ الْجَزَعُ".

قال الحافظ ابن حجر: وفي هذه الأحاديث بشارة عظيمة لكل مؤمن لأن الآدمي لا ينفك غالبا من ألم بسبب مرض أو هم أو نحو ذلك مما ذكر وأن الأمراض والأوجاع والآلام بدنية كانت أو قلبية تكفر ذنوب من تقع له. انتهى كلامه فمن أراد الله به خيرا ابتلاه بالأمراض وبالأوجاع وبالأسقام وبالأدواء، يصيبه في ولده ويصيبه في أهله ويصيبه في عافيته وفي بدنه ويصيبه في أرضه وفي ماله وتجارته، كل هذا من البلاء الذي يبتليه به الله - سبحانه وتعالى - فمن رضي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط.

وقد روى الترمذي من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه): **عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ:**
«إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ
الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».

قال العلامة العثيمين: يعنى أنه كلما عظم البلاء عظم الجزاء، فالبلاء السهل له
 أجر يسير، والبلاء الشديد له أجر كبير، لأن الله عز وجل ذو فضل على الناس، إذا
 ابتلاهم بالشدائد أعطاهم عليها الأجر الكبير، وإذا هانت المصائب هان الأجر.
 انتهى كلامه

وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط.
 وهذه أيضا بشرى للمؤمن، إذا ابتلى بالمصيبة فلا يظن أن الله سبحانه يغيظه،
 بل قد يكون هذا من علامة محبة الله للعبد، يبتليه سبحانه بالمصائب، فإذا رضي
 الإنسان وصبر واحتسب فله الرضى، وإن سخط فله السخط.
 وفي هذا حث للعبد بأن يصبر على المصائب حتى يكتب له الرضى من الله عز
 وجل، والله الموفق.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وأشهد أن لا إله إلا الله
ربي وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه وسلم تسليم كثيرا أما بعد:

أيها المسلمون عباد الله الصبر الذي ينبغي على العبد على أنواع ثلاثة:

ومن أعظمه وأجله أن يصبر الإنسان على طاعة الله عز وجل، قال الله عز وجل
آمرا نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ
نَرْزُقُكَ وَالْعَنَقِبَةُ لِلنَّقَوَىٰ﴾ [سورة طه: ١٣٢].

وقال **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ** لنبيه ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَصِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا
قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

وجاء عند أبي داود من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:
«لَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ
مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَلَأَنْ أَقْعُدَ مَعَ قَوْمٍ يَذْكُرُونَ اللَّهَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ
إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ أَرْبَعَةً».

هذا هو الصبر على الطاعة فإن هذه النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله، وربُّ

العزة يقول: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [٤٥]

فلا بد من الصبر في طاعة الله عز وجل أشد منه في غيره، وذلك لأنه لا تتم للعبد عبادة ولا طاعة إلا بالصبر ومجاهدة النفس عليها، وربنا **سبحانه وتعالى** يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩)، فطريق الهداية إلى سبيل النجاة إنما هو بالصبر ومجاهدة النفس على الطاعات.

فإنه كلما صبر الإنسان على طاعة الله عز وجل فإنه ينال ما وعده به ربه - **سبحانه وتعالى** -، وعند الترمذي، من حديث انس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلی الله علیه وسلم قال: «مَنْ صَلَّى الْغَدَاةَ فِي جَمَاعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ»، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلی الله علیه وسلم: «تَامَّةٌ تَامَّةٌ تَامَّةٌ».

تريد أن يأجرك الله أجر حجة وعمره؟ اصبر على طاعة الله **سبحانه**، فما صبر العبد على شيء فيه طاعة الله - عز وجل - إلا جعل الله له من الأجور الشيء الكبير.

وأما النوع الثاني من أنواع الصبر وهو من أعظمه بعد الطاعات ألا وهو الصبر على المعاصي والمنكرات، وعلي انتهاك حرمت الله - **سبحانه وتعالى** -، فإذا ابتليت بمعصية اصبر عنها ولا تقترفها ولا تأتها وصبر نفسك على البعد عنها، وقل لها يا نفس إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فهي سجن بالنسبة للمؤمن لأنه يحبسها عن كل معصية، فإذا أرتك نفسك على معصية فصبرها وقل لها اللقاء بالله - عز وجل - قريب، صبرها على المعصية وامنعها، وذكرها بذلك العبد الصالح عليه الصلاة والسلام يوسف عليه السلام، الذي ابتلاه الله - **سبحانه وتعالى** - بلاء عظيمًا، قال الله - عز وجل - عنه: ﴿وَزَوَّدْنَاهُ آلِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَغَلَقَتِ

الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ [سورة يوسف: ٢٣].

امرأة ذات منصب وذات جمال وذات نسب لا يستطيع أحد أن يقول لها لماذا فعلت هذا؟ وتراوده عن نفسها وتغلق الأبواب وقالت هيت لك لكنه كان مصبراً نفسه عن معصية الله سبحانه وتعالى ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٢٣﴾، فالمعاصي تجرُّ إلى الويلات وتنقص حياة المؤمن، وتكدر عليه أوقاته، ولهذا انظروا إلى هذا العبد الصالح، بعد أن فرج الله - عز وجل - عنه وآتاه الله سبحانه وتعالى من ملك مصر ما آتاه، جاء إليه إخوته وتذكروا ماذا حصل به؟ قال رب العالمين سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوا أَيْنَ نَكَ لَأَنَّتَ يُونُسَ قَالَ أَنَا يُونُسَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ [سورة يوسف: ٩٠].

﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ أي: يتقي فعل ما حرم الله، ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر بامتثالها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٠﴾ فإن هذا من الإحسان، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

فمن يتق محارم الله - عز وجل - فلم يلج فيها، من يتق الشبهات فلا يقع فيها، من يتق ربه سبحانه وتعالى في كل شيء ويصبر عن الحرمات وعما حرم الله فإن الله لا يضيع أجر المحسنين، وربنا سبحانه وتعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١١٥﴾ [سورة هود: ١١٥].

النوع الثالث من أنواع الصبر هو الصبر على أقدار الله - عز وجل - وهذا من أدنى

أنواع الصبر لماذا؟ لأنه إذا وقع بك بلاءٌ ماذا عساک أن تفعل إلا أن تصبر؟
فليس لك مخرجٌ ليس أمامك شيء إلا أن تصبر، فإنك إن لم تصبر اليوم ستصبر
غداً وإن لم يكن غداً فبعده، فمن مات له ميتٌ فجزع في أول أيامه ولم يصبر، فإن
آخر ماله إلى الصبر، لأن الجزع لن يرد له ما فقده، وإنما يُذهب عليه أجره.

ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عليه رضوان الله قال مرَّ النَّبِيُّ
ﷺ بِامْرَأَةٍ تَبْكِي عِنْدَ قَبْرِ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي» قَالَتْ: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ
تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، وَلَمْ تَعْرِفْهُ، فَقِيلَ لَهَا: إِنَّهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَتَتْ بَابَ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ
تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فَقَالَتْ: لَمْ أَعْرِفْكَ، فَقَالَ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى».

قال الخطابي: المعنى أن الصبر الذي يحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة
المصيبة بخلاف ما بعد ذلك فإنه على الأيام يسلو. انتهى
فالصبر الذي يؤجر عليه صاحبه الأجر الكامل هو عندما يصله الخبر بالمصيبة،
أول ما يأتيك الخبر: مرض ولدك مات ولدك مات أمك، هنا يعرف الصابر من غير
الصابر، إذا قال الحمد لله إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبي واخلفني
خيراً منها كان على الخير والهدى.

روى الإمام مسلم في صحيحه عن أمِّ سلمة، أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
ﷺ يَقُولُ: " مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
رَاجِعُونَ}، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا

مِنْهَا"، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

فيخلف الله له خيرًا في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من عظيم الجزاء، وقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَعْبادُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر: ١٠]. قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يغرف لهم غرfa.

وثبت عند البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأرضاه أن النبي ﷺ قال "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ".

وروى الترمذي من حديث أبي موسى الأشعري، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قَالَ اللَّهُ لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ، فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمْدَكَ وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ"

سموه بيت الحمد لأنه كان صابرًا على هذا البلاء العظيم، حامدًا لربه على كل ما جاءه منه سبحانه وتعالى.

فصبرًا على أقدار الله - سبحانه وتعالى - أيها العبد المسلم، إذا أردت أن تنال الرضا وتنال الأجر من الله - سبحانه وتعالى -، وما لم تفعل ذلك فإنما يرجع أثر تسخطك عليك، فإنه من سخط فعلية السخط، ولن يرجع ما ذهب منك وما فقدته، فإذا مات لك ميت فبكيت وولولت وفعلت ما فعلت هل يرجع الميت؟ ما يرجع إذن علينا وفقني الله وإياكم أن نكون صابرين، فليس للعبد راحة دون الصبر، وربُّ

العزة يقول عن لقمان وهو يعظ ولده: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَامْرَأَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [سورة لقمان: ١٧].

فلا يجد العبد راحة إلا مع الصبر، ولا يجد لهذه النفس إرغامًا لها إلا بالصبر، فاصبروا وفقني الله وإياكم حتى تنجلي عنكم ما أصابكم، وحتى تنجلي الشدائد فإن الناس إذا ضاقت عليهم معاشهم ليس لهم إلا أن يدعو الله - سبحانه وتعالى - وأن يتقربوا إلى الله - عز وجل - بالطاعات ويلتزموا هذا الخلق العظيم ألا وهو الصبر حتى يفرج الله - سبحانه وتعالى - عن عباده.

أسأل الله بمنه وكرمه أن يفرج عن عباده المؤمنين، وعن كل مبتلى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هجر القرآن

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤).

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أما بعد عباد الله، فيقول الله - سبحانه وتعالى - في كتابه الكريم: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ

قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧).

اعلموا وفقني الله وإياكم أنه ما بُعث نبي إلى قومه، إلا وجعل الله - سبحانه

وتعالى - له من الحجج والبراهين، ومن المعجزات ومن الوحي، ما يؤيد به وما

يكون حجةً على قومه - بإذن الله - سبحانه وتعالى، وما من قوم أهلكهم الله سبحانه

وتعالى إلا بسبب تكذيبهم للآيات التي جاءهم بها ذلك الرسول، والتي أنزلت على

ذلك النبي، وهذا نبينا عليه الصلاة والسلام أرسل بمعجزة عظيمة باقية إلى يوم القيامة ألا وهو هذا القرآن، جاء في الصحيحين عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

فهذا القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى رحمة للناس ورحمة للعالمين، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس: ٥٧].

فهذا القرآن فيه مواضع من الله سبحانه وتعالى، وفيه نور وهدى، فأين من يشكون الهموم؟ أين من يشكون الغموم؟ أين من يشكون الكرب؟

هذا القرآن جعله الله سبحانه وتعالى شفاء لما في الصدور، من الأمراض والأوجاع والشبه، وكل ما يطرأ على هذه القلوب مما يذهب ببهائها ونورها، ففي القرآن علاجه، ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٥٧ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ ٥٨ [سورة يونس: ٥٧-٥٨].

قال ابن عباس: فضل الله الإسلام، ورحمته القرآن، لا بما يجمع الناس من حطام الدنيا، لا بما يتكاثر به الناس من متاع الدنيا الفانية، بل بفضل الله - عز وجل - بالإسلام، وبالقرآن فليفرحوا بهذا الدين وبهذا الكتاب العظيم الذي أنزل إليهم.

هذا القرآن يا عباد الله الذي ذكّر الله - عز وجل - به عباده، وقصص عليهم سبحانه وتعالى أحسن القصص، قال الله - عز وجل -: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَذَّبَ رُؤُوسَ الْفَاسِقِينَ وَلِيُذَكِّرَ أَكْثَرَكُمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْأَنْبِيَاءِ﴾ [سورة ص: ٢٩].

هذا الكتاب أنزله الله سبحانه وتعالى ليعمل به العباد، لا ليهجره، والله سبحانه وتعالى يقول عن هذا الكتاب العظيم: ﴿آلَهُ ۖ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٢].

فهذا الكتاب يهدي الله عز وجل به من أراد من خلقه ومن شاء سبحانه وتعالى، قال الله - عز وجل -: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِّمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [سورة ق: ٣٧].

أي في هذا الكتاب ذكرى لمن كان له قلب حاضر، لمن كان له قلب حي يفقه الكتاب ويفقه آيات ربنا جل وعلا، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [سورة ق: ٤٥].

وثبت عند ابن حبان بسند صحيح، من حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه قال قال: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ فَصَّصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ} [يوسف: ١] إِلَى قَوْلِهِ: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ} [يوسف: ٣] فَتَلَاهَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ حَدَّثْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا}»

[الزمر: ٢٣] الْآيَةَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَكَّرْنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ} [الحديد: ١٦] كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُونَ بِالْقُرْآنِ».

كل ذلك وهم يؤمرون بالقرآن، يؤمرون أن يأخذوا بهذا الكتاب العظيم، فَأَرَادُوا الْحَدِيثَ فَذَهَبُوا عَلَى أَحْسَنِ الْحَدِيثِ، وَأَرَادُوا الْقَصَصَ فَذَهَبُوا عَلَى أَحْسَنِ الْقَصَصِ.

ولكن اعلّموا وفقني الله وإياكم أن كثيراً من الناس هجروا كتاب ربهم، وتركوا كثيراً مما أمروا به تجاه هذا القرآن العظيم، وقد أخبر ربنا **سبحانه وتعالى** أن النبي - **ﷺ** - يأتي في ذلك المشهد العظيم وفي يوم القيامة يشتكي أمته الذين هجروا كتاب ربهم الذين لم يقفوا عند كتاب الله - **سبحانه وتعالى** - : ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٠].

يشتكي عليه الصلاة والسلام إلى ربنا جل وعلا، لأننا هجرنا هذا القرآن، لأننا ما وقفنا عنده كما يجب ربنا جل وعلا ويرضاه.

واعلموا وفقني الله وإياكم، أن هجران هذا الكتاب على أنواع وعلى أقسام، وكل واحد منه يدخل في هجران هذا القرآن العظيم.

ومن أعظم الهجران أن تهجر قراءة كتاب ربك، فبعض المسلمين ما يقرأ القرآن إلا من السنة إلى السنة ومن رمضان إلى رمضان ومن الجمعة إلى الجمعة أو ما سوى ذلك، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول كما في صحيح مسلم من حديث أبي أمامه الباهلي **ﷺ**: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا

الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقْرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِيهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ».

أولا تود أن يشفع لك هذا القرآن في ذلك اليوم العظيم، أولا تعلم يا عبد الله أن هذا القرآن يرفع الله - عز وجل - به درجاتك يوم القيامة.

ثبت عند الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا».

وثبت عند الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَلِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»، فإذا قال العبد ألف لام ميم كتب له ثلاثون حسنة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ولكنك ترى كثيرا من الناس قد هجر قراءة القرآن وأصبحوا لا يقرؤونه، فضيعوا كثيرا من الأجور عليهم.

ومن هجران كتاب ربنا هجران التدبر، فكم من الناس يقرؤون القرآن لكنهم مع ذلك لا يتدبرون كتاب ربهم **سبحانه وتعالى**، والله - عز وجل - يقول في كتابه الكريم: ﴿كَتَبْنَا إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِيَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَسْتَذْكُرُوا لَوْلَا أَلَّا لَبِئْسَ الْكِرِيمُ﴾.

والله - عز وجل - يقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُكَّرًا أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْجَدُوا فِيهِ

أَخْلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

ويقول سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلُكَّرًا أَمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَوْجَدُوا فِيهِ

أَخْلَافًا كَثِيرًا﴾ [سورة محمد: ٢٤].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [سورة الزمر: ٢٣].

فأين الذين تقشعر جلودهم إذا سمعوا آيات ربهم؟، أين الذين يكون إذا قرؤوا آيات الله سبحانه وتعالى؟ وأين الذين يتدبرون هذا الكتاب العظيم.

فهذه هي صفة الأبرار، عند سماع كلام الجبار، المهيمن العزيز الغفار، لما يفهمون منه من الوعد والوعيد. والتخويف والتهديد، تقشعر منه جلودهم من الخشية والخوف، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ لما يرجون ويؤمنون من رحمته ولطفه، ومن تدبرهم لكتاب ربهم فإنهم إذا تليت عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا، بأدب وخشية، ورجاء ومحبة، وفهم وعلم، كما قال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا

وَعُمًيًا﴾ [سورة الفرقان: ٧٣].

وقال جلّ جلاله: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ءَوْلاَ تُؤْمِنُوا إِنَّا لِلَّذِينَ ءُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ ١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝ ١٠٨ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۝ ١٠٩﴾ [سورة الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

وثبت عند ابن حبان من حديث عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ، عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبَرِنَا بِأَعْجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعَبُّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرَهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجَّتِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟، قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ آيَةً، وَيُلْ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا ﴿إِنِّي فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [سورة آل عمران: ١٩٠].

فهؤلاء هم الذين إذا تليت عليهم آيات ربهم لم يخرجوا عليها صماً وعمياناً، هؤلاء هم الذين يقرؤون كتاب ربهم، ويتدبرونه ويقفون عنده، هؤلاء الذين يرفعهم الله - سبحانه وتعالى - بتدبرهم لكتاب ربهم ولأنهم عملوا بهذا الكتاب العظيم وعلموا ماذا أراد الله - سبحانه وتعالى - منهم فكانوا على ما أراد الله وجلا وعلي ما كان عليه نبينا عليه الصلاة والسلام، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -

وأرضاه، أن النبي - ﷺ - قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ومنهم "وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"، أين هذا الرجل الذي يقف ويتدبر كتاب ربنا ثم تفيض عيناه؟ أين الذي يبكي عندما يقرأ كتاب ربنا؟ أين الذي يتدبر هذا الكتاب العظيم.

لقد قست قلوب يا عباد الله حتى أصبحنا لا نتدبر كتاب الله سبحانه وتعالى، وقد قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ أَلْمَاءٌ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٤].

هذا الكتاب الذي قال ربنا جل وعلا عنه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الحشر: ٢١]، ولكننا مع ذلك لا تخشع قلوبنا لذلك، فإلى الله المشتكى.

ومن هجران كتاب ربنا هو هجران التعلم، فكثير من الناس لا يتعلم كتاب ربه ولا يدري ما أحكامه وماذا فيه من الآيات والعبر، وماذا فيه من العظائم، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول كما عند البخاري من حديث عثمان بن عفان عليه رضوان الله: «حَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ» وفي رواية: «إِنَّ أَفْضَلَكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»، وجاء عند مسلم من حديث عقبة بن عامر عليه رضوان الله قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ، فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَى

بُطْحَانَ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ، فَيَأْتِي مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ، وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟»،
 فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ، أَوْ يَقْرَأُ
 آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ
 خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمَنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ».

هذه الرفعة يا عباد الله، في تعلم كتاب ربنا سبحانه وتعالى، أن نقف عند هذا
 الكتاب العظيم، الذي جعله الله عز وجل معجزة خالدة لهذه الأمة، لكن كثيراً من
 أبناء جلدتنا هجروه ولم يعملوا به، ولم يتدبروا ما فيه من الهدى والنور ففاتهم خيرٌ
 كثير.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله ربي وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثيراً أما بعد:

ومن هجران كتاب ربنا يا عباد الله، إلا وهو هجران العمل به، فكثير من المسلمين يقرؤه ويتدبره ويتعلمه لكنه لا يعمل به، وهذا يكون عليه حجة يوم القيامة والعياد بالله، فقد ثبت في صحيح مسلم، من حديث أبي مالك للأشعري عليه رضوان الله أن النبي -ﷺ- قال: **"وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ"**، فمن لم يعمل بهذا الكتاب العظيم، كان حجة عليه ولم يكن حجة له.

فانظر في نفسك أيها العبد وفَتِّش في أحوالك هل أنت ممن يعمل بالقرآن، وبما جاء فيه.

أولا ترون يا عباد الله كم نقرأ في كتاب ربنا عن الغيبة؟ عن النسيمة عن الربا عن الزنا عن غض البصر، هل رأيتُمونا نفعل بما أمر الله -**سبحانه وتعالى**- نقرأ القرآن ولكن الكثير منا لا يعمل به، والله -**سبحانه وتعالى**- يقول: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [سورة الحج: ٣٢]. فمن لم يعظم كتاب ربنا فما عظم هذه الشعيرة ولا كانت عنده من التقوى ما أمر الله -**سبحانه وتعالى**- به، لا بد من العمل يا عباد الله لا بد من أن نقرأ هذا الكتاب ونعمل به لا بد من أن نقف عند آياته ونحتكم إليه، ونعمل بما جاء فيه وإلا كان حجة علينا لا لنا، قال عبد

الله بن مسعود رضي الله عنه: كنا لا نتجاوز عشر آيات حتى نتعلمهن ونعمل بهن،
ونعلم حلالهن وحرامهن، فأوتينا العلم والعمل.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي: كنا إذا تعلمنا عشر آيات من رسول الله ﷺ لم
نزد عليها حتى نعرف ما فيها من الحكمة والعمل.

فهذا يدل على أنه يجب على المسلم أن يجمع بين تلاوة القرآن وفهم معانيه والعمل
بأحكامه.

ومن هجران كتاب ربنا عدم التحاكم إليه، فتجد بعض الناس الآن يتحاكمون
إلى القوانين الوضعية ولا يتحاكمون إلى كتاب ربهم، والله - سبحانه وتعالى - يقول:

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٧].

والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا
شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [٦٥].
يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يُحكم الرسول ﷺ
في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا؛ ولهذا
قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ أَي: إذا حكموك بطيعونك في
بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن
فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة.

ومن هجران كتاب ربنا عدم التصديق به، فهناك أناس الآن يشكون كثيرا من
أهل الإسلام بكتاب ربهم، ويضربون آياته ببعضها والله - سبحانه وتعالى - يقول:

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

وقد قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ». متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال العلامة السعدي: فالآيات في كتاب ربنا منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض الناس، فالواجب في هذا أن يرد المتشابه إلى المحكم والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يصدق بعضه بعضاً ولا يحصل فيه مناقضة ولا معارضة، ولكن الناس انقسموا إلى فرقتين ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ميل عن الاستقامة بأن فسدت مقاصدهم، وصار قصدهم الغي والضلال وانحرفت قلوبهم عن طريق الهدى والرشاد ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي: يتركون المحكم الواضح ويذهبون إلى المتشابه، ويعكسون الأمر فيحملون المحكم على المتشابه ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ لمن يدعوهم لقولهم، فإن المتشابه تحصل به الفتنة بسبب الاشتباه الواقع فيه، وإلا فالمحكم الصريح ليس محلاً للفتنة، لوضوح الحق فيه لمن قصده اتباعه. انتهى كلامه

والله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣]. فالذي يصدق بكتاب ربنا سبحانه وتعالى

فهذا هو المتقي، وأولئك عند الله - سبحانه وتعالى - هم الفائزون هم المفلحون هم الذين ينالون الدرجات العلى، لأنهم آمنوا بربههم وصدقوا بهذا الكتاب العظيم. فتدبروا أيها المسلمون هذه الآية كثيراً: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٠].

يقول تعالى مخبراً عن رسوله ونبيه محمد ﷺ أنه قال: ﴿يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾، وذلك أن المشركين كانوا لا يُصغون للقرآن ولا يسمعون، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦] وكانوا إذا تلى عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره، حتى لا يسمعه. فهذا من هجرانه، وترك علمه وحفظه أيضاً من هجرانه، وترك الإيمان به وتصديقه من هجرانه، وترك تدبره وتفهمه من هجرانه، وترك العمل به وامتنال أوامره واجتناب زواجره من هجرانه، والعدول عنه إلى غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره كل هذا من هجرانه، فنسأل الله الكريم المنان القادر على ما يشاء، أن يخلصنا مما يُسخطه، ويستعملنا فيما يرضيه، من حفظ كتابه وفهمه، والقيام بمقتضاه آناء الليل وأطراف النهار، على الوجه الذي يحبه ويرضاه، إنه كريم وهاب. والحمد لله رب العالمين.

وأنذرهم يوم الحسرة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤).

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَكَةٌ، وَكُلُّ ضَالَكَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله إِنَّ المتأمل لحال أمتنا الإسلامية، والمتأمل لحال المسلمين وما هم فيه من الانفتاح الذي حصل لهم في هذه الحياة الدنيا، وما دخل عليهم من أعداء الدين من اليهود والنصارى، مما أدخلوه على المسلمين، مما ليس من الإسلام في شيء، حتى راح المسلمون ينقادون وراءهم وانفتحوا كانفتاحهم، وسلكوا الطريق الذي سلكوه في مشابعتهم في كثير من الأمور وصدق نبين الكريم عليه الصلاة وأفضل التسليم إذ يقول كما في الصحيحين عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: «لَتَبْعَنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلَكُمْ، شَبْرًا بِشَبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ لَا تَبْعَتْهُمْ» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ».

والسنن هو الطريق والمراد بالشبر والذراع وجحر الضب التمثيل بشدة الموافقة لهم والمراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، فالمسلمون في هذه الأزمنة طغت عليهم المتابعة للغرب، والنظر لهم بنظرة المتعجب من انفتاح الدنيا عليهم، فذهبوا يتابعوهم في كثير من أمورهم، حتى زادت الفواحش والمنكرات في بلدان المسلمين بدعوى التقدم والتحضر، وطغت الفتن على الناس، وظن أهل الدنيا أنهم قادرون عليها وما يدرون أن هذا بابٌ يستدرج الله - عز وجل - به عباده، فإن الله - سبحانه وتعالى - يقول في كتابه الكريم: ﴿فَلَمَّا دُسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ (٤٤).

فإذا فتح الله - عز وجل - الدنيا وأبوابها على كثير من الخلق، فلا يعني هذا أنه - سبحانه وتعالى - يحبهم، ولا يعني أن الله - عز وجل - فرح بهم، وإنما هو استدراج بمتاع الدنيا الزائل، قال ربنا **سبحانه وتعالى**: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٢٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرَرًا عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكٍ لَّمَّا مَتْنَعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾ [سورة الزخرف: ٣٣-٣٥].

فالله - سبحانه وتعالى - يفتح على الفجار والكفار من هذه الدنيا؛ حتى يزدادوا وبالاً وعذاباً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّكُمْ تَمْلِكُ لَهُمْ حَيْرٌ لَّا أَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نَمْلِكُ لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٨).
وأما العبد المؤمن فإن الله يحميه من الدنيا لأن الله يحبه، روى الإمام أحمد بسند صحيح من حديث محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ فِي الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ تَخَافُونَ عَلَيْهِ " وعند الترمذي من حديث قتادة بن النعمان، أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَمَاهُ الدُّنْيَا كَمَا يَظُلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ الْمَاءَ».

أي منعه عنها ووقاه من أن يتلوّث بزينتها كيلاً يمرض قلبه بداء محبتها، كما يكون "يحمي سقيمته" أي: مريضه، لا سيما إذا كان معه مرض الاستسقاء أو ضعف المعدة ونحوها مما يضره الماء فيمنعه الماء لئلا يزيد مرضه بشربه، مع أن الماء أرخص شيء، فلا يتصور فيه البخل خصوصاً بالنسبة إلى المريض الذي يحن عليه كل أحد، فالحكمة تقتضي أن المحبوب عند أهله وآله يكون ممنوعاً من كل شيء يضره في حاله. فيمنع الله - سبحانه وتعالى - الدنيا عن عباده المؤمنين، لأنه - سبحانه وتعالى -

قد ادخر لهم في الآخرة شيئاً عظيماً، ومع هذا الانفتاح العظيم الذي حصل للناس في هذه الحياة الدنيا ومع كثرة الغفلة في الناس عن دين الله - عز وجل - وعن وعد الله - سبحانه وتعالى - الصادق وعن ما هو فيه من غفلة عظيمة كان لا بد لنا أن نذكر الناس بأمر عظيم ويوم عظيم أمر الله - سبحانه وتعالى - نبيه عليه الصلاة

والسلام أن ينذر أمته به، وأن يحذرهم منه حتى يأخذوا حذرهم لذلك اليوم العظيم، قال الله - عز وجل - مخبراً عن نذارة عظيمة: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة مريم: ٣٩].

أمر الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام أن ينذر الناس يوم الحسرة، فإنَّ يوم الحسرة يكون فيه أمور عظيمة، وحسرات عظيمة تشتد على العبد المسلم، حسرات لم تمر به قبل ذلك في هذه الحياة الدنيا ولم يتصورها أبداً، لهذا أمر الله - عز وجل - نبيه بهذا الإنذار العظيم للناس، ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، هذه الحسرة يا عبد الله، التي نحن الآن في غفلة عنها، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾، أي وحال أهل الدنيا في هذه الحياة الدنيا، أنهم في غفلة عن هذه الحسرة، لا يفكرون فيها، ولا يفكرون في مآلها، يعلمون أنهم قادمون عليها ولا يعملون لها، وصدق ربنا سبحانه وتعالى إذ يقول: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١) مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢)

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَيَرُدُّهُنَّ إِلَىٰ صَفْوٰةٍ مُّطَهَّرَةٍ [سورة الأنبياء: ١-٤].

ولهذا أحببنا أن نذكر معاشر المسلمين ببعض مواقف الحسرات؛ التي تصيب الناس من يوم أن يخرجوا من هذه الحياة الدنيا، إلى أن يلقوا ربهم سبحانه وتعالى.

فأول هذه الحسرات التي تغشى العباد لا يخلو من هذه الحسرة عبداً إلا من رحمه الله سبحانه وتعالى، ألا وهي حسرات الموت، عندما ينزل بهم ملك الموت فيقف عند رؤوسهم فتأخذهم حسرة لأنه قد انقطعت أعمالهم وكتبت ذنوبهم وختم على

أعمالهم، فمن عمل سيئة ختم عليها ومن عمل ذنباً ختم عليه ترفعه الملائكة التي كانت تحصي عليك، والتي كانت تكتب لك ترفع الحسنات، فلا يكتب بعد ذلك شيء أبداً في صحيفة حسناتك من أعمالك، ولا في صحيفة سيئاتك، لهذا تزداد الحسرة والموقف يعظم على ذلك العبد حين يأتيه ملك الموت فيقف عند رأسه، فلا تدري إلا وهو من تلك الساعة، ومن تلك اللحظات يتمنى على الله - عز وجل - الأمانى، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝١١ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٢﴾ [سورة المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠].

بدأت الحسرات العظيمة على ذلك الذي أسرف على نفسه في الدنيا، وغفل عن العمل للأخرة، فلا يجد إلا أن ينادي ربه - سبحانه وتعالى - أن يتركه في الحياة الدنيا ولو قليلاً أن يمهل ساعات أن يمهل لحظات أن يمهل ثوان لماذا يا عبد الله؟ تريد أن ترجع إلى الحياة الدنيا؟ لماذا حين عاينت الموتى؟ أيقنت بوعد الله سبحانه وتمنيت على ربك - سبحانه وتعالى - الأمانى، ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۝١١﴾ لماذا؟ ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾، وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٢﴾ [سورة المنافقون: ١٠].

فهل ينفعه هذا الكلام؟ وهذه الأمانى؟ قال رب العالمين سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١١﴾ [سورة المنافقون: ١١].

تلك اللحظات بدأت الحشرات، وصعدت الزفرات، وتتابعت العبرات، فقد انقطع عن هذا العبد العمل فلا يستطيع أن يزيد في عمله شيئاً، ولا أن يستعقب من الذنوب ويرجع ويتوب، كل ذلك انقطع بنزول الموت عليه، روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّي أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمرُهُ إِلَّا خَيْرًا».

فيه إشارة إلى أن المعنى في النهي عن تمني الموت والدعاء به هو انقطاع العمل بالموت فإن الحياة يتسبب منها العمل والعمل يحصل زيادة الثواب ولو لم يكن إلا استمرار التوحيد فهو أفضل الأعمال، فكلما ازداد عمر المؤمن ازداد خيراً بالأعمال الصالحة، يكفي أنه يصلي، ويقرأ القرآن، ويواظب على حضور الجمعة والجماعات، ويصوم رمضان، فيكتب له بذلك حسنات عظيمة، ونزول الموت يقطعه عن ذلك كله، ولهذا الموقف كم بكى الصالحون، وتحسّر المؤمنون على فوات العمل الصالح الذي كان يرفعهم عند ربهم **سبحانه وتعالى**، بكى معاذ بن جبل رضي الله عنه عند موته وقال: "اللهم إني لم أحب البقاء في الدنيا لا لغرس الأشجار، ولا لجري الأنهار، إنما أبكي لظماً أهواجر وقيام الليالي المظلمة، ومزاحمة العلماء بالركب، ومجالسة أناس ينتقون أطيب الكلام، كما ينتقى أطيب الثمر"، وقال أحد الصالحين عند موته: "إنما أبكي على أن يصلي المصلون ولست فيهم، وأن يصوم الصائمون ولست فيهم، ويذكر الذاكرون ولست فيهم"، فإذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة من العمل

الصالح، فكيف يكون حال المسيء؟ فياحسرتاه على غفلة الناس عن قدوم الحسرات، وتقطع القلوب على عبادة ربّ البريات.

والحسرة التي تليها إذا أخذه الناس إلى قبره فدخل في ذلك القبر المظلم، وتركه أولاده وتركته زوجته، وتركه أحباؤه وتركه خلانه، وتركته أمواله، فلن يبقى معه أحد، رجعوا وتركوه في تلك الحفرة، هناك يشعر بحسرة عظيمة، أعظم من سابقتها، لأنه يعلم أنّ ما جمعه في الدنيا لم يكن لينفعه في حفرته تلك، إلا ما كان قدّم منه لله سبحانه وتعالى، وما سوى ذلك فقد تركه لغيره، ولم ينزل معه إلا عمله الذي عمله ورجع أهله وماله، ثبت في الصحيحين، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "يَتَّبِعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى مَعَهُ وَاحِدٌ: يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيَبْقَى عَمَلُهُ".

فإذا ادخل في تلك الحفرة اشتدت حسرته تلك الحسرة العظيمة حين يأتيانه ملكين فيقفان عنده ويجلسانه ويقعدانه فيقولان له من ربك؟ فيقول ها ها لا أدري ما دينك؟ قال ها ها لا أدري ما ذلك الرجل الذي بعث فيكم؟ قالها ها ها لا أدري، حسرة عظيمة في تلك الساعة، التي علم في تلك اللحظات أنّه قصّر في تعلم أمر دينه، كم ضيع هذا الأمر الذي كان يظنه ضياعاً، وكان يلزم من أقبل على طلب العلم بأنّه ضائع لا عمل له، الآن علم أنّه لا ينجو في ذلك المكان إلا من علم وعمل بعلمه.

فلا تنفعه تلك الحسرة ولا تنفعه الندامة ولا ينفعه أي شيء في تلك اللحظات إلا عمله الصالح، فيقول له ذلك الملكان لا علمت ولا تليت ولا دريت فيضربانه ضربة

يسمعه كل من في الأرض إلا الثقلين أي إلا الجن والإنس، حسرة عظيمة في تلك الساعة، وحين يقول ها لا أدري فينادي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرَشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا، وَسَمُومِهَا، وَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُتَمِنُ الرِّيحِ، فيقول: أَبَشِّرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فيقول: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فيقول: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، فيقول: رَبِّ لَا تَقِمِ السَّاعَةَ " رواه أحمد عن البراء بن عازب.

اسمع إلى صريخه وهو يقول: رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة رب لا تقم الساعة، يخاف من الحسرة العظيمة التي ستكون في ذلك المشهد العظيم، كيف وهي أعماله سيئة؟ بماذا يلقي ربه جل وعلا؟ بماذا يلقي ربه **سبحانه وتعالى**؟ وأعماله لا تهين له أن يلقي الله **سبحانه وتعالى**، في تلك الساعة ما يدري إلا وقد قامت القيامة وبعث بين يدي ربه **سبحانه** فتصيبه حسرة أعظم وحسرة أكبر من سابقتها؛ حين يرى أنه فرط في حياته بالأعمال الصالحة وقصر تقصيرًا عظيمًا، قال الله **سبحانه وتعالى**: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ الْعَذَابُ بُعْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ [سورة الزمر: ٥٥-٥٦].

هناك تذكر أنه فرط في الأعمال الصالحة، هناك تذكر أنه قصر، هناك تذكر أنه مرت عليه أوقات ما صلى فيها، مرت عليه ساعات ما ذكر الله، مرت عليه أوقات

وأيام ما قرأ القرآن، مرت عليه أوقات ما تصدق، مرت عليه أوقات ما وصل أرحامه، مرت عليه أوقات وهو في غفلة، وهو في لعب وهو في لهو، وهو أمام الدشوش والفضائيات، وهو أمام الانترنت، فيصرخ بأعلى صوته: ﴿نَفْسٌ بِحَسْرَةٍ عَلَى مَا فَرَطَتْ فِي جَنِّ اللَّهِ﴾، هناك يتحسر على تلك اللحظات التي مرت عليه دون أن يذكر الله سبحانه وتعالى، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿٥٧﴾

أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

يتمنى لو أن الله سبحانه وتعالى هداه إلى الطريق القويم والصراط المستقيم، فما الذي منعك في الدنيا عن الهداية؟ ما الذي حجب عنك باب التوبة؟ ما الذي أغلق عليك باب المسجد؟ ما الذي أمسك لسانك عن ذكر الله؟ ما الذي منعك عن أن تعبد الله سبحانه وتعالى؟ وتتقرب إلى الله - عز وجل - بالطاعات؟

إنها نفسك الأمارة بالسوء، أنه شيطانك الذي زين لك المعاصي، وأبعدك عن عبادة الله وأراك العبادات ثقيلة، فحينها تود أن ترجع إلى الدنيا فتعمل صالحًا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٥٨﴾ [سورة الزمر: ٥٨].

يريد أن يرجع إلى الحياة الدنيا، ليتزود من الأعمال الصالحة، ولكن هيهات أن يُجاب لمثل هذه الأمانى الكاذبة، فلو كان صادقًا ما ضيع عمره، ولا ترك ما أمره ربه، ولا عمل المعاصي التي أبعدته عن الخير.

فتنبه لهذه الحسرة العظيمة يا عبد الله، قبل أن تقع فيها في تلك الساعة، أو تقول حينها لَوَأْتُ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، أنت الآن في الكره التي يطلبها الكثير ممن سبقك إلى الدار الآخرة، ويتمنى لو كان مكانك، أنت الآن ما زلت في الدنيا، كم ممن سبقوك إلى الدار الآخرة الآن يقولون هذا الكلام في قبورهم، لَوَأْتُ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ، وأنت ما زلت في الدنيا تتقلب لكنك مغرور مشغول بهذه الدنيا الفانية، قال الله - عز وجل -: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [سورة لقمان: ٣٣].

إياك أن تغتر بطول الأمل في الدنيا، إياك أن تغتر بأموالك وبأولادك وبزوجتك وبنينك وبما فتح الله عليك من متاع الدنيا وتذكر قول رب العالمين سبحانه: ﴿قُلْ مَنعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [سورة النساء: ٧٧].

فإياك أن تغرَّك هذه الحياة الدنيا، فتأتي عليك ساعة تتندم فيها ندمًا عظيمًا. فتخيّل أيها المسلم هذه الحسرة العظيمة لذلك الذي فرط وضيع كثيرًا من الصالحات وأعمال البر، يوم أن يرى الناس في ذلك المشهد وفي تلك الساعة أعمالهم عظيمة وهو أعماله قليلة، وتزداد تلك الحسرة إن كان مبتدعًا في دين الله سبحانه وتعالى، كان ممن يعمل أعمالاً على غير هدي النبي ﷺ، من البدع والمحدثات التي يفعلها كثير الناس وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ

هَلْ نُنَبِّتُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ [سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤].

هذا مغرورا والله لأنه في تلك الساعة تنكشف الأمور أمامه، وتنكشف أعماله ويعلم أن هذه الأعمال جاءت في ميزان السيئات لا الحسنات، وأن هذا العمل الذي كان يعمل به محدثا وبدعة في دين الله ما أنزل الله بها من سلطان قال الله **سبحانه وتعالى**: ﴿وَبَدَأَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [سورة الزمر: ٤٧].

كم ترى أهل السنة يُحذِّرون الناس من المحدثات ومن البدع، يا أخي لا تفعل هذا محدث، هذه بدعة، وهو يظن أنه يحسن صنعا، ولا يدري إلا وقد أصابته الحسرة يوم لقاء الله **سبحانه وتعالى** حين يرى عمله ذاك انقلب عليه وزرا، بعد أن كان يرجو أن ينال به أجرا، أنها ما تغني عند الله **سبحانه وتعالى** من شيء.

وترداد هذه الحسرة، حسرة فوقها إذا قدم العبد بعملٍ، قدم بصلاة وقدم بصيام وقدم بزكاة وقدم بصدقات وقدم ببر للوالدين وقدم بصلة للأرحام وقدم بتفقد لأحوال الناس أعمال عظيمة لكنه تُسلب وتؤخذ منه في تلك الساعة، لماذا؟ ما الذي حصل إنَّها مظالم الناس.

ظلم هذا، سب هذا، شتم هذا، اغتاب هذا، نم هذا؟ قذف هذا؟ ظلم هذا، فكيف يكون حالك حين يأتي هؤلاء يطالبونك بمظالمهم، روى الإمام مسلم من حديث أبي هريرة **رضي الله عنه**، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ

بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».

ما أشدها من حسرة حين يعمل العبد المسلم الأعمال ثم يهدمها، ويذهب عليه أجرها بسبب ظلمه للناس، بسبب تعديه بلسانه أو بيده، فهو عنده ثروة من الحسنات لكنه يأتي وقد شتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا، وسفك دم هذا، أي اعتدى على الناس بأنواع الاعتداء، والناس يريدون أخذ حقهم، ما لا يأخذونه في الدنيا يأخذونه في الآخرة، فيقتص لهم منه؛ فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته بالعدل والقصاص بالحق، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرح عليه، ثم طرح في النار، والعياذ بالله.

تنقضي حسناته، ثواب الصلاة ينتهي، وثواب الزكاة ينتهي، وثواب الصيام ينتهي، كل ما عنده من حسنات ينتهي، فيؤخذ من سيئاتهم وي طرح عليه، ثم يطرح في النار، العياذ بالله..

وصدق النبي ﷺ فإن هذا هو المفلس حقاً، أما مفلس الدنيا فإن الدنيا تأتي وتذهب، ربما يكون الإنسان فقيراً فيمسي غنياً، أو بالعكس، لكن الإفلاس كل الإفلاس أن يفلس الإنسان من حسناته التي تعب عليها، وكانت أمامه يوم القيامة يشاهدها، ثم تؤخذ منه لفلان وفلان.

وفي هذا تحذير من العدوان على الخلق، وأنه يجب على الإنسان أن يؤدي ما للناس في حياته قبل مماته، حتى يكون القصاص في الدنيا مما يستطيع، أما في الآخرة فليس

هناك درهم ولا دينارٌ حتى يفدي نفسه، ليس فيه إلا الحسنات، يقول الرسول ﷺ: "فياخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم ثم طرح عليه وطرح في النار"

فأمسك يا أخي عليك لسانك، وأمسك عليك يدك لا تظلم، لا تبطش، لا تأكل أموال الناس، لا تتكلم بالباطل، لا تغتب، لا تنم، لا تتكلم في أعراض الناس كل هذا من الظلم الذي تظلم به نفسك، وما تدري في ذلك اليوم إلا وقد أفلست وأصبحت حسراتك عظيمة، نسأل الله - عز وجل - أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله ربي وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليم كثير أما بعد:

ثم تتوالى عليه تلك الحسرات، إن كان ممن يعطى كتابه بشماله، فيالها من حسرة حين يرى ذاك المؤمن التقي قد أخذ كتابه يمينه وهو أخذه بشماله، حين يرى ذاك قد ابيض وجهه وهو اسود وجهه، حين يرى ذاك مع معاشر المؤمنين وهو مع معاشر المنافقين والفجار والكفار قال الله - عز وجل -: ﴿وَأَمْتَنُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ (٥٩).

وقال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ (٢٢).

مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ (٢٣) [سورة الصافات: ٢٢-٢٣].

يتميز المسلم عن الكافر والمحسن عن الفاجر، وأهل الجنة عن أهل النار يمتازون، كل أناس في جهة مع من كان معهم في الدنيا بعمله واعتقاده وأخلاقه.

والحسرة الأعظم لمن ألقى في نار جهنم، لمن كان من أصحاب الجحيم، كم يتحسّر هؤلاء على أن لم يؤمنوا بالله العظيم، قال الله سبحانه وتعالى عن أصحاب

النار: ﴿كَلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ (٨) قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا

نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ (٩) قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ

﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحِقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١١) [سورة الملك: ٨-١٢].

ثم يتلاومون بينهم في تلك النار، لتزداد حسرتهم حسرات عظيمة، تجد هذا ينكر على ذاك الذي أظله في الدنيا وذاك ينكر على خليله الذي كان يحبه في الدنيا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَنَاخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا يَوَدُّكَ لِيَتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [سورة الفرقان: ٢٧-٢٩].

لهذا يقول ﷺ، كما عند أبي داود من حديث هريرة رضي الله عنه: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»، أي على دين صاحبه، على دين رفقة فلينظر أحدكم من يخال، ومن يصاحب، لأنك يا عبد الله إذا أحببته وهو عاص لله، ما تدري إلا وهو يأخذ بيدك إلى معصية الله ويجرُّك من ضلالة إلى ضلالة، حتى يوقعك في نار جهنم، ثم هؤلاء الذين كانوا اتباعا في الحياة الدنيا، تزداد حسرتهم حين يرون الذين أضلوهم في نار جهنم، قال ربُّ العزة واصفًا هذا المشهد العظيم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ۝١٦٥ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَدْرِي مَا كُنَّا كَذِبًا لَّأُفٍّ لَّكَ يَا رَبُّ لَوْلَا إِتْرَافُكَ يَوْمَ تُنْفَخُ الْأَسْبَابُ لَخَسَفَ كُلُّ سَائِرٍ مِّنَ الْوُجُوهِ إِلَّا وُجُوهٌ شَقِيحَةٌ لَّدُنِّي فَهُمْ عَصَوْنَ ۝١٦٧﴾ [سورة البقرة: ١٦٥-١٦٧].

تقطعت أسباب المودة التي كانت بينهم الحزبية التي كانت تجمعهم تقطعت في الآخرة، المودة والخلة لأجل الدنيا التي كانت تجمعهم تقطعت في الآخرة، العلمانية

التي كانوا يدافعون عنها تقطعت في الآخرة، كل ما كان يجمعهم من مصالح في الدنيا، تقطعت في الآخرة، وتقطعت بهم الأسباب، هناك يتمنى أولئك الذين اتبعوا لو أن لهم كرة فيتبرؤون من أولئك المتبعين، قال الله: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ (٣٢) وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضِعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٣٣)﴾.

أعداء الله يمكرون بك يا عبد الله وأنت تتابعهم على مكرهم، وتسير خلفهم، وتنبهر بتقدمهم الصناعي وما وصلوا إليه، فلا تدري إلا وأنت تتابعهم على كفرهم وترضى به، فإياك يامن هكذا حالك أن تأتي يوم القيامة تتبرأ هذا التبرؤ العظيم، بل مكر الليل والنهار، فكم من مكر الآن يحاك بالمسلمين من قبل أعداء الله لرحلتهم عن دينهم وإفساد أخلاقهم، ومن أعظم المكر الذي يحاك بالمسلمين هو في هذا الدشوش والفضائيات التي أصبحت الآن فيها إباحية عظيمة، تفسد أخلاق المسلمين فسادًا عظيمًا، تفسد كذلك بنات المسلمين وتفسد نساء المسلمين، وتفسد شباب المسلمين وتفسد أبناء المسلمين، هذه والله من مكر الليل والنهار، الذي

يمكر به أعداء الله على المسلمين، والمسلمون فرحون بمثل هذه التي أفسدتهم، كم من الناس الآن يقضون أوقاتهم أمام الشاشات والفضائيات، من فضائية إلى فضائية، ومن قناة إلى قناة ومن مسلسل إلى مسلسل، ومن فيلم إلى فيلم ومن خنا إلى خنا، ولا نكير والله المستعان، وكذا من المكر هذه الجولات التي سهلت كثيرًا من الفواحش وقربت لأبناء المسلمين الشر، وأوصلته إلى أيديهم وحيث كانوا، والله المستعان.

فإياك أن تأتي في ذلك اليوم العظيم، تقول لأولئك الذين أفسدوك بل مكر الليل والنهار، بل مكر الليل والنهار، إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا.

يا عبد الله إنك يوم القيامة ستتحسر حسرات عظيمة، لهذا يقول الله - عز وجل - بعد هذه الآيات: ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا﴾ لما رأوا العذاب أسروا الندامة والحسرة، فكيف يبدوونها؟

وقال ربنا **سبحانه وتعالى** في آية أخرى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٤].

فإذا رأوا ذلك تتقطع قلوبهم وأكبادهم، حسرات عظيمة، ولكن تزداد الحسرة، إذا رأوا أهل الجنة في نعيمهم وفيما هم فيه يتقلبون، من نعم الله - **سبحانه وتعالى** - التي أنعم الله - عز وجل - بها عليهم، فيسألونهم أن يسقوهم من الماء، أو مما رزقهم الله، أهل النار يتمنون قطرة من الماء يستعذبونها يشربونها، يطفئون بها حر قلوبهم،

ولهيب أكبادهم وأجسادهم، قال ربنا **سبحانه وتعالى**: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٥٠).

من هم هؤلاء الكافرون؟ قال الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلِعِبًا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِتَائِبِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٥١).

وفي تلك الساعة وفي ذلك المشهد العظيم، تزداد الحسرة أشد حين يناديهم أهل الجنة ويسألونهم، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذْنِ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (سورة الأعراف: ٤٤).

والله إنها حسرة عظيمة، فما يدرون إلا وحسرتهم تزداد فيلجئون إلى مالك - عليه السلام - ينادونه: ﴿وَنَادُوا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَرْكُوثٌ﴾ (سورة الزخرف: ٧٧-٧٩).

فعندها ينادون ربهم - **سبحانه وتعالى** - يخرجهم ليعملوا صالحًا، قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (سورة فاطر: ٣٧).

فتنبه يا عبد الله أنت الآن ما زلت في الحياة الدنيا، ما زالت روحك في جسدك تستطيع أن تعمل وأن تتزود من الطاعات، وأن تتوب من المعاصي والمنكرات، تستطيع أن تعمل الأعمال التي يحبها الله سبحانه وتعالى، فلا تضع عليك هذه الفرصة العظيمة، ولا تنتظر حتى تنزع روحك من جسدك، وحتى يرفع قلمك وحتى يختم على سيئاتك وعلى حسناتك، اعمل يا أخي قدم لنفسك من الأعمال الصالحة لا تفتر عن الصلاة وعن العبادة وعن ذكر الله لا تفتر عن الصدقة لا تفتر عن صلة الأرحام لا تفتر لسانك عن ذكر الله - سبحانه وتعالى - حتى لا تذوق وبال هذه الحسرات، فأنت ما دمت في الدنيا فما زلت في الفسحة التي يطلبها كثير ممن مات قبلك، وقد جاء عند الترمذي من حديث أبي بكر، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ، قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ».

أسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن تطول أعمارهم ويحسن عملهم، والحمد لله رب العالمين.

التحذير من خلق الكسل

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَكَةٌ، وَكُلُّ ضَالَكَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدِ أَمَرَ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ، وَنَهَى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْإِتِّصَافِ بِسَيِّئِهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مُتَصِفًا بِالْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، مُبْتَعِدًا عَنِ رذَائِلِ الْأَخْلَاقِ وَعَمَّا يَسْتَقْبِحُ وَيَسْتَنْكَرُ.

ولهذا نقف في هذه الدقائق المعدودة بإذن الله عز وجل مع خلق سيئ، نهى عنه عليه الصلاة والسلام، وذمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي كِتَابِهِ، وذمه نبيه عليه الصلاة

والسلام في سنته. ولا يتصف بهذا إلا من كان ليس له همة عالية، ومن ليس له عزم يقوده إلى معالي الأمور، ومن هو عاجز في هذه الحياة الدنيا، **إنَّه خلق الكسل.**

الكسل يا عباد الله، خلق ذميم يحمل الإنسان على التثاقل عن الطاعات ويبعده عن العمل بما أمره الله عز وجل به، كل هذا بسبب هذا الخلق الذميم الذي أصبح يتصف به معظم الناس، **إنَّه خلق الكسل.**

والله عز وجل قد ذم الكسل في كتابه، وبين **سبحانه وتعالى** في كتابه أن هذا الخلق الذميم إنما هو من صفات المنافقين، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ [سورة النساء: ١٤٢].

فإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى، لماذا يقومون كسالى؟ لأنهم لا يرجون ثواباً من الله **سبحانه وتعالى** ولا يعملون إلا الأعمال التي يراءون بها الناس ويظنون أنهم ينتفعون بها في الدنيا، فيحملهم هذا على التثاقل والكسل، والبعد عما يحبه الله **سبحانه وتعالى**، قال الله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُفْقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٥٤﴾ [سورة التوبة: ٥٤].

فردها الله عز وجل عليهم بسبب هذا التثاقل والتكاسل عن العبادات، بسبب هذا الخلق الذميم، ولهذا حذر النبي عليه الصلاة والسلام من هذا الخلق الذميم، وحث على النشاط. بل كان النبي عليه الصلاة والسلام يتعوذ بالله من الكسل، ثبت

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك عليه رضوان الله قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

فكان ﷺ يتعوذ بالله من هذا الخلق الذميم، من الكسل، لأنه إذا أصاب عبداً، لا يكاد يفيق من نومه وسباته، ويظل يمني نفسه بالأمان، ويغالط نفسه حتى يلقي ربه سبحانه وتعالى، جاء في الصحيحين من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانًا».

أصبح خبيث النفس كسلان، يخرج من معصية إلى معصية، ومن دعة إلى دعة، ومن نوم إلى نوم، ومن كسل إلى كسل، ما زال على تلك الحالة، متكاسلاً عن طاعة ربه سبحانه وتعالى، ولهذا نهى الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم عباده المؤمنين عن التباطؤ عن طاعة الله فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ خَلْقِ الْمُؤْمِنِ، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُمُ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة التوبة: ٣٨].

تكاسلمت ورضيتم بالخلود والمكوث والهدوء والسكينة والدعة، وتركتم ما أمركم الله سبحانه وتعالى. أَرْضَيْتُمْ بالحياة الدنيا عوضًا عن الآخرة، فمتاع الحياة الدنيا في الآخرة قليل جدًا، فالكسل في هذه الحياة الدنيا عن طاعة الله سيجعل العبد يداَّب ويتعب وينصب في نار جهنم والعياذ بالله، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ۝١ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾. تصلى نَارًا حامية في نار جهنم بسبب كسلها وبسبب بعدها عن دين الله وعن طاعة الله سبحانه وتعالى.

والكسل يا عباد الله له آثار وخيمة على العبد، تحمله على الابتعاد عن طاعة الله عز وجل، وتُبعده عن الصلاة.

ما أكثر الذين لا يصلون في هذه الأيام وما ذاك إلا بسبب الكسل، وبسبب أنهم رضوا بالحياة الدنيا عوضًا عن الآخرة، وإلا فالله سبحانه وتعالى لم يأمر نبيه بالكسل أبدًا. بل، انظروا لما رجع النبي عليه الصلاة والسلام من غار حراء، ورجع إلى أهله وقال: "دثروني، دثروني، زملوني، زملوني"، فجاءه الوحي من ربه سبحانه وتعالى بعدم النوم والقيام والنشاط في الطاعة والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، قال الله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الْمُدِثِّرُ ۝١ فَرَّانْدَرٌ ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَيِّرٌ ۝٣ وَيُنَابِكَ فَطَهْرٌ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾.

قال الله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمِلُ ۝١ فَرَّالِيلٌ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نَصْفَهُ أَوِ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْفُرْآنَ أَنْ تَرْتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [سورة المزمل: ١-٥].

الأمر ليس هيناً حتى يتخلى الإنسان عن العمل في الحياة الدنيا، وقال ربنا **سبحانه**

وتعالى أمراً نبهه بالعمل: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ

ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾.

إذا فرغت يا محمد من الدعوة إلى الله في النهار، عليك أن تنصب رجلك لربك

سبحانه وتعالى في الليل وتعبد ربك سبحانه تعالى، وتتقرب إليه بالطاعات حتى

يأتيك اليقين، قال الله **سبحانه وتعالى**: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿١٧﴾

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿١٩﴾﴾.

أي: وإنا لنعلم يا محمد أنك يحصل لك من أذاهم لك انقباض وضيق صدر. فلا

يهيدنك ذلك، ولا يثنينك عن إبلاغك رسالة الله، وتوكل على الله فإنه كافيك

وناصر لك عليهم، فاشتغل بذكر الله وتحميده وتسيحه وعبادته التي هي الصلاة؛

﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ أي: الموت أي: استمر في جميع الأوقات على التقرب

إلى الله بأنواع العبادات، فامثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائباً في العبادة، حتى أتاه

اليقين من ربه ﷺ تسليماً كثيراً.

فنحن إذا أصابتنا هموم أو مصائب، حملنا وكسلنا ورقدنا، ولم نقم بالأعمال التي

تقربنا من الله **سبحانه وتعالى**، والتي تذهب عنا الهموم والغموم، وهذا كله بسبب

هذا الخلق الذميم الذي حملنا على هذا الأمر العظيم، حتى أوصل كثيراً من المسلمين

إلى ترك عبادة الله **سبحانه وتعالى**، وليته اقتصر عن ذلك، بل زاد على هذا أن دعا إلى

الكسل، فالذي يكسل تجده يخذل غيره عن الطاعات والعبادات، وما ذاك إلا لحسده لأهل الطاعة وعدم عمله بعملهم.

وتراه في المجالس يتكلم، وفي الطرقات يتكلم، فيكثر كلامه ولا عمل عنده يقربه من الله سبحانه وتعالى، فلا ينفعه الكلام بدون العمل المقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

فما أكثر الشيطان في أمور الدنيا اليوم، وإذا كان في جانب الدين كان متكاسلاً، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن من أعظم الآثار التي يحصدها هؤلاء الأشخاص الكسالى هو أنهم يبعدونك عن تحمل المسؤولية التي حملتها، فالمسؤولية التي تحملها ابن آدم عظيمة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٢].

يعظم تعالى شأن الأمانة، التي ائتمن الله عليها المكلفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السر والخفية، كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة، السماوات والأرض والجبال، عرض تخيير لا تحميم، وأنت إن قمت بها وأدّيتها على وجهها، فلك الثواب، وإن لم تقومي بها، ولم تؤدّها فعليك العقاب.

﴿فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ أي: خوفاً أن لا يقمن بما حُمِّلنَ، لا عصيانياً لرهن، ولا زهداً في ثوابه، وعرضها الله على الإنسان، على ذلك الشرط المذكور،

فقبلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل. فانقسم الناس -بحسب قيامهم بها وعدمه- إلى ثلاثة أقسام:

منافقون، أظهروا أنهم قاموا بها ظاهراً لا باطناً، ومشركون، تركوها ظاهراً وباطناً، ومؤمنون، قائمون بها ظاهراً وباطناً.

فذكر الله تعالى أعمال هؤلاء الأقسام الثلاثة، وما لهم من الثواب والعقاب فقال:

﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣].

فالنجاة في الآخرة للمؤمنين العاملين الساعين في طاعة الله، والهلاك للمنافقين

المتكاسلين عن طاعة الرحمن سبحانه وتعالى، فنسأل الله بمنه وكرمه أن ينجبنا هذا الخلق الذميم.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله ربي وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

اعلموا وفقني الله وإياكم، أن هناك أسباباً تقود إلى الكسل.

ومن أعظم الأسباب التي تقود إلى الكسل هو البعد عن مساجد الله عز وجل،

فإنه بالقرب من المساجد وبالإتيان إلى بيوت الله عز وجل يكون الإنسان بإذن الله عز وجل على أعلى مراتب النشاط، فإنه لا يعمر هذه المساجد بالصلاة والطاعة إلا من كان على همة عالي، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٨].

ومن أعظم الأسباب التي تقود الإنسان إلى الكسل هو التثاؤب، ففي الصحيحين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: " التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُرِدْهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَالَ: هَا، ضَحِكَ الشَّيْطَانُ "

أضيف التثاؤب إلى الشيطان لأنه هو الذي يدعو إلى إعطاء النفس شهواتها والتثاؤب يكون مع ميل الإنسان إلى الكسل والنوم والتشاغل عن الطاعات، ولهذا يرفع صوته بقول (ها) وهو صوت المثائب إذا بالغ في التثاؤب، وحينها يضحك الشيطان عليه فرحاً بالتغلب عليه

وأما الذي يكظم التثاؤب فهو في قمة النشاط، إذ تغلب على الشيطان ودفع كيده.

ومن أعظم الأسباب التي تقودك إلى الكسل هي كثرة النوم وبالذات نوم النهار،

فإن نوم النهار يحمل على الكسل، ولهذا بين الله عز وجل في كتابه أنه جعل الليل

لباسا والنهار معاشا، قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمٍ

الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا

قُضِيََتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الجمعة: ٩-١٠].

اسمع إلى قوله فَإِذَا قُضِيََتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا، فالإنسان عمره يمضي فلا ينبغي أن يتكاسل ويرقد عن العمل

ويكون غالب وقته في النوم والكسل.

واعلموا وفقني الله وإياكم أن من أراد أن يتخلص من هذا الخلق الذميم، ينبغي

عليه أمور لا بد أن يعملها.

ومن أعظم هذه الأعمال التي تقودك إلى البعد عن الكسل؛ هي المسارعة إلى

رضوان الله عز وجل. ألم تسمع في كتاب ربنا سبحانه وتعالى أنه يأمر عباده فيقول:

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ

لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٣٣].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ [سورة الحديد: ٢١].

ويقول سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الواقعة: ١٠-١١].
والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: «سَبَقَ الْمُقَرَّدُونَ» قالوا: وَمَا الْمُقَرَّدُونَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا، وَالذَّاكِرَاتُ». رواه مسلم عن أبي هريرة.
هذه كلها تأمرك وتحثك على أن تكون مسارعًا إلى رضوان الله سبحانه وتعالى، وأن تبادر إلى طاعة الله عز وجل، وأن لا تكسل عن طاعة ربك سبحانه، فإن من كسل أو كله الله عز وجل إلى كسله، قال ربنا سبحانه: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٦].

فبسبب تكاسلهم عن الخروج ثبطهم الله، وأبعدهم عن طاعته ومحابه.
الأمر الثاني مما يملك بإذن الله عز وجل على البعد عن الكسل، هو أن تجالس الصالحين، الذين هم مسارعون إلى مرضاة ربهم سبحانه وتعالى، لأن الله عز وجل يقول لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

إياك أن تجالس المتكاسلين، إياك أن تصاحب أولئك المتباعدين عن الله؛ فيبعدونك عن الطريق المستقيم، فهم كسلوا عن طاعة ربهم وأرادوك على ذلك الكسل الذي هم عليه، بل اصبر نفسك مع الذين يعبدون الله ويتقربون إلى طاعة الله عز وجل.

الأمر الثالث الذي يبعدك عن الكسل هو أن تستغل أوقات نشاطك في عبادة الله

سبحانه وتعالى، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ فَمَنْ كَانَتْ شِرَّتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ أَفْلَحَ وَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ"

فإدام أن الله عز وجل قد أعطاك الصحة وأعطاك السلامة وأعطاك **سبحانه وتعالى** الراحة، قم بما أمر الله من الفرائض وأتبعها بالنوافل، فإذا كسلت وفترت، فلا تخرج عن الفرائض. ولا تخرج عن السنة إلى البدعة، بل كن ملازمًا للهدي القويم حال نشاطك وفطورك، فالإنسان لا بد أن يصيبه الفتور والكسل في بعض الأحيان، لكن لا يكون فتورك إلى ترك فرائض الله عز وجل، واستعن بالله على استعادة نشاطك وجدك.

قال ابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين: كل مجد في طلب شيء لا بد أن

يعرض له وقفة وفطور ثم ينهض إلى طلبه، ولا بد من ذلك ولكن صاحب الوقفة والفتور له حالان: إما أن يقف ليجم نفسه ويعدها للسير فهذا وقفته سير ولا تضره الوقفة فإن "لكل عمل شرة ولكل شرة فترة".

وإما أن يقف لداع دعاه من ورائه وجاذب جذبه من خلفه فإن أجابه أخره ولا بد فإن تداركه الله برحمته وأطلعه على سبق الركب له وعلى تأخره: نهض نهضة الغضبان الأسف على الانقطاع ووثب وجمز واشتد سعياً ليلحق الركب وإن استمر مع داعي التأخر وأصغى إليه لم يرض برده إلى حالته الأولى من الغفلة وإجابة داعي الهوى حتى يرده إلى أسوأ منها وأنزل دركا وهو بمنزلة النكسة الشديدة عقيب الإبلال من المرض فإنها أخطر منه وأصعب.

وبالجملة فإن تدارك الله سبحانه وتعالى هذا العبد بجذبة منه من يد عدوه وتخليصه وإلا فهو في تأخر إلى الممات راجع القهقري ناكص على عقبيه أو مول ظهره ولا قوة إلا بالله والمعصوم من عصمه الله. انتهى كلامه

ومن أعظم الأمور التي تعينك على البعد عن خلق الكسل؛ أن تدعورك ربك سبحانه وتعالى ليلاً نهاراً أن يبعد عنك الكسل، وأهل الكسل، وتتعوذ بالله من هذا الخلق الذميم، فإن النبي عليه الصلاة والسلام كان يدعو بهذا الدعاء كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه)، قال: كَانَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ».

فيدعو المسلم ربه أن يبعده عن هذا الخلق الذميم، وأن يوفقه للطاعات والمسارة إليها في كل أوقاته حتى يلقي الله سبحانه وتعالى.

ومن أعظم الأمور التي تقودك إلى الابتعاد عن الكسل أن تنظر إلى سير الأولين

وكيف كانوا وكيف ساروا وكيف جاهدوا وكيف عملوا وكيف تعبوا وكيف سهروا، وما ناموا ولا رقدوا، بل قاموا وما قعدوا، قاموا لربهم **سبحانه وتعالى** مثني وفرادي، كما أمرهم الله عز وجل، قال الله **سبحانه وتعالى** مخبرا عن معاشر الأنبياء وهم خيرة الصالحين وأسوة المؤمنين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَلِيعِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ٩٠].

وقال الله سبحانه عن وصف عباد الله المتقين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ ٥٧ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٨ ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ ٥٩ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَّةٌ أَنْهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ ٦٠ ثم قال بعد هذه الأوصاف العظيمة: ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾

وانظر إلى نبيك عليه الصلاة والسلام كيف كان مسارعاً إلى طاعة ربه وتأسى به، وانظر إلى الصحابة عليهم رضوان الله كيف كانوا يسارعون في رضوان الله، إذا فعلت ذلك اقتديت بهم؛ ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَتْهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٠].

أي سر على هذا النهج، الذي كان عليه هؤلاء الذين هداهم الله، وكانوا على همة عالية، لا يكسلون ولا يتوانون عن طاعة ربهم وعبادة الله عز وجل.

فإياك ثم إياك أيها العبد المسلم من الاتصاف بهذا الخلق الذميم، فإن كثيراً من الناس كسلوا عن طاعة ربهم وخلدوا إلى الأرض، وضيعوا أوقاتهم فيما لا ينفعهم

بين يدي ربهم **سبحانه وتعالى**، وعجزوا عن العمل للدار الآخرة واستثقلوه إلا ما
رحم ربي وهم قليل.
أسأل الله بمنّهِ وكرمه، أن يوفقنا إلى طاعته وأن يختم لنا بالحسنى وآخر دعوانا
أن الحمد لله رب العالمين.

الآيات والعبر في نزول المطر

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَتُوبُ إِلَيْهِ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.

فيقول ربنا جل وعلا في كتابه الكريم ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النحل: ١٨].

ويقول سبحانه وتعالى ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ [سورة النحل: ٥٣].

فإن نعم الله علينا كثيرة، والله لو أراد العبد أن يحصيها ما أحصاها، فإنه يتقلب ليل نهار في نعم الله سبحانه وتعالى، وما يكاد الإنسان يفعل من شيء ولا يتقلب في

شيء ولا يأكل شيئاً ولا يشرب شيئاً ولا يمشي على ظهر هذه الأرض ولا يستظل
بسمائها إلا وهي من نعم الله سبحانه وتعالى التي لا يحصيها العبد أبداً قال الله
سبحانه وتعالى ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ وجاءت النعمة نكرة في سياق النفي،
مما يد على عموم النعم، فشملت جميع النعم كبيرها وصغيرها.

وإنَّ من أعظم النعم التي يفرح بها الناس ويرجونها كثيراً، ويتربها عباد الله،
بل ويعتمد الناس عليها اعتماداً كثيراً في مآكلهم ومشاربهم، ومدخلهم ومخارجهم
وفي مساكنهم.

نعمة لو تفكر بها العبد المسلم لرأى أنَّه حق عليه أن يشكر ربه سبحانه وتعالى
عليها ليل نهار، ولو فعل ذلك ما أدى شكر هذه النعمة العظيمة، والتي لا بد
للإنسان أن يقف عندها عدة وقفات وأن يقف عند آثار هذه النعمة العظيمة ألا وهي
المطر.

هذه نعمة عظيمة من نعم الله سبحانه وتعالى التي يشتاق لها الناس شوقاً عظيماً،
لكنهم لا يعلمون عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى في نعمة المطر.

لهذا أحببنا في هذه الدقائق المعدودة أن نقف على آيات الله والعبر في إنزاله
سبحانه وتعالى للمطر.

هذا المطر الذي ينزل عليك يا عبد الله لا تدري كيف جمعه الله ولا كيف أنشأه
الله، ولا كيف خلقه الله سبحانه وتعالى وهبناه قبل نزوله إلى الأرض.

استمع إلى قول الله سبحانه وهو يصف كيف أنشأ هذا المطر ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾﴾

قال العلامة ابن كثير في تفسيره: يذكر تعالى أنه بقدرته يسوق السحاب أول ما ينشئها وهي ضعيفة، وهو الإزجاء ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ [سورة النور: ٤٣] أي: يجمعه بعد تفرقه، ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَّامًا﴾ [سورة النور: ٤٣] أي: متركماً، أي: يركب بعضه بعضاً، ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ أي المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: من خلله.

قال عبيد بن عمير الليثي: يبعث الله الميثرة فتَقَمُّ الأرض قمًا، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب. رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير، رحمهما الله. انتهى كلامه.

فتفكر في هذه المراحل العظيمة لهذا المطر، وكيف يسوق الله سبحانه وتعالى هذا السحاب عن طريق ملك جعله الله عز وجل ملكاً للسحاب، فهذه وظيفته التي جعله الله عز وجل عليها، ثبت عند أحمد من حديث ابن عباس عليه رضوان الله قَالَ: أَفْبَلْتُ يَهُودُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ؛ أَخْبِرْنَا عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ قَالَ: مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالُوا: فَمَا هَذَا الصَّوْتُ الَّذِي نَسْمَعُ؟ قَالَ: "زَجْرُهُ بِالسَّحَابِ إِذَا زَجَرَهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى حَيْثُ أُمِرَ، قَالُوا صَدَقْتَ".

قال ابن عبد البر في الاستذكار: جمهور أهل العلم يقولون: الرعد ملك يزجر السحاب، ويجوز أن يكون زجره لها تسبيحاً، لقول الله تعالى: **وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ**. انتهى كلامه

فالله **سبحانه وتعالى** يسوق هذا السحاب ثم يؤلف بينه فيجمعه من كل مكان **سبحانه وتعالى** وفي المكان الذي يريد الله عز وجل ثم يجعله ركاما يتراكم بعضه فوق بعض، ثم بعد ذلك يرسل الله عز وجل الرياح لواقع هذا السحاب فلو لم يلحقه الله عز وجل ما نزل، فإن الله **سبحانه وتعالى** ما خلق من شيء إلا وكان من زوجين اثنين يتم بينهما التلقيح، أي أن الله عز وجل يرسل هذه الرياح معها لقاح تلقح به ذلك السحاب، قال سبحانه: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [سورة الحجر: ٢٢].

قال العلامة ابن كثير: هذه "الرياح" ذكرها بصيغة الجمع، ليكون منها الإنتاج، بخلاف الريح العقيم فإنه أفرداها، ووصفها بالعقيم، وهو عدم الإنتاج؛ لأنه لا يكون إلا من شيئين فصاعداً. انتهى

وقال العلامة السعدي: أي: وسخرنا الرياح، رياح الرحمة تلقح السحاب، كما يلحق الذكر الأنثى، فينشأ عن ذلك الماء بإذن الله. انتهى كلامه

وهناك يتهياً ذلك المطر للنزول ﴿فَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ وهذا أمر عظيم من نعم الله **سبحانه وتعالى** أن الله عز وجل يهبأ ذلك السحاب ليكون كالوعاء فيه ثقبوب صغيرة يخرج منه ذلك المطر ولو نزل دفعة واحدة لأفسد الناس، ولأفسد

عليهم معاشهم ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ فترى - أيها العبد المتفكر في هذه النعمة - المطر يخرج من فتوق هذا السحاب المتراكم ومن فروجه، تارة بشدة وعنف، وتارة بهدوء ورفق.

فهذا من رحمة الله سبحانه وتعالى بخلقه أن الله سبحانه وتعالى يريهم هذه الآيات العظيمة ليعلم الناس عظيم قدرة الله سبحانه وتعالى، قال سبحانه: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [سورة المؤمنون: ١٨].

انظر إلى هذه الآية العظيمة؛ يبين الله سبحانه وتعالى فيها أربع آيات عظيمة، قال سبحانه ﴿وَأَنْزَلْنَا﴾ فالإنزال من عند الله لا من الطبيعة ولا من تلقاء الرياح التي تسوقه، ولا من الناس الذين يريدونه، إنما بأمر من الله عز وجل نزل هذا المطر، وقوله: ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي من السحاب الذي يعلوك، وكل ما علاك سماء فمنزله الله عز وجل لا غيره قال سبحانه وتعالى ﴿بِقَدَرٍ﴾ وهذه الآية الثانية أن الله سبحانه وتعالى أنزله بقدر، قال الطبري رحمه الله: أي بمقدار حاجتكم إليه، فلم يجعله كالطوفان، فيكون عذابا كالذي أنزل على قوم نوح، ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته، ولكن جعله غيثا، حيا للأرض الميتة محيا. انتهى كلامه فتخيل يا عبد الله لو أن هذا الماء المنهمر فتحه الله عز وجل عليك ولم يمسه هلكت وهلكت بيوتك وهلكت مواشيك وهلكت زروعك وهلكت الأرض بمن عليها، حين أراد الله عز وجل أن يغرق قوم نوح ماذا حصل؟

قال ربنا سبحانه: ﴿كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ①
 فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرَ ②﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ③ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا
 فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ④ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوُجْهِ وَدُسِرَ ⑤ تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ
 كُفِرَ ⑥﴾ [سورة القمر: ٩-١٤].

أهلكهم الله سبحانه وتعالى بهذا الماء المنهمر بقوة، فقلوه سبحانه وتعالى:
 ﴿يَقْدِرُ﴾ أي بقدر حاجتكم، ولهذا يقول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَمُنُّ إِلَّا الَّذِينَ يَدْعُونَ
 خَزَائِنَهُ وَمَا نَزَّلْنَاهُ إِلَّا لِيَقْدِرَ مَعْلُومٍ ⑦﴾ [سورة الحجر: ٢١].

﴿يَقْدِرُ﴾ لو زاد هلك الناس وهلكت زروعهم وثمارهم، ولو نقص ما استفاد
 الناس منه عظيم شيء، فينزل الله سبحانه بحسب الحاجة، لا كثيراً فيفسد الأرض
 والعمران، ولا قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل بقدر الحاجة إليه من السقي
 والشرب والانتفاع به، حتى إن الأراضي التي تحتاج ماء كثيراً لزرعها ولا تحمل
 دُمُنتها إنزال المطر عليها، يسوق إليها الماء من بلاد أخرى، كما في أرض مصر، ويقال
 لها: "الأرض الجرُز"، يسوق الله إليها ماء النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة
 في زمان أمطارها، فيأتي الماء يحمل طيناً أحمر، فيسقي أرض مصر، ويقر الطين على
 أرضهم ليزدروا فيه، لأن أرضهم سباح يغلب عليها الرمال، قال ربنا سبحانه
 وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ
 أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ⑧﴾ [سورة السجدة: ٢٧].

قال العلامة ابن كثير: يبين تعالى لطفه بخلقه، وإحسانه إليهم في إرساله الماء إما من السماء أو من السيح، وهو: ما تحمله الأنهار وينحدر من الجبال إلى الأراضي المحتاجة إليه في أوقاته؛ ولهذا قال: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾، وهي الأرض التي لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَعَلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾ [سورة الكهف: ٨] أي: يَبَسًا لا تنبت شيئًا، كأرض مصر وما شابهها، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة، تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطرًا لتهدمت أبنيتها، فيسوق الله إليها النيل بما يتحمله من الزيادة الحاصلة من أمطار بلاد الحبشة، وفيه طين أحمر، فيغشى أرض مصر، وهي أرض سبخة مرملة محتاجة إلى ذلك الماء، وذلك الطين أيضًا لينبت الزرع فيه، فيستغلون كل سنة على ماء جديد ممطور في غير بلادهم، وطين جديد من غير أرضهم، فسبحان الحكيم الكريم المنان المحمود ابتداء. انتهى كلامه

فهذا قوله سبحانه: ﴿يَقْدِرُ﴾، ثم قال في الثالثة: ﴿فَأَسْكَنْتُ فِي الْأَرْضِ﴾، أي أن ذلك الماء الذي أنزله الله من السماء أسكنه في الأرض لينتفع به الناس في الآبار، والعيون، ونحو ذلك، فتخيل أيها العبد لو أن الله سبحانه وتعالى لم يمسك هذا الماء الذي أنزله من السماء في الأرض ولم يسكنه فيها فمن يأتيك به سائر السنة، ولهذا قال الله عز وجل في الآية الرابعة: ﴿وَلِنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ رَوْنُ﴾ فهو الذي أنزله وهو سبحانه وتعالى الذي يقدر على أن يذهب به فلا تستفيدون منه، ومن ذهاب الله عز وجل به أن يجعله يغور في باطن الأرض قال سبحانه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [سورة الملك: ٣٠].

ومن ذلك أنه لو شاء لجعله مالحاً أجاجاً لا تتفعون به، قال سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿[سورة الواقعة: ٦٨-٧٠]، أي: مُرّاً مالحاً لا يصلح لشرب ولا زرع، ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أي: فهلا تشكرون نعمة الله عليكم في إنزاله المطر عليكم عذباً زلالاً! قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالتَّخِيلَ وَالْأَعْنَبَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿[سورة النحل: ١٠-١١] .

هذا المطر الذي ينزله ربنا سبحانه وتعالى به يحيا العباد منه يكون طعامهم، ومنه شراهم، فلا يكون إلا منه قال الله عز وجل: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ (٢٤) أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبَا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ ﴿[سورة عبس: ٢٤-٢٨] .

فهو سبحانه وتعالى برحمته يصب الماء من السماء، وهو سبحانه وتعالى الذي يهيئ الأرض في تلك اللحظات لتتقبل ذلك الماء، فيخرج به سبحانه وتعالى كل ما ذكره الله سبحانه في هذه الآية وفي غيرها، فيكون منه طعامٌ لكم، ومنه طعامٌ لدوابكم. فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير وسبحانه الذي يحيي الأرض بعد موتها، ولكن أكثر الناس لا يشكرون.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وبعد:

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَأُنَاسٍ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٥٠) [سورة الفرقان: ٤٨-٥٠].

انظر إلى هذه الآيات يا عبد الله، فإنَّ هذا أيضاً من قدرته التامة وسلطانه العظيم، وهو أنَّه تعالى يرسل الرياح مبشرات، أي: بمجيء السحاب بعدها، والرياح أنواع، في صفات كثيرة من التسخير، فمنها ما يثير السحاب، ومنها ما يحمله، ومنها ما يسوقه، ومنها ما يكون بين يدي السحاب مبشراً، ومنها ما يكون قبل ذلك يقيم الأرض، ومنها ما يلقيح السحاب ليمطر؛ ولهذا قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ (٤٨) [سورة الفرقان: ٤٨] أي: آلة يتطهر بها.

وقوله: ﴿لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا﴾ أي: أرضاً قد طال انتظارها للغيث، فهي هامدة لا نبات فيها ولا شيء. فلما جاءها الحيا عاشت واكتست رباها أنواع الأزهار والألوان، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ ذَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ (٥) [سورة الحج: ٥]

﴿وَسُقِّيهِمْ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَنَاسِيًّا كَثِيرًا﴾ (٤٩)، أي: وليشرب منه الحيوان من أنعام وأناسي محتاجين إليه غاية الحاجة، لشربهم وزروعهم وثمارهم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (٢٨)، وقال تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٥٠).

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا﴾، أي: ولقد أنزلنا المطر على أرض دون أخرى؛ ليذكر الذين أنزلنا عليهم المطر نعمة الله عليهم، فيشكروا له، وليذكر الذين منعوا منه، فيسارعوا بالتوبة إلى الله - جل وعلا - ليرحمهم ويسقيهم، فأبى أكثر الناس إلا جحودًا لنعمنا عليهم، كقولهم: مطرنا بنوء كذا وكذا.

فقد ثبت في الصحيحين من حديث زيد بن خالد الجهني، قال: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيثِيَّةِ فِي إِثْرِ السَّمَاءِ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: «هَلْ تَذَرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟» قالوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطَرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ ".

كم من الناس الآن الذي دخلت عليه شبه كثيرة التي يروجها الغرب وغيرهم من المستشرقين فيقولون هذا المطر، ليس لله دخل فيه وليس لله حكمة فيه، إنما هذه الشمس تأتي فتسفع ذلك البحر فيتبخر ذلك الماء، حتى إذا وصل إلى درجة معينة

تجمد ثم يتجمع ثم تأتي الرياح فتأخذه فينزل، فكفروا بنعمة الله سبحانه وتعالى ((أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر)).

هذا المطر يا عباد الله ينشئه الله لا هذه البحار تصنعه، ولا الرياح تحدثه، بل ذاك الله بعظيم قدرته، وقد ثبت عند مسلم عن أنس، قال: أَصَابَنَا وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَطَرٌ، قَالَ: فَحَسَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَوْبَهُ، حَتَّى أَصَابَهُ مِنَ الْمَطَرِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ صَنَعْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَأَنَّهُ حَدِيثُ عَهْدٍ بِرَبِّهِ تَعَالَى».

هذا يدل لك دلالة عظيمة على أن الله عز وجل هو الذي ينشئه، وفي الصحيحين عن أنس بن مالك -أيضا- قال: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ فِي يَوْمٍ جُمُعَةٍ قَامَ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلَكَ الْهَالُ وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا وَضَعَهَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مَنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ ﷺ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذَلِكَ، وَمِنَ الْغَدِ وَبَعْدَ الْغَدِ، وَالَّذِي يَلِيهِ، حَتَّى الْجُمُعَةِ الْآخَرَى، وَقَامَ ذَلِكَ الْأَعْرَابِيُّ - أَوْ قَالَ: غَيْرُهُ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَهْدَمُ الْبِنَاءُ وَغَرِقَ الْهَالُ، فَادْعُ اللَّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا» فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلَّا انْفَرَجَتْ، وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجُوبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاءَ شَهْرًا، وَلَمْ يَحْيَ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ.

هذا يبين لك يا عبد الله فقرك وعجزك وحاجتك لربك **سبحانه وتعالى** فهذا المطر هو من فضل الله **سبحانه وتعالى** يمتن الله عز وجل به على عباده فيصيب الله **سبحانه وتعالى** من يشاء ويصرفه الله **سبحانه وتعالى** عن من يشاء.

من أعظم العبر التي يستفيد بها الإنسان من نزول المطر أنه دليل على رحمة الله **سبحانه وتعالى** بالناس قال الله **سبحانه وتعالى**: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة الشورى: ٢٨].

قال الله تعالى: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ ءَاثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. فلا حياة للناس ولا لدوابهم ولا تقوم مصالحهم إلا بهذه الرحمة التي يرحمهم الله بها **سبحانه وتعالى**.

من أعظم العبر التي نستفيد بها من نزول المطر أن الله **سبحانه وتعالى** يرينا بهذه الآية كيف يحيي الله الموتى، فانظر إلى الأرض هذه الأرض التي تمر عليها في بعض الأحيان وهي ميتة لا حياة لها، قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [٣٩].

إن في ذلك عبرة لمن ينكر البعث لمن ينكر النشور لمن ينكر لقاء رب العالمين، لو تفكّر هؤلاء المغفلون في إنزال هذا المطر، كيف ينزله الله **سبحانه وتعالى** على أرض هامدة لا حياة فيها ولا نشور ما تدري إلا وقد أحياها الله **سبحانه وتعالى**: ﴿وَتَرَى

الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [سورة الحج: ٥].

ومن أعظم الدروس والعبر التي نأخذها من نزول المطر مدى لطف الله عز وجل بك يا أيها العبد المسلم، انظر إلى لطف الله من عدة جوانب:

وَمِنْ أَعْظَمِهَا أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَنْزِلُ هَذَا الْمَطْرَ عَلَى شَكْلِ قَطْرَاتٍ لَا يَتَأَثَّرُ النَّاسُ بِهِ وَلَوْ مَشَوْا تَحْتَهُ وَلَوْ أَنْزَلَهُ دَفْعَةً وَاحِدَةً لَهْلَكَ النَّاسُ هَلَاكَ عَظِيمًا، ثُمَّ انْظُرْ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَيْفَ أَنَّهُ يَنْزِلُهُ فِي زَمَنِ مُعَيَّنٍ مِنَ السَّنَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَمِنْ لُطْفِ اللَّهِ بِكَ لَوْ أَنْزَلَهُ طَوَالَ السَّنَةِ لَهْلَكَتْ وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي وَانْقَطَعَتِ السَّبِيلُ كَمَا فِي حَدِيثِ أَنَسِ الْمَتَّقِمِ أَنَّهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَلَكَتِ الْمَوَاشِي، وَتَقَطَّعَتِ السَّبِيلُ، فَدَعَا، فَمَطَرْنَا مِنَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: تَهَدَّمَتِ الْبُيُوتُ، وَتَقَطَّعَتِ السَّبِيلُ، وَهَلَكَتِ الْمَوَاشِي، فَادْعُ اللَّهَ يُمَسِّكْهَا، فَقَامَ ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَى الْآكَامِ وَالظَّرَابِ، وَالْأَوْدِيَةِ، وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ».

هذا من رحمة الله سبحانه وتعالى أنه يجعل هذا المطر في زمن دون زمن من رحمة الله سبحانه وتعالى.

ومن لطف الله عز وجل بك أنه يمسك المطر في الآبار والينابيع والأنهار ما تستفيد منه إلى السنة الثانية.

ومن لطف الله بإنزال هذا المطر أنه سبحانه وتعالى ما ينزله بما يزيد عن حاجة تلك الزروع فتهلك، فَإِنَّ الْحَبَّ إِذَا اشْتَدَّ وَنَزَلَ عَلَيْهِ الْمَطْرُ اسْوَدَّ فَهَلَكَ وَلَا يَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِ، لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي أَيَّامِ نَزْوِلِهِ، هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ.

من أعظم العبر التي نستفيدها من نزول المطر مدى فقرك وحاجتك يا أيها العبد

لربك **سبحانه وتعالى** قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ

الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [سورة فاطر: ١٥]، فأنت فقير إلى الله **سبحانه وتعالى**، قال الله

سبحانه وتعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿٦٩﴾

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [سورة الواقعة: ٦٨ - ٧٠].

انظر إلى هذا السحاب أحيانا يمر فوق رأسك مثقلا بالأمطار، يمر عليك فما

ينزل، من الذي ينزله؟ إنه الله **سبحانه وتعالى**، فكم ترى يصيب الناس من قحط

وقلة للأمطار فهل رجعوا إلى ربهم، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا

اسْتَكَانُوا لِلرَّبِّهِمْ وَمَا يَنْضَعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة المؤمنون: ٧٦].

ارجعوا إلى ربكم **سبحانه وتعالى** أيها الناس، واعرفوا مدى فقركم ومدى

حاجتكم لربكم **سبحانه وتعالى**، وادعوا الله أن يغيثكم، وادعوا الله أن يسقيكم،

وأن ينزل عليكم من رحمته **سبحانه وتعالى**.

ومن أعظم الآيات والعبر التي يستفيدها البشر من نزول المطر هو التفكير في هذا

المطر؛ كيف أنه ينزل على أراضٍ كثيرة، لكن ليست جميع الأراضى من تستفيد من

هذا المطر، هذا أثر جميل يبين لك غيث الرحمن **سبحانه وتعالى** من الكتاب والسنة ما

كل الناس ينتفعون بكتاب الله وبسنة رسوله ﷺ كما أن الأرض بأكملها لا تستفيد

من المطر إنما بعض المواطن هي التي تستفيد والأخرى لا تستفيد، ثبت في

الصحيحين من حديث عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ

بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْهُدَى، وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةً، قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّا وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَفَنَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا، وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قَيْعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقَّهَ فِي دِينِ اللَّهِ، وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ».

لو لم يكن إلا هذه الآية من نزول المطر لكفتك انظر إلى أماكن كثيرة صلبة في هذه الأرض، ما تنبت ولو نزل عليها المطر طوال العام، كذلك اجعل قلبك قريبا من الله سبحانه وتعالى ليستفيد من غيث الكتاب والسنة كما تستفيد الأرض الطيبة النقية من مطر ربها سبحانه وتعالى.

عباد الله هذا المطر الذي ينزله الله سبحانه وتعالى آيات عظيمة لو تفكر الناس فيه لوجدوا فيه أمرا عظيما لو لم يكن إلا أن تعلم أن الله عز وجل أرسله على قوم عذابا لكفى قال الله عن قوم عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُتَطَرُّنًا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة الأحقاف: ٢٤].

لهذا كان النبي عليه الصلاة والسلام إذا أقبل المطر تغير وجهه، إذا نزل المطر سري عنه، ففي الصحيحين عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا رَأَى مَخِيلَةً فِي السَّمَاءِ، أَقْبَلَ وَأَدْبَرَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَإِذَا أَمْطَرَتِ السَّمَاءُ سُرِّيَ

عَنْهُ، فَعَرَفْتُهُ عَائِشَةُ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَذْرِي لَعَلَّهُ كَمَا قَالَ قَوْمٌ»: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ [الأحقاف: ٢٤] الآية.

فتفكروا بهذه النعمة التي ينعم الله عز وجل عليكم واشكروها واسألوها من ربكم أن يجعلها رحمة عليكم، قال ربنا سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٧].
 اللهم أنزل علينا الغيث وانشر علينا رحمتك يا رب العالمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ثمار المحبة في الله

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [سورة الأعراف: ٧٠-٧١].

﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأعراف: ٧١-٧٢].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

عباد الله يقول الله - سبحانه وتعالى - ممتنا على نبيه عليه الصلاة والسلام ومذكرا عبده عليه الصلاة والسلام بمرتبة العظيمة وبما فتح الله وجل عليه وبما نصره - سبحانه وتعالى - قال الله - عز وجل - : ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٢-٦٣].

يخبر ربنا - سبحانه وتعالى - منته على نبيه عليه الصلاة والسلام وأنه أيده بنصره،
وأنه - سبحانه وتعالى - مع نصره وفتححه أيده بأمر كان لا بد منه قبل أن يأتي النصر،
وقبل أن يأتي الفتح الذي فتحه الله - عز وجل - عليه؛ ألا وهو أن أَلَفَ الله - سبحانه
وتعالى - بين قلوب المؤمنين لهذا قال سبحانه: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾، أي من منَّة
الله - عز وجل - وفضله عليك أن أَلَفَ - سبحانه وتعالى - بين قلوب المؤمنين،
الذين لو أنفق الإنسان ما أنفق من طائل الأموال التي دائماً ما تجمع أهل الدنيا التي
دائماً ما تؤلف بين الناس في الدنيا، ما استطاع أن يجمع بين القلوب ويؤلف بينها،
فيخبر الله - سبحانه وتعالى - نبيه عليه الصلاة والسلام أنه لو أنفق كنوز الدنيا
بأكملها على أن يؤلف بين قلوب المؤمنين ما أَلَفَ بينهم أبداً، لهذا قال سبحانه: ﴿لَوْ
أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَفْتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ وانظر
إلى قوله - سبحانه وتعالى - ث ف ث ف ما قال بينهم لأن التأليف بينهم قد يكون
حاصلاً في الظاهر، يرى الإنسان أن الناس يجتمعون وأنهم يكونون على كلمة واحدة
لكنهم مختلفة قلوبهم، لا تجتمع قلوبهم، كما ذكر الله - سبحانه وتعالى - عن اليهود
قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا يُقَنِّلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ
بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾
[سورة الحشر: ١٤].

وقال الله - سبحانه وتعالى - عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ
وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ يَّحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ
فَتَلَاهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٤].

فلا يمكن أن يجمع الله قلوب هؤلاء، وإن أظهروا أنهم متآلفين، فهم في اختلافهم غارقون.

إنما جمع الله - عز وجل - قلوب المتحابين في جلاله، فقد جاء عند النسائي بسند صحيح إلى ابن مسعود عليه رضوان الله، أنه حين أنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾، قال: هم المتحابون في الله، وفي رواية: نزلت في المتحابين في الله.

لهذا أحببنا في هذه الدقائق المعدودة أن نقف مع خطبة بعنوان "شد الانتباه إلى عظيم المحبة في الله"، فإننا في زمن أصبح الناس فيه يتحابون من أجل دنيا فانية، تجمعهم الحزبيات وتجمعهم المصالح، إذا كان هذا في حزبه أو معه على طريقه، ومعه في بدعته، أحبه، وإن خالفه آذاه وتبرأ منه ولم يكن معه على نهجه. كل ذلك لأنه ليس معه، صارت المحبة لغير الله سبحانه وتعالى، إلا ما رحم ربي سبحانه وتعالى، وهو الذي قال عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [١١٨] إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ [سورة هود: ١١٨-١١٩].

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾، أي إلا من جمع الله عز وجل قلوبهم، فإنهم بإذن الله عز وجل لا يختلفون أبداً، هؤلاء هم الذين يتحابون في الله ويتآخون في الله ومن أجل الله سبحانه، لا من أجل الدنيا ولا من أجل مصالح، بل من أجل الله وحده. وهؤلاء المتحابون في الله يجدون آثاراً طيبة بسبب أن محبتهم كانت خالصة لله عز وجل.

من أعظم الثمار التي يجنيها المتحابون في الله عز وجل؛ أن الله سبحانه وتعالى

يحبهم وكفاهم بهذا شرفاً وفضلاً وكفاهم، أن الله سبحانه وتعالى يحبهم، ثبت عند الإمام أحمد وعند الإمام مالك وجاء في الموطأ من حديث عن أبي إدريس الخولاني قال دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقِ الشَّامِ فَإِذَا أَنَا بِفَتًى بَرَّاقِ الشَّيَا وَإِذَا النَّاسُ حَوْلَهُ إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ وَصَدَرُوا عَنْ رَأْيِهِ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَرْتُ فَوَجَدْتُ قَدْ سَبَقَنِي بِالْهَجِيرِ وَقَالَ إِسْحَاقُ بِالتَّهْجِيرِ وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي فَاَنْتَظَرْتُهُ حَتَّى إِذَا قَضَى صَلَاتَهُ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلٍ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّكَ لِلَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ** فَقَالَ أَلَلَّهِ فَقُلْتُ أَلَلَّهِ فَقَالَ أَلَلَّهِ فَأَخَذَ بِحُبُورَةٍ رَدَائِي فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ وَقَالَ أَبْشُرْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَالَ اللَّهُ **عَزَّ وَجَلَّ** وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ.

وجبت هذه المحبة من الله سبحانه لمن أحب الله، ولمن زار الله، ولمن جالس في الله، وبالله سبحانه وتعالى، وجاء عند الإمام مسلم أن النبي ﷺ قال وهو يبين هذه المحبة في الله وأنها تجلب المحبة من الله سبحانه وتعالى، فعن أبي هريرة، قال:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي».

هذه ثمرة عظيمة، أن يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وانظر إلى قوله عليه الصلاة والسلام في قول ربنا جل وعلا في هذا الحديث القدسي: أين المتحابون بجلالي؟ أي ما يحب هذا الشخص إلا من أجل الله، إلا من رفعته عند الله، لأنه وقر الله في قلبه، وأحب الله سبحانه وتعالى وعظمه، فكان من تعظيم الله سبحانه وتعالى أن يحبه لله وفي الله ومن أجل الله سبحانه وتعالى، فكان حقاً على الله سبحانه وتعالى تفضلاً منه وكرماً أن يظلمهم في يوم لا ظل إلا ظله، وثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضوان الله عليه أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: "سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله"، ومنهم: "ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه"، فما فرقهم عن هذه المحبة إلا الموت.

ومن أعظم ثمار المحبة في الله عز وجل، أنهم -بإذن الله عز وجل- تكتمل به عندهم حلقات الإيمان. فقد ثبت في صحيح أبي داود بسند صحيح من حديث أبي أمامة عن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ».

قال الحافظ ابن رجب: ومعنى هذا أن حركات القلب والجوارح إذا كانت كلها لله فقد كَمُلَ إيمانُ العبد بذلك ظاهراً وباطناً، ويلزم من صلاح حركات القلب صلاح حركات الجوارح، فإذا كان القلب صالحاً ليس فيه إلا إرادة الله وإرادة ما

يريده لم تنبعث الجوارح إلا فيما يُريده الله، فسارعت إلى ما فيه رضاه، وكفّت عما يكرهه. اهـ

فلا يستكمل إيمانه إلا إذا كان حُبّه خالصاً لربه **سبحانه وتعالى**، يجب من أجل الله وفي الله **سبحانه وتعالى**.

ومن أعظم الثمار التي يجنيها المتحابون بجلال الله سبحانه وتعالى، أنهم يذوقون حلاوة الإيمان. ثبت في الصحيحين من حديث عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ مِنْ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ "

فمن أراد أن يذوق طعم الإيمان، فليحب المرء لله **سبحانه وتعالى**، فإذا أحببت، فلا تحب إلا لله، وانظر فيما ثبت في صحيح مسلم من حديث، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، " أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخَاهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَتَيْنَ تَرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ **عَزَّ وَجَلَّ**، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَّتَهُ فِيهِ .

يا سبحان الله، على عظم هذه المحبة التي من أجل الله **سبحانه وتعالى**. لا مصالح، لا دنيا، لا ما سوى ذلك، لا تجمعهم إلا محبة من أجل الله **سبحانه وتعالى**.

ومن أعظم الثمار التي ينالها هؤلاء المتحابون بجلال الله سبحانه وتعالى، أنهم مبشرون بالجنة، بإذن الله، عز وجل، كما ثبت عن الإمام مسلم، من حديث أبي

هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوْ لَا أَذْلكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمْوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفَشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». فلا يدخل العبد جنة ربه حتى يؤمن ويحب في الله **سبحانه وتعالى**.

ومن أعظم ما يبشر النبي عليه الصلاة والسلام به هؤلاء المتحابين في الله عز وجل، لهو حديث عظيم، وهو ما أخرجه الإمام أحمد وأبو داود من حديث عمر بن الخطاب عليه رضوان الله: أن النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَأُنَاسًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِمَكَانِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تُخْبِرُنَا مَنْ هُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ، وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاطَوْنَهَا، فَوَاللَّهِ إِنْ وُجُوهُهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ» وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

سبحان الله! على بشارات عظيمة في هذا الحديث العظيم لهؤلاء الذين تحابوا في الله ومن أجل الله، يقربهم ربهم **سبحانه وتعالى** منه، فما أعظمها وما أجلها من كرامه! والثانية يغبطهم النبيون والشهداء لقربهم من الله، والثالثة: وجوههم نور، والرابعة: أنهم على منابر من نور، والخامسة: أنهم لا يخافون. والسادسة: أنهم لا يحزنون، والسابعة: أنهم أولياء الله الصالحون.

فما أعظم الحب في الله، يا عباد ما أحوجنا لأن نتحاب من أجل الله **سبحانه وتعالى**، ويكفيك بالحب في الله شرفاً ورفعةً، أن الله يحشرك مع من أحببت يوم

القيامة، ولو لم تعمل بأعمالها، ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ السَّاعَةِ، فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: «وَمَاذَا أَعَدَدْتَ لَهَا». قَالَ: لَا شَيْءَ، إِلَّا أَنِّي أَحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». قَالَ أَنَسُ: فَمَا فَرَحْنَا بِشَيْءٍ، فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ» قَالَ أَنَسُ: «فَأَنَا أَحِبُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ، وَإِنْ لَمْ أَعْمَلْ بِمِثْلِ أَعْمَالِهِمْ».

وفي الصحيحين أيضًا عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

نسأل الله أن يجعلني وإياكم من المتحابين بجلاله سبحانه.

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وأشهد أن لا إله إلا الله ربي وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. أما بعد:

اعلموا يا معاشر المؤمنين، أن المحبة في الله لها علامات، من كانت فيه كان محبا لله.

من أعظم هذه العلامات أن هذه المحبة لا تزيد بالبر ولا تنقص بالجفاء، فسواء أعطاك أخوك من الدنيا أو لم يعطك هي تلك المحبة لم تتغير، وسواء عليه ووصلك أو جفاك وقلاك؛ لم تنقص هذه المحبة، كان ذلك دليل على أنك أحببته الله وفي الله، أما إن رأيت أنه إن جفاك أو لم يعطك، نقصت محبتك له، هذا ما أحببته الله وإنما لأجل الدنيا التي كان يعطيك منها، فلما تغيرت الدنيا تغيرت محبتك.

ومن علامات الحب في الله أنه لا يحسد أخاه على ما أعطاه الله عز وجل من النعم؛ بل يحب له الخير، ويفرح له كما يفرح لنفسه ولا يحسده على ما أتاه الله عز وجل من فضله، هذا المحب لله كلما رأى أخاه ازداد الخير عنده فرح له وفرح به وفرح على ما أعطاه الله عز وجل لذلك الرجل، بل يفضل على نفسه، إلا أن هذا أندر من النادر، ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

وهكذا تكره له ما تكره لنفسك، وكل هذا ما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

ومن علامات الحب في الله أنك تدعو لأخيك بظهر الغيب، فمن أحب أخاه دعا له بظهر الغيب، وهذه والله من أعظم علامات الحب في الله، ففي صحيح مسلم عن صفوان وهو ابن عبد الله بن صفوان، وكانت تحته الدرداء، قال: قدمت الشام، فأتيت أبا الدرداء في منزله، فلم أجده ووجدت أم الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام، فقلت: نعم، قالت: فادع الله لنا بخير، فإن النبي ﷺ كان يقول: "دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل".

ومن أعظم العلامات على أنك أحببت لله ومن أجل الله وفي الله أنك تحبه لطاعته، وتبغضه لمعصيته، فإذا زادت طاعته لربه زادت محبتك له، وإذا زادت معصيته نقصت المحبة على قدر معصيته، هذا الحب لله، أما أن يكون لا يصلي وتقول أحبه لله! فأبي حب هذا؟

ويكونون على معاصي ويقول بعضهم لبعض: نحن نحب في الله وأين الحب في الله؟

الحب في الله أن تحبه لأنه يعمل بطاعة الله وتحبه لأنه يعمل بأوامر الله، تحبه لأنه منتهي عن نواهي الله، تحبه بحب عظيم أشد من نفسك حتى ولو كنت تعمل هذه السيئات، ورحم الله الإمام الشافعي، إذ يقول:

أَحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ لَعَلِّي أَنْ أُنَالَ بِهِمْ شَفَاعَةً

وَأُبْغِضُ مَنْ تَجَارَتْهُ الْمَعَاصِي وَإِنْ كُنَّا سَوَاءً فِي الْبِضَاعَةِ
ولو كنت أنا عاصي، لكنني أكره أصحاب المعاصي، وأحب ذاك الصالح
لصلاحه ولدينه ولطاعته ولقربه من الله سبحانه وتعالى.

ولنختم هذه الوقفة مع المحبة في الله عز وجل بصفحات مشرقة من المتحابين
في الله سبحانه وتعالى، هذا رسول الله ﷺ، كما ثبت عند البخاري من حديث عَنْ
أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ
مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رضي الله عنه)، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي مَا يُبْكِي
هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ لَا تَبْكُ، إِنْ أَمَنَّ
النَّاسَ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا
بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي
بَكْرٍ».

جمعتهم المحبة في الله فعلم أبو بكر أن المخير هو رسول الله ﷺ، فحزن على
فراق حبيبه ﷺ، وود لو يفديه بنفسه وماله، وكان النبي ﷺ يحبه أيضًا ولهذا قال:
"وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ".
هذه هي المحبة في الله ومن أجل الله يتحابون في الله، فكان أبو بكر من أسرع
الناس إلى فهم كلام رسول الله ﷺ، علم بمراده وعلم بما خيره الله لأنه يحبه.

ومن الصفحات المشرقة في الحب في الله ما كان بين المهاجرين والأنصار، ما أعظمها والله من أخوة بعد أن كانت العداوة تنخر فيهم، وفتك برجالهم حرباً واقتتالاً.

قال الله - عز وجل - مخبراً عن معاشر الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفَهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾.

قال ابن كثير عليه رحمة الله: قوله: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: من كرمهم وشرف أنفسهم، يُحبُّون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم. انتهى

وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ الْأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقْطَعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لَا إِلَّا أَنْ تُقْطَعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا، قَالَ: «إِمَّا لَا، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرٌ». فكان الأنصار محبين للمهاجرين، وبادلهم المهاجرون هذه المحبة في الله ومن أجل الله،

ومن بين الصفحات المشرقة في الحب في الله ما ذكره ابن قدامة في المغني فقال: وَفِي فَتُوحِ الشَّامِ: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: أَخَذْتُ مَاءً لِعَلِّي أُسْقِي ابْنَ عَمِّي إِنْ وَجَدْتُ بِهِ حَيَاةً، فَوَجَدْتُ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ فَأَرَدْتُ أَنْ أُسْقِيَهُ، فَإِذَا رَجُلٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَوْمَأَ لِي أَنْ أُسْقِيَهُ، فَذَهَبْتُ إِلَيْهِ لِأُسْقِيَهُ، فَإِذَا آخَرٌ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَوْمَأَ لِي أَنْ أُسْقِيَهُ، فَلَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ حَتَّى مَاتُوا كُلُّهُمْ.

هذه هي المحبة في الله ومن أجل الله، حيث يجب على الإنسان أن يكون كذلك إذا أحب في الله ومن أجل الله، أن يحب الخير لأخيه الذي أحبه في الله عز وجل، فقد روى الترمذي من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ».

وأخيراً، يأتي ذكرُ لابي عبيدة أبا القاسم بن سلام عليه رحمة الله وما كان بينه وبين أحمد بن حنبل عليهم رضوان الله أجمعين من الحب في الله ومن أجل الله. ففي ترجمة القاسم بن سلام أبي عبيد قال: دخلت على الإمام أحمد بن حنبل بيته فقام واحتضنني وأجلسني في صدر مجلسه فقلت يا أبا عبد الله أليس يُقال صاحب البيت أو المجلس أحق بصدر بيته أو مجلسه، قال نعم يقعد ويقعد عليه من يريد قال قلت في نفسي خذ إليك يا أبا عبيد قلت يا أبا عبد الله لو كنت آتيك على قدر ما تستحق لأتيتك كل يوم قال لا تقل ذلك فإن لي إخواناً ما ألقاهم في كل سنة إلا مرة أنا أوثق في مودتهم ممن القى كل يوم قال قلت هذه أخرى يا أبا عبيد فلما أردت القيام قام معي قلت لا تفعل يا أبا عبد الله قال قال الشعبي من تمام زيارة الزائر يمشي معه إلى باب الدار ويؤخذ بركابه.

هكذا تكون المحبة في الله؛ أما ما نحن عليه فإن في محبتنا دخن، إلا أن يشاء الله سبحانه أن ينزع ما في قلوبنا على بعضنا البعض وعلى إخواننا، وينبغي أن يكون حالنا كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ [سورة الحشر: ١٠].

فينبغي علينا معاشر المسلمين أن نتحاب في الله ونترك ما سواه، نترك الدنيا،
نترك الحزبيات البغيضة التي فرقت بين المسلمين، وبغضت الأخ بأخيه، فولتكن
أخوتنا في الله ومن أجل الله، يجمعنا الكتاب والسنة والسير على نهج السلف
الصالح رضوان الله عليهم، بهذا نكون متحابين في الله سبحانه، قال سبحانه
وَتَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ
أَعْدَاءً فَآلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ
مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

فنسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا لمن يحبه ويرضاه، وآخر دعوانا لله.

أسباب الخشوع في الصلاة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

أيها الناس إن الله - سبحانه وتعالى - قد أمرنا بالاطمئنان في الصلاة، وأن نبتعد عن كل ما يشغلنا حال صلاتنا، بل وأثنى الله - عز وجل - على المؤمنين الخاشعين،

قال الله - عز وجل - : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ (٢).

فهذا المؤمن أثنى الله - عز وجل - عليه لخشوعه.

والخشوع المقصود به هنا ليس خشوع العنق، ولا خشوع الرقبة ولا خشوع الرأس، ولا خشوع اليد، ولا غير ذلك من الجوارح، وإنما هو خشوع القلب، الذي إذا خشع خشعت كل جوارح العبد.

فالحشوع هو: خضوع القلب وطمأنينته، وسكونه لله تعالى، وانكساره بين يديه، ذلاً وافتقاراً، وإيماناً به وبلقائه.

أولاً ترى أن النبي عليه الصلاة والسلام نهى أن يصلي الرجل وهو يدافعه الأخبثان، إذا فيه بولٌ أو غائطٌ وهو يدافعه، فينبغي عليه أن يقضي حاجته ثم يأتي للصلاة، لماذا؟ لأنه يذهب الخشوع.

ثم ألا ترى أن النبي عليه الصلاة والسلام نهى عن الصلاة في حضرة الطعام كما ثبت في الصحيح من حديث عائشة، لماذا؟ لأنَّ المشغول بالطعام ونفسه تنوق إليه سيقى مشغولاً بالطعام، فالحشوع هو لبُّ الصلاة وأساسها.

وهذا الخشوع هو من صفات المؤمنين يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّامِينَ وَالصَّامَاتِ الْخَافِظِينَ وَالْخَافِظَاتِ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٥].

فذكر ربنا من هؤلاء المفلحين صنفاً وهم الخاشعون والخاشعات.

وقد ذكر ربنا **سبحانه وتعالى** في كتابه ما يقود هذا المصلي إلى المحافظة على صلاته، بل وما يجعله محباً لهذه الصلاة مشتاقاً لها، وأعظم هذه الأمور هو الخشوع في الصلاة.

وانظر إلى قول الله - **سبحانه وتعالى** - : ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [سورة البقرة: ٤٥].

قال العلامة السعدي رحمه الله : ﴿وَأَنَّهَا﴾ أي: الصلاة ﴿لَكَبِيرَةٌ﴾ أي: شاقة ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ فإنها سهلة عليهم خفيفة؛ لأن الخشوع، وخشية الله، ورجاء ما عنده يوجب له فعلها، منشرحاً صدره لترقبه للثواب، وخشيته من العقاب، بخلاف من لم يكن كذلك، فإنه لا داعي له يدعو إليه، وإذا فعلها صارت من أثقل الأشياء عليه. انتهى كلامه

فالخشوع يهون عليك أمر الصلاة، إذا خشع قلبك الصلاة تصبح عندك لذة، راحة؛ فقد روى الإمام أبو داود من حديث سالم بن أبي الجعد قال قال رجل من خزاعة: لَيْتَنِي صَلَّيْتُ فَاسْتَرَحْتُ فَكَأَنَّهُمْ عَابُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - **ﷺ** - يَقُولُ: «يَا بَلَاءُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا»، فإذا خشع قلب العبد كان يتشوق للصلاة والعبادة، قلبه قد تعلق بها وأحبها، وفي حديث السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، قال **ﷺ**: "وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ". متفق عليه من حديث أبي هريرة.

فلما خشع قلبه أصبح محباً لبيوت الله، متعلقاً بها، لا يدري متى يأتي وقت الصلاة سينطلق إليها مسارعاً ومبادراً.

وأما غالبنا اليوم فيتعجب لحاله؛ كلما حان وقت الصلاة ضاقت صدره، وكأن عليه همًّا عظيماً، ما يدري كيف يزيحه؟ يدخل المسجد وهو في ضيق، ولا يأتي إلا في وقت الإقامة، وبعضهم يأتي في الركعة الثانية أو الثالثة، ما يدري متى ستُقضى الصلاة، ثقلت عليه الصلاة بسبب عدم الخشوع فيها.

ولهذا بين النبي عليه الصلاة والسلام أن أول ما يرفع من هذه الأمة الخشوع، فقد ثبت عند الترمذي من حديث جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَشَخَصَ بَبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا أَوَانُ يُخْتَلَسُ الْعِلْمُ مِنَ النَّاسِ حَتَّى لَا يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ»، وفي رواية أحمد: «هَذَا أَوَانُ الْعِلْمِ أَنْ يُرْفَعَ» فَقَالَ زِيَادُ بْنُ لَبِيدٍ الْأَنْصَارِيُّ: كَيْفَ يُخْتَلَسُ مِنَّا وَقَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ فَوَاللَّهِ لَنَقْرَأَنَّهُ وَلَنَقْرِئَنَّهُ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاؤَنَا، فَقَالَ: «ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتَ لَا عُدَّكَ مِنْ فُقَهَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ هَذِهِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فَمَاذَا تُغْنِي عَنْهُمْ؟» قَالَ جُبَيْرٌ: فَلَقِيتُ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، قُلْتُ: أَلَا تَسْمَعُ إِلَى مَا يَقُولُ أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ قَالَ: «صَدَقَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، إِنْ شِئْتَ لَا حَدَّثَنَّكَ بِأَوَّلِ عِلْمٍ يُرْفَعُ مِنَ النَّاسِ؟ الْخُشُوعُ، يُوشِكُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَ جَمَاعَةٍ فَلَا تَرَى فِيهِ رَجُلًا خَاشِعًا».

والخشوع في الصلاة وعدم التفات القلب فيها سبب لمغفرة الذنوب، قال كما في

الصحيحين من حديث عثمان أن النبي ﷺ تَوَضَّأَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحَوُ وَضُوءِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكَعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»؟

فصل ركعتين أيها العبد وأنت خاشع، ما تحدث نفسك بشيء من أمور الدنيا، من أمور الأولاد من أمور التجارات، من أمور الأهل، من أمور المزارع، لا تحدث نفسك عن هؤلاء أبداً، وإذا عرض لك شيء من ذلك لا تسترسل فيه، يغفر لك الله - سبحانه وتعالى - ما تقدم من ذنبك.

فما أسهلها وما أصعبها، أي والله، هي سهلة لمن كان مقبلاً على الله سبحانه، وهي صعبة لمن كان لا يخشع في صلاته.

إذا خشعت في صلاتك كان لك عهد عند الله أن يتجاوز الله عنك، ثبت عند

أبي داود من حديث عبادة ابن الصامت قال: أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - يَقُولُ "خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لَوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ".

والخشوع في الصلاة ينهاك بإذن الله - عز وجل - عن الفواحش والمنكرات، ألا

ترون ما نحن فيه الآن من الفساد؟ ومن الفحشاء والمنكر، هذه كلها ونحن نصلي،

والله - عز وجل - يقول: ﴿ أَتُلْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّكَ

الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [سورة العنكبوت: ٤٥].

ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها، يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها.

فإذا رأيت نفسك أن الصلاة ما تنهاك عن الفحشاء والمنكر، فتفقد قلبك، وراجع حالك مع صلاتك.

فلا بد لك أيها العبد من العمل بالأسباب التي تجلب لك الخشوع، لتصلح أمور صلاتك وسائر عباداتك.

ومن أعظم ما يجلب لك الخشوع هو الاستعداد للدخول في الصلاة، ويحصل ذلك بأمور منها التردد مع المؤذن والإتيان بالدعاء المشروع بعده، وإحسان الوضوء والذكر والدعاء بعده، والاعتناء بالسواك، وأخذ الزينة باللباس الحسن النظيف، والتبكير والمشي إلى المسجد بسكينة ووقار.

كل هذا من الاستعداد للصلاة، لا بد أن تعلم أيها العبد أنك ستقف بين يدي الله سبحانه وتعالى، أنت ستناجي ربك وستكلمه، وأنت مع ذلك لا تأتي ولا تستعد لمثل هذا بشيء لا بإتمام الوضوء ولا بسواك ولا بلبس جميل الثياب، بعضهم يدخل المسجد ويطفئ السيجارة على باب المسجد، ودخل وذاك الدخان ينبعث من فمه،

والآخر رمى بتلك التخزينة من القات على باب المسجد، وما حتى أحسن المضمضة وبقي آثار ذلك القات في فمّه، فأين سيجد هذا الخشوع وهو على تلك الحال؟ متلبس بالمعصية إلى باب المسجد، بل لا يرى أنّها معصية، وهذه مصيبة، فإنّا لله وإنا إليه راجعون.

وترى ذلك يلبس أي شيء يجده أمامه للمسجد ولو كان وسخاً، ولو كان سيذهب للقاء المدير أو الرئيس للبس أفخر ثيابه ولتطيب بأحسن الطيب، ولتسوك ولفعل كل ما يتجمل به، وأما للقاء ربّ العالمين ومناجاته فلا شيء من ذلك إلا من رحم الله سبحانه وتعالى، وقليل ما هم.

والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَبْنَىءَ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٣١].

أي عند كل صلاة، ولا يكون ذلك إلا بأن يكون العبد على هيئة طيبة يرضي بها لقاء ربّه سبحانه وتعالى.

ومن أعظم أسباب الخشوع هو الصلاة إلى ستره والدنو منها: فمن الأمور المفيدة لتحصيل الخشوع في الصلاة الاهتمام بالستره والصلاة إليها، وللدنو من السترة فوائد منها:

بعض المصلين يترك اتخاذ السترة، ويظن أن اتخاذ السترة من التشدد والتنطع، وما هذا إلا لجهله، وإلا فكيف يخشع العبد في صلاته وهذا يمر أمامه، وهذا بين يديه، بل قد يتلاعب الشيطان بك في الصلاة لعدم اتخاذ السترة، روى ابن خزيمة

بسند صحيح من حديث سهل بن أبي حثمة، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيُصَلِّ إِلَى سُرَّةٍ، وَلْيَذَنْ مِنْهَا، لَا يَقْطَعْ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِ صَلَاتَهُ».

فالشيطان قد يمر من أمامك لينقص عليك هذه الصلاة ويشغلك فيها ويتلاعب بك.

السبب الثالث من أسباب الخشوع هو الطمأنينة في الصلاة، ثبت في الصحيحين

من حديث أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ وَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَرَجَعَ يُصَلِّي كَمَا صَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثلاثاً، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَحْسَنَ غَيْرُهُ، فَعَلَّمَنِي، فَقَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تيسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، وَافْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا».

فكل هذه الأركان لا بد فيها من الطمأنينة، ولهذا أمره النبي ﷺ بإعادة الصلاة لأنه لا بد من الاطمئنان في الصلاة كلها.

عند أحمد من حديث أبي سعيد الخدري أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَسْوَأَ النَّاسِ سَرِقَةً الَّذِي يَسْرِقُ صَلَاتَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ يَسْرِقُهَا قَالَ لَا يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلَا سُجُودَهَا».

هذا أسوأ الناس سرقة، ما هو الذي يسرق أموال الناس؟، يسرق عبادته، هذا يسرق نفسه، هل قد رأيتم رجلا يسرق نفسه؟ إلا هذا المسكين، الذي يسرق نفسه، لأنَّ صلاتك تعرض عليك يوم القيامة، إن أحسنت فلك، وإن أسأت فعليك.

وقد روى أبو داود وأحمد وغيرهما من حديث أبي هريرة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ»، قَالَ: "يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ: انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا، قَالَ: انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ، قَالَ: أَتَمُّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطَوُّعِهِ، ثُمَّ تَوَخَّذُوا الْأَعْمَالَ عَلَى ذَاكُمْ".

ومن الأسباب التي تجلب لك الخشوع في الصلاة هو تذكر الموت، روى ابن ماجه وأحمد من حديث أبي أيوب، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي، وَأَوْجِزْ، قَالَ: إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُودَعٍ، وَلَا تَكَلِّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ، وَأَجْمِعِ الْيَأْسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ. وحسنه العلامة الألباني في الصحيحة.

إذا صليت صل صلاة مودع يعني إذا صليت صلي صلاة رجل يقول لعلي لا أعيش بعدها، فتخيل يا عبد الله لو أن ملك الموت أتاك قال لك بقي هذا الفرض العشاء فقط، وسنقبض روحك بعد العشاء، كيف ستصلّيها؟ ما تلك الدموع التي ستنزل؟ ما ذلك الخشوع الذي سيحل على قلبك.

فمثّل لنفسك أيها العبد أن هذه الصلاة آخر صلاة تصلّيها فسترى كيف ستصلّيها، وكيف سيكون إحسانك فيها.

الخطبة الثانية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وبعد:

ومن أسباب الخشوع، تدبر آيات القرآن الكريم، قال الله - عز وجل - : ﴿ كَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرُوا أَلَّا يُغْلَبُوا وَلَا يُنَالُوا ﴾ [سورة ص: ٢٩].

جاء عند ابن حبان بسند صحيح من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي» قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ قُرْبَكَ، وَأَحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرُهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجَّتِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَمْ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا، لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ آيَةً، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا» ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾ ﴿الآيَةُ كُلُّهَا﴾ [آل عمران: ١٩٠].

فكم مرة قرأت أنت هذه الآية فخشع قلبك؟ وكم من الآيات التي قرأتها فأدمعت عينك، النبي عليه الصلاة والسلام يقوم من الليل بآية واحدة يرددها حتى أصبح، فقد روى الإمام أحمد بإسناد حسن من حديث أبي ذرٍّ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ

اللَّهُ ﷻ لَيْلَةً فَقَرَأَ بِآيَةٍ حَتَّى أَصْبَحَ، يَرْكَعُ بِهَا وَيَسْجُدُ بِهَا: ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [سورة البائدة: ١١٨].

تحيل كم ساعة صلى بها رسول الله ﷺ؟ يركع ويسجد ويقوم ويرجع لتلك الآية ويركع ويسجد يقوم ما جاوزها، كان أعظم الناس خشوعا عليه الصلاة والسلام، فلا بد من أن يتدبر العبد كتاب ربه، قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [١٠٧] وَيَقُولُونَ سُبْحَنَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا [١٠٨] وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا [١٠٩] [سورة الإسراء: ١٠٧-١١٠].

هذا تدبرهم للآيات، زادهم خشوعا بين يدي الله - سبحانه وتعالى -.

ومن أعظم ما يفتح عليك أبواب الخشوع، أن تعلم أن الله - عز وجل - يحبك في صلاتك، ثبت عند الإمام مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: " قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مَحَدَّنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ١]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ " .

فهذه بعض الأسباب التي يستجلب بها الخشوع، إذا حاولت أن تعمل بها بإذن الله عز وجل ستجد نفسك خاشعاً، فإنَّها تُقهر النفس بمجاهدتها لله عز وجل، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٦٩) [سورة العنكبوت: ٦٩].

فكل من جاهد نفسه في طريق سيره إلى الله سبحانه وأحسن عبادة ربه، في صلاته في عبادته في وضوئه في طهوره في شأنه كله، فإنَّ الله سبحانه وتعالى يعينه ويوفقه، نسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا إلى مرضاته والحمد لله رب العالمين.

الموت مواعظ وآداب

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٤).

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (١) [سورة النساء: ١].

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١) [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدْيِ هُدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

معاشر المسلمين، ثبت عند البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه أنه قال قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: «إِذَا أُمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ».

هذه الوصية العظيمة من رسول الله ﷺ، لعبد الله بن عمر رضي الله عنه، الذي كان أهلاً لهذه الوصية، وكان عاملاً بها، كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل، فمهما

طال العمر بالإنسان، فلا بد له بعد ذلك أن يلقي ربه سبحانه وتعالى، وما منا من أحد إلا وسيموت، قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٠]. وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٤].

فما من نفس خلقها الله إلا وستموت، ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [سورة الرحمن: ٢٧].

فالله سبحانه وتعالى حكم وأمر، وقضى على جميع العباد أن ينزل بهم هذا الحادث العظيم، ألا، وهو الموت، قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة الأنبياء: ٣٥].

وقال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [سورة العنكبوت: ٥٧].

فما من نفس إلا وستموت، ما من عبد من فاجر، أو بر وصالح، أو طالح، من ذكر أو أنثى، من إنس أو جان؛ إلا وسيموت، لكن الأمر العصيب! ماذا يكون بعد الموت؟

لكن الأمر الشديد ماذا بعد هذا الموت؟ فإنَّ المال إما إلى جنة، وإما إلى نار.

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥].

ولهذا يقول ربنا سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٢].

أي: حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فعياداً بالله من خلاف ذلك.

فلا بد للعبد من أن يكون حريصاً على سلامة نفسه، وعلى نجاته من عذاب ربه، ولا يكون ذلك إلا بالتقرب بالطاعات، والعمل بالصالحات، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾، فكل ما عمله العبد سيراه في ذلك اليوم بين يدي ربه سبحانه وتعالى، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ [سورة آل عمران: ٣٠].

الله - عز وجل - رؤوف بك يا عبد الله، لهذا أرسل الرسل وأنزل الكتب، وجعل سبحانه وتعالى العلماء الذين يوجهون الناس ويبينون لهم أنهم لن يخلدوا في هذه الأرض ولا سيقون فيها، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرًا مِّنْ لَّدُنَّا عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزِّجٍ مِّنَ الْعَذَابِ إِنَّ يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٩٦].

فمهما طغى الإنسان ومهما تكبر ومهما تجبر ومهما عاش، حتى لو عاش ألف سنة؛ بل وأكثر من ذلك ما كان ذلك بمزحة من العذاب أن يعمر، فكل نفس ذائقة الموت

ويلقى العبد ربه يوم القيامة كما ثبت، عند البخاري من حديث عدي بن حاتم، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، ثُمَّ يَنْظُرُ فَلَا يَرَى شَيْئًا قَدَّامَهُ، ثُمَّ يَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَتَسْتَقْبِلُهُ النَّارُ، فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَّقِيَ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».

فالواجب على العبد أن يعلم علم اليقين أنه لو لم يمت اليوم، فإنه ميتٌ غدا ولا محالة، ولا ينجو من هذا أحدٌ أبداً، قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْنَاهُ مَأْثُورًا ۖ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ۝١٦﴾ إِذْ يَنْفَلِقُ الْمَتْلِفَيْنِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ۝١٩﴾ [سورة ق: ١٦-١٩].

ذلك ما كنت منه تحيد، ذلك ما كنت منه تفر، إلى الطبيب، إلى التداوي، إلى الأشياء التي تبعدك عن الموت، إلى الدفء إلى البعد عن البرد إلى السكن إلى المنزل إلى الطعام والشراب؛ كل ذلك فرارا وحيدة من الموت، ذلك ما كنت منه تحيد، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكِ يَوْمَ الْوَعِيدِ ۝٢٠ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ۝٢١ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢﴾ [سورة ق: ٢٠-٢٢].

قال العلامة ابن كثير: المراد بقوله: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا﴾ يعني: من هذا اليوم، ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي: قوي؛ لأن كل واحد يوم القيامة يكون مستبصرا، حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك. قال الله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

ذلك اليوم ينكشف الغطاء عن أشياء كثيرة، يوم أن تُعرض على ربك - **سبحانه وتعالى** - وحيدا، فريدا، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [سورة الأنعام: ٩٤].

تركت كل الأموال وتركت كل التجارة وتركت الأولاد، وتركت الزوجات وتركت المصالح، وتركت الحزينين وتركت الرؤساء والزعماء وتركت الأمراء وتركت كل ما في الدنيا ولقيت ربك - **سبحانه وتعالى** - فريدا وحيدا، قال الله سبحانه: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۖ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ۖ وَبَنِينَ شُهُودًا ۖ وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا ۖ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ [سورة المدثر: ١١-١٥].

وقال عز من قائل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَّوَلَدًا ۖ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۖ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۖ وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [سورة مريم: ٧٧-٨٠].

تأتيه وحدك، ليس معك أحد بين يدي الله **سبحانه وتعالى**، يجادل عنك، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [سورة النحل: ١١١].

لا أحد يجادل عنك ما ترى أحدا لا عن يمينك ولا عن شمالك ولا من أمامك ولا من خلفك

فأنت تقدّم على الله - سبحانه وتعالى - وحدك، فبماذا تقدم على ربك - سبحانه وتعالى -، ثبت عند مسلم من حديث أبي ذر (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال يقول ربنا جل وعلا في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ۝٦٦﴾ [سورة الأحزاب: ٦٣-٦٦].

هذه الحسرات والندامات لا شك أنّها كائنة بعد الموت لمن كان هذا حاله، ولهذا كان عثمان - رضي الله عنه وأرضاه - إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرِ بَكِي حَتَّى يَبْلُغَ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذَكِّرُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فَلَا تَبْكِي وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنْازِلِ الْآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». رواه الترمذي وغيره.

قيل: إنما كان يبكي عثمان وإن كان من جملة المشهود لهم بالجنة؛ لأنه لا يلزم من التبشير بالجنة عدم عذاب القبر، بل ولا عدم عذاب النار مطلقاً مع احتمال أن يكون التبشير مقيداً بقيد معلوم أو مبهم، ويمكن أن ينسى البشارة حينئذ لشدة الفطاعة، ويمكن أن يكون خوفاً من ضغطة القبر كما يدل عليه حديث سعد الدال على أنه لم يخلص منه كل سعيد إلا الأنبياء، ذكره القاري. (أَوَّلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنْزِلِ الْآخِرَةِ) لأنه أقرب شيء إلى الإنسان، وأيضاً شدته أمانة للشدائد كلها. (فإن نجا منه) أي من عذاب القبر، فما بعده من المنازل أسهل وأهون؛ لأنه يفسح للناجي من عذاب القبر في قبره مد بصره، وينور له، ويفرش له من بسط الجنة، ويلبس من حللها، ويفتح له باب إلى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها، وكل هذه الأمور مقدمة لتيسير بقية منازل الآخرة، وإن لم يخلص من عذاب القبر، ولم يكفر ذنوبه، وبقي عليه شيء مما يستحق العذاب به (فما بعده أشد منه)؛ لأن النار أشد العذاب، فما يحصل للميت في القبر عنوان ما سيصير إليه.

فهذه اللحظات الشديدة العظيمة الحاسمة لسعادة العبد أو شقائه حين ينزل العبد إلى القبر.

إنها لأول ساعة تمر عليه، وهو بعيد عن أهله، بعيد عن بيته بعيد عن أسرته بعيد عن أقاربه بعيد عن السكن بعيد عن النور الذي تعودته في الدنيا، بعيد عن الحياة، لا يدري أيبشر بالجنة أم يبشر بالنار، لا يدري أيحل عليه رضوان الله أم يحل عليه سخط الله سبحانه وتعالى؟

والله يا إخوة لو أن العبد تفكّر في تلك اللحظات وتلك المواقف التي سيقدم عليها لا محالة؛ لعبد الله - عز وجل - ليلاً ونهاراً، ولما فتر عن عبادة الله لحظة واحدة، ولأخلص في أعماله كلها لله **سبحانه وتعالى**، وأخرج البزار في كشف الأستار بسند يحسنه العلامة الألباني عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: "إن بين أيدينا عقبة كؤوداً لا ينجو منها إلا كلُّ مُحَفٍّ".

لما نزل الموت بمحمد بن المنكدر رحمه الله بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "والله ما أبكي لذنب أعلم أني أتيت، ولكنني أخاف أن أكون قد أذنبت ذنباً حسبته هيناً وهو عند الله عظيم".

فإن الإنسان قد يعمل أعمالاً يظنها حسنة، فإذا لقي الله علم أنها كانت بعيدة كل البعد عن الحسن، قال ربنا **سبحانه وتعالى**: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ، لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (٤٧) **وبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ**.

عباد الله من أراد النجاة في ذلك اليوم، وأراد الفوز والفلاح عليه بالعمل والاستعداد لذلك الموقف العظيم حين يقف بين يدي الله **سبحانه وتعالى**، انظروا إلى الناس وإلى محبتهم إلى إخوانهم وإلى آبائهم وإلى أمهاتهم، كيف يحبونهم؟ ويدفعون عنهم في الدنيا ويعطونهم ما أرادوا، وإذا حزنوا كانوا بجوارهم، وإذا مرضوا كانوا معهم، وإذا فقروا أعطوهم، وإذا أصابهم ضرر حملوا همهم، إلا الموت، فإنه إذا مات تركوه لوحده في تلك الحفرة ورجعوا، ما يستطيعون أن يبقوا معه لحظة واحدة، بل تجد أحب الناس إليه من أقاربه هو من يسارع بدفنه ويعجل بجنائزته،

لأنه يعلم أنه لا ينزل إلا وحده، ولا يلقي ربه إلا وحده، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
وَلِئِمَّا تُوفَّوْكَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ
فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥].

الخطبة الثانية

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد.

أيها الناس كلنا يعلم أن الموت حق ولا محيد عنه، ولكن لا بد أن نعلم أن هناك أحكاماً وآداباً مما يتعلق بالميت لا بد للإنسان أن يعلمها لكي يعمل بها.

ومن هذه الآداب التي تختص بالميت أن أهل الميت إذا جاءهم الخبر عن موت

قريب يجب عليهم أن يصبروا أنفسهم، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَبَلُواكُمْ

بِشْيءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقَصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧].

فيصبر العبد نفسه ويصبر أهله على الرضا بالله وبكل ما جاءه من عند الله، وعلي ما ابتلاه الله به، وعلي هذه المصيبة، فيجعل الله له الخير في الدنيا والآخرة، فقد روى الإمام مسلم من حديث عن أم سلمة، أنها قالت: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

" مَا مِنْ مُسْلِمٍ نُصِيبُهُ مُصِيبَةً، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾، اللَّهُمَّ أَجْرُنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "، قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟ أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا، فَأَخْلَفَ اللَّهُ لِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ."

وعند البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّةً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ اخْتَسَبَهُ، إِلَّا الْجَنَّةُ "

ومن أعظم الآداب، التي ينبغي على الإنسان أن يعملها مع الميت، أنهم لا يذكرون بجوار الميت شيئاً من أمور الدنيا وإنما إذا كان في مرحلة الاحتضار أنهم يذكرونه بقول لا إله إلا الله، دون أن يكثروا عليه فيها ولا يشقون عليه بها، ويحاولون أن يذكروه بالله، لعل الله سبحانه وتعالى أن يختم له بهذه الكلمة العظيمة، فقد روى أبو داود في سننه عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ومن أعظم الآداب التي ينبغي على الناس أن يراعونها مع الميت أنه إذا مات أغمض عينيه.

روى مسلم من حديث أم سلمة رضي الله عنها، قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ، وَقَدْ شَقَّ بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ ثُمَّ قَالَ: " إِنْ الرُّوحُ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ ".

ومن أعظم الآداب التي ينبغي التزامها عند الميت أن لا يدعوا على أنفسهم إلا بخير، فإنه في تلك الساعة الملائكة تؤمن على تأمين من دعا، ففي حديث أم سلمة المتقدم أن النبي ﷺ قَالَ: " لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤْمِنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ " ثُمَّ قَالَ: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأبي سَلَمَةَ، وارفع درجته في المهدين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وافسح له في قبره ونور له فيه "

فإذا دعا المسلم يدعو له بالخير اللهم اغفر له وارحمه، اللهم تقبله اللهم اجعله من عبادك الصالحين، اللهم أكرم نزلة، ويدعو لأهل الميت بما يخفف عليهم مصابهم ويواسيهم به.

ومن أعظم الآداب أن يعزي الإنسان أهل ذلك الميت إن أصابهم موت فإن التعزية مستحبة باتفاق المذاهب الأربعة، وبأي لفظ كان كأن يقول الإنسان: أعظم الله لك الأجر، أو يقول كما ثبت في الصحيحين: "لله ما أخذ ولله ما أعطى وكل شيء عنده بأجلٍ مسمى، فلتصبر ولتحتسب".

ولا يتعين الذهاب إلى بيت المصاب لأجل تحصيل هذه الفضيلة، بل يمكن الاكتفاء بالمحادثة الهاتفية ونحوها مما جرى به العرف.

ومن أعظم الآداب التي ينبغي على الإنسان أن يراعيها في الميت، ومن أهل الميت خاصة، ومن النساء خاصة أن لا يفعل ما يسخط الله سبحانه وتعالى، من النياحة ولطم الخدود وشق الجيوب، فإن هذا كله من أفعال الجاهلية التي ينبغي اجتنابها عند حلول المصيبة.

فغالب الناس إلا ما رحم الله يتسخطون عند المصائب بقلوبهم ويقولون بأفواههم ما يدل على سخطهم، ويفعلون بجوارحهم ما نهى عنه ديننا الحنيف، ففي الصحيحين عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

فقلوه (ليس منا) أي من أهل سنتنا المهتدي بهدينا. (من لطم) أي ضرب الوجه بباطن الكف، (وشق الجيوب) أي شق الثياب. (ودعا بدعوى الجاهلية) أي قال في بكائه ونوحه ما كان يقوله أهل الجاهلية كقولهم يا سندنا وعضدنا ومن لنا بعدك ولمن تتركنا وأمثال هذه العبارات.

ومن أعظم الآداب ألا، وهو تغسيله، وأن يركن في تغسيله إلى رجل صالح وإلى عبد صالح، إن كان الميت ذكراً، وإلى امرأة صالحة إن كان الميت أنثى، فإن هذا مما ينبغي على المسلمين أن يقوموا به فيما بينهم بين، وأجر المغسل على رب العالمين، ولكن ينبغي على من غسل ميتاً أن يكون أميناً، ولا يُخبر بما قد يحصل من تغير لبعض الموتى، فهذا شأنه عظيم، وشديد، وقد يشق على أهل الميت مشقة شديدة إذا جاءهم ذلك المغسل، يذكر من أمر الميت أنه أسود وجهه، أو تغير جسمه، أو حصل له كذا، فينبغي عليه أن يتقي الله - سبحانه وتعالى - وأن يرجع هذا الأمر لله سبحانه وتعالى، وشأن هذا العبد لله سبحانه وتعالى يقضي فيه كيف شاء سبحانه.

ومن أعظم آداب التي للميت أن يكفن وأن يطيب، فإن وجدوا ثوباً أبيض كفنوه فيه، وإن لم يجدوا فيما تيسر لهم، فإن هذا الميت من أهل الإيمان يقدم على شأن عظيم، فإن النبي عليه الصلاة والسلام يقول كما في حديث البراء بن عازب، عند الإمام أحمد، قال **ﷺ**: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي إِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا تَنَزَّلَتْ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ كَأَنَّ عَلَى وُجُوهِهِمُ الشَّمْسُ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ كَفَنٌ وَحَنُوطٌ فَجَلَسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ حَتَّى إِذَا خَرَجَ رُوحُهُ صَلَّى عَلَيْهِ كُلُّ مَلَكٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَكُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاءِ وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَابٍ إِلَّا وَهُمْ يَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يُعْرِجَ

بِرُوحِهِ مِنْ قَبْلِهِمْ فَإِذَا عُرِجَ بِرُوحِهِ قَالُوا رَبِّ عَبْدُكَ فَلَانٌ فَيَقُولُ أَرْجِعُوهُ فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أَخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى قَالَ فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفَقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ مَنْ رَبُّكَ مَا دِينُكَ مَنْ نَبِيِّكَ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِي الْإِسْلَامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَيَتَهَرَّهُ فَيَقُولُ مَنْ رَبُّكَ مَا دِينُكَ مَنْ نَبِيِّكَ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعَرَّضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ فَيَقُولُ رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِي الْإِسْلَامُ وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ فَيَقُولُ لَهُ صَدَقْتَ ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الْوَجْهِ طَيِّبُ الرَّيْحِ حَسَنُ الثِّيَابِ فَيَقُولُ أَبْشِرْ بِكَرَامَةٍ مِنَ اللَّهِ وَنَعِيمٍ مُقِيمٍ فَيَقُولُ وَأَنْتَ فَبَشِّرْكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ مَنْ أَنْتَ فَيَقُولُ أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ كُنْتُ وَاللَّهُ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بَاطِنًا عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ الْجَنَّةِ وَبَابٌ مِنَ النَّارِ فَيُقَالُ هَذَا كَانَ مَنْزِلَكَ لَوْ عَصَيْتَ اللَّهَ أَبَدَكَ اللَّهُ بِهِ هَذَا فَإِذَا رَأَى مَا فِي الْجَنَّةِ قَالَ رَبِّ عَجِّلْ قِيَامَ السَّاعَةِ كَيْمَا أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي فَيُقَالُ لَهُ اسْكُنْ.

ومن أعظم الآداب التي ينبغي على أهل الميت، ألا وهو أنهم يسرعون بالجنازة،

فلا يؤخرونها اليوم واليومين والثلاث، بل إذا مات الميت أسرعوا بها، ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وآله وسلم قَالَ: «أَسْرِعُوا بِالْجَنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا، وَإِنْ يَكُ سِوَى ذَلِكَ، فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ».

ومن أعظم آداب التي ينبغي على العبد الذي يسير وراء الجنازة أن يسير على

هدوء، وعلي سكونة دون رفع صوت لا بتهليل ولا بغيره ولا بتسبيح، بل ينبغي على

الإنسان أن يكون كما كان النبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه من بعده كانوا يسرون وراء الجنازة وكأن على رؤوسهم الطير لا يرفعون صوتاً بذكر ولا بهليل ولا يقولون ما سوى ذلك، ولا يسبون ولا يشتمون، بل يسرون وكأن على رؤوسهم الطير يمشون وعليهم السكينة فإنهم يفكرون فيما هم قادمون عليه، فينبغي على العبد المسلم أن يتفكر فيما هو قادم عليه لا محالة، لا أن يتدع البدع في دين الله سبحانه وتعالى فهذا محرم.

وقد روى أحمد بإسناد حسن عن أبي هريرة، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " لَا تُتَّبِعُ الْجَنَازَةَ بِنَارٍ، وَلَا صَوْتٍ "

وقال قيس بن عباد التابعي الجليل رحمه الله: كان أصحاب رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند ثلاث: عند الجنازة وعند الذكر، وعند القتال . وروى ابن الدنيا بإسناده في كتابه القبور: " عن قتادة قال بلغنا أن أبا الدرداء نظر إلى رجل يضحك في جنازة فقال: أما كان فيما رأيت من هول الميت ما شغلك عن الضحك.

وعن رجل من ولد الحسن قال: شهدنا مع الحسن جنازة فرأى رجلاً يحدث صاحبه ويتبسم إليه، فقال: يا سبحان الله أما كان في الذي بين يديك مشغل عن التبسم.

قال الحسن: " كانوا يعظمون الموت أن يرفع عنده صوت . "

فينبغي لمن رأى جنازة أن يتذكر الموت، وأنه صائر إليه، وأن ينظر في عمله وما قدم، ومن فعل ذلك غلب عليه الحزن والقلق، فلم يكن لديه متسع للضحك والكلام فيما لا ينفع.

فهذه بعض ما يتعلق بموت الميت من الأحكام ولآداب، التي ينبغي للعبد المسلم العمل بها وتحريها، وأن نستعد جميعاً للضيف القادم علينا، فكما أنه نزل اليوم بفلان من الناس فغداً بي وبك.

فنسأل الله بمنه وكرمه أن يوفقنا إلى طاعته وأن يغفر لنا ذنوبنا كلها دقها وجلها عظيمها وحقيقها، صغيرها وكبيرها سرها وعلايتها ما علمناه وما لم نعلم، اللهم اغفر لحينا وميتنا وشاهدنا وغائبنا وصغيرنا وكبيرنا وذكرنا وأنثانا اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وأقم الصلاة.

فهرس الموضوعات

٣.....	مقدمة
٦.....	التوحيد أولاً
١٥.....	الخطبة الثانية
٢١.....	الجنة دار الطيبين
٢٩.....	الخطبة الثانية
٣٢.....	معاول هدم صرح الأخوة
٤١.....	الخطبة الثانية
٤٨.....	وَلَيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ
٥٤.....	الخطبة الثانية
٥٩.....	صنائع المعروف
٦٧.....	الخطبة الثانية
٧٢.....	الدنيا ساعة فاجعلها طاعة
٨٠.....	الخطبة الثانية
٨٤.....	الباعث الحثيث لكثير من الناس على الكسب الحثيث
٩٤.....	الخطبة الثانية
٩٩.....	القول المستراح في آداب المزاح
١٠٤.....	الخطبة الثانية
١١١.....	شرح اسم الله الشافي
١٢٣.....	الخطبة الثانية
١٢٧.....	تحذير المؤمنين من الداء الدفين
١٣٨.....	الخطبة الثانية

- ١٤٥ مظاهر موت القلوب
- ١٥٢ الخطبة الثانية
- ١٥٤ تنوير الجباه بعدم اليأس والقنوط من رحمة الله
- ١٦١ الخطبة الثانية
- ١٦٨ تبصير العينين بصفات ذي الوجهين
- ١٧٤ الخطبة الثانية
- ١٨٢ السعي في نيل رضا الله
- ١٨٧ الخطبة الثانية
- ١٩١ محاسن الاستغفار
- ٢٠٠ الخطبة الثانية
- ٢٠٥ الشوق للقاء الله
- ٢١١ الخطبة الثانية
- ٢١٨ من هدي القرآن التي هي أقوم
- ٢٢٩ الخطبة الثانية
- ٢٣٦ بعض الأمور التي توقع العداوة والبغضاء بين الناس
- ٢٤٦ الخطبة الثانية
- ٢٥٢ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين
- ٢٦٠ الخطبة الثانية
- ٢٦٧ وبشّر الصابرين
- ٢٧٧ الخطبة الثانية
- ٢٨٣ هجر القرآن
- ٢٩٢ الخطبة الثانية

٢٩٦	وأنذرهم يوم الحسرة
٣٠٩	الخطبة الثانية
٣١٥	التحذير من خلق الكسل
٣٢٢	الخطبة الثانية
٣٢٩	الآيات والعبر في نزول المطر
٣٣٧	الخطبة الثانية
٣٤٥	ثمار المحبة في الله
٣٥٣	الخطبة الثانية
٣٥٩	أسباب الخشوع في الصلاة
٣٦٨	الخطبة الثانية
٣٧١	الموت مواعظ وآداب
٣٨٠	الخطبة الثانية
٣٨٧	فهرس الموضوعات